حقائق ورقائق
(٨)

أنبياء..
يبشرون بمحمد

رواية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

حقائق ورقائق

(8)

أنبياء..

يبشرون بمحمد

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الثانية

1436 – 2015

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

هذا الكتاب من الكتب التي حاولت فيها – من خلال الأدلة الكثيرة - أن أبين البراهين الدالة على صدق رسالة رسول الله ﷺ، وأن كل ما في الكون يدل عليها.

وهو يختص بما ورد في الكتاب المقدس من النبوءات الكثيرة المتعلقة برسول الله ﷺ، والتي حاول الكثير من رجال الدين أن يتكتموا عليها، أو يصرفوها عن محلها، أو يهونوا من شأنها.

ولذلك فإننا في هذه الرواية حاولنا أن نناقش تلك النبوءات من خلال حوارات ومناظرات افتراضية اعتمدنا فيها على المصادر التي اهتمت بهذا الجانب ابتداء مما كتبه الأولون من المهتدين إلى الإسلام كعلي بن ربن الطبري، وانتهاء بما كتبه المعاصرون كالشيخ أحمد ديدات وغيره.

أما بالنسبة للمصادر اليهودية والمسيحية فقد اعتمدنا فيها على الكتاب المقدس المعتمد لديهم، وإن كان هناك فروق بين الطبعات أو التراجم وضعنا ذلك في الهوامش، أو في متن الرواية.

ولهذا لم نعتمد إنجيل برنابا باعتباره محل شك لدى المسيحيين، ولا يصح أن نلزمهم في الاحتجاج بمصادر لا يعتمدونها.

وتدور أحداث الرواية حول زيارة البابا للمؤلف، وهو في حالة إيمانية عالية، ويخبره أنه ـ منذ شبابه ـ تعرض لأشعة كثيرة من شمس محمد ﷺ ، ولكنه مع ذلك يعرض عنه لشبهات، أو لأسباب نفسية... ولكنه في الأخير قرر أن يعتنق الإسلام، ويترك أخاه التوأم ـ الذي كان يملي عليه الشبهات ــ بدله على كرسي البابوية.

والبابا وأخوه التوأم يرمزان للإنسان بشقيه: العقل

والنفس ... والحـوار في الروايـة جميعـا بين هـذين... والصـراع فيها جميعا بينهما.

وقد حكى البابـا للمؤلـف في هـذا الجـزء رحلتـه إلى الشـام، حيث التقى فيها بالكثير من المهتدين إلى الإسلام بعـد اطلاعهم على البشـارات الـواردة في الكتـاب المقـدس، والـتي لا يمكن حملها إلا على رسول الله ﷺ .. وقد جرت بينه وبينهم مناقشات ومناظرات هادئة في هذه الجوانب.

وقد حاولت بقدر الإمكان أن أبسـط المـادة العلميـة الـواردة في الرواية حتى يتيسر على الجميع فهمها والاستفادة منها، لأن مثل هذه المعلومات لا يصـح أن تبقى محصـورة في الدراسـات الأكاديمية، ولا بين المختصين من البـاحثين فقـط، بـل ينبغي أن تنزل إلى الناس جميعا، لتخـاطب عقـولهم وقلـوبهم وأرواحهم، فتزيدها يقينا وطمأنينة وإيمانا.

بالإضـافة إلى ذلـك تعلم كـل محب لرسـول اللـه ﷺ وكـل حريص على دينه، كيف يجيب المخالف، بل كيف يقنعـه ... فهي تـبين لهم منهج الحـوار مـع المخـالفين، وتعطيهم من القـدرات العلميـة، والطـرق المنهجيـة مـا لا يملـك معـه المخـالف إلا التسليم... وهدفها من كل ذلك أن تجعل من كـل مسـلم داعيـة إلى الله، ومحاميا يذب عن دينه، ويحمي حمى رسوله.

ونحب أن ننبه فقط إلى أن هذا الكتـاب الموسـوم بــ [أنبيـاء يبشـرون بمحمـد] جـزء فقـط من سلسـلة الـبراهين المثبتـة لرسالة رسول الله ﷺ .. وإلا فإن كل سلسلة [حقائق ورقـائق] تهدف إلى هذه الغاية، سـواء بالبرهنـة عليهـا، أو بـرد الشـبهات التي تثار حولها، أو بمواجهـة من يزعمـون لأنفسـهم أنهم أتبـاع رسول الله ﷺ مع أنهم لا يزيدونه بسلوكاتهم المشينة وأفكارهم المتطرفة إلا تشويها وتحريفا.

.

البداية

فتحت الباب، فأشرقت شمسان عظيمتان، أما إحداهما فملأت جوانب غرفتي بالنور المضيئ الهادئ الجميل.. وأما الثانيــة، فملأت جوانب نفسي بالسلام والطمأنينة والسعادة.

سـألت الثانيـة: من أنت أيتهـا الشـمس الـتي تنكسـف لمرآهـا الشموس؟

أجابني بكلام يشع كما تشع الأنوار: أنـا لسـت شمسـا.. ولكـني رجل بحث عن الشمس، وأحبها، فلما ظفـر ببعض شـعاعها كسـته ما توهمته شمسا.

قلت: فأي شـمس هـذه الـتي وهبتـك من إشـعاعها مـا أحالـك شمسا، أو قريبا من الشمس؟

قال: إنها شمس محمد.. وأنا لم أظفر إلا ببعض أشعتها.

قلت: أي محمد هذا الذي كان شمسا؟

قال: أهناك محمد غير رسول اللـه؟.. ألم يصـفه اللـه، فقـال : ﴿ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ (الأحزاب:46)؟

قلت: أجل.. ولكن لم خصك بهذه الأشعة دون غيرك؟

قال: لا.. إنه لم يخصني.. كل من يريد أن يظفر بأشعة شمسه نالها.. ألا تـرى الشـمس الـتي تسـقي بأشـعتها الحقـول والمـزارع والجبال!؟

قلت: وكيــف لا أراهــا.. بــل هي تســقي بأشــعتها البحــار والمحيطات.. بـل هي تمتـد إلى الأفلاك الـتي تحيـط بهـا، فتملؤهـا بالدفء والحنان..

قال: فمن تبخل عليه الشمس بأشعتها؟

قلت: الشمس لا تبخل.. ولا تستطيع أن تبخل إذا أرادت.. فـأي صبي يمكنه أن يتحداها أن تحجب أشعتها عنه؟

قال: وهكذا محمد.. لم يكن بخيلا.. بل ظل شمسا تمـد الخلـق بالنور والدفء والحياة والجمال.

قلت: ولكن هناك من يحتجب عن شمس محمد.

قـال: هـو الـذي يحتجب.. أمـا شـمس محمـد فهي ممتـدة لا يتحداها شيء، ولا يمتنع منها شيء.

قلت: أنت لا تعلم.. نحن الآن في عصر لا يتقن شـيئا كمـا يتقن فن وضـع الحجب على الشـمس.. ولا يكتفي بـذلك.. فهـو يسـب الشـمس ويلعنهـا ويرسـم الرسـوم السـاخرة ليضـحك من وجههـا الجميل.

قال: ولكن الشمس مع ذلك لا تبالي بعبث العابثين، ولا سخرية الساخرين، فأشعتها الجميلة تظل مرسـلة لتقـول لهم بحنـان: نعم أنتم اسـتهزأتم بي، وسـخرتم مـني، ولكـني مـع ذلـك أدعـوكم لأن تحتموا من البرد الذي تعانيـه أرواحكم، والظلمـة الـتي تركـد فيهـا حياتكم.

قلت: إن الأمر لا يتوقف عند هؤلاء الصغار.. لقد امتد الأمر إلى البابـا.. بابـا الفاتيكـان.. ألا تعرفـه؟.. ذلـك الـذي يحمـل الصـليب ويطوف به العالم.. لقد مد يده إلى الأيـادي الآثمـة، وراح يشـجعها على وقاحتها.. بل راح ينافسهم في السباب والسخرية.

قـــال: والشـــمس لن تنحجب عن البابـــا كمـــا لن تنحجب عن غيره.. أليس البابا خلق من خلق اللـه!؟.. أليس اللـه هـو الـرحمن الرحيم الذي جعل شمس محمد رحمة للعالمين!؟

قلت: بلى.. فقـد قـال اللـه تعـالى: وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَالَمِينَ (الانبياء:107)

قال: فشمس محمد تشرق على البابا، كما تشرق على غيره.

قلت: ولكنه ملأ قلوبنا أحقادا وضغائن، فكيف تقول هذا؟

قال: ألم يكن هناك أعداء كثيرون لمحمد رموه بما رماه به البابا، وبما لم يرمه به؟

قلت: بلى.. هم كثيرون.. فمن قومه من رماه بالجنون والسحر.. ومنهم من رمى القمامات على جسده الشريف.. ومنهم من مد يده الآثمة ليقتله.

قال: أليس من هؤلاء من نالته أشعة محمد، فنعم بدفئها وحنانها؟

قلت: أجل.. كثيرون هم.. يبدأون بسبه، وينتهون بحبه.

قال: فلم لا يكون البابا مثل هؤلاء.. يكون سبهم مقدمة لحبهم.. ويكون شكهم مقدمة لإيمانهم.. بل لإيمان الملايين الذين يدخلون في دين الله أفواجا؟

قلت: أجل.. ولكن البابا مختلف.. إنه مختلف تماما.. هو يمثل دينا من الأديان يتربع على مساحة هائلة من الأرض.. وهو يظفر لذلك من التقدير والمحبة والجاه ما لا يظفر به جميع ملوك الدينا.. وهو.. ؟

قاطعني قائلا: وهل يمنع كل ذلك من فضل الله أن يمتد إليه كما امتد لغيره.. ألم يمتد فضل الله إلى السحرة الذين دخلوا بأمنية واحدة هي أن يهزموا موسى.. ولكنهم خرجوا، وقد نالتهم أشعة موسى التي أطفأت الظلمات التي تقبع فيها أرواحهم؟

قلت: صحيح هذا.. وقد ذكره القرآن الكريم، وكرر ذكره.

قال: لم يكرر ذكره إلا لتعتبروا.. فكما أن السحرة يمكن أن يؤمنوا، فغيرهم ممن هو دونهم أو فوقهم يمكن أن يؤمن.. فلا تحجبوا أحدا عن شمس الله التي تمتد إلى الآفاق.

قلت: صدقت في هذا..

قال: فأخبر قومك أن الله التواب الهادي النور الرحيم لا تنحجب شمس نوره ورحمته وهدايته وتوبته عن الكل.. ولو أنك تصورت أن أحدا من الخلق أعظم من أن يناله الله بنوره ورحمته وهدايته وتوبته، فقد اتهمت الله وعظمت المخلوق.

قلت: أجل.. وكل قومي يؤمنون بهذا، ولا يحتاجون مني أن أذكرهم.

قال: هم يذكرون ذلك، ولكنهم يغفلون عنه.

قلت: ما تقصد بغفلتهم؟

قال: أراهم يسلمون للقضايا، وينكرون مستلزماتها، بل ويشاحنون فيها.

قلت: ما تقصد؟

قال: ما كنا نتحدث عنه.. أرأيت لو أنك دعوت قومك إلى استعمال أسلوب آخر مع هؤلاء الجاحدين الذين واجهوا رسول الله بالمحاربة؟

قلت: وما هو هذا الأسلوب؟

قال: أن ترسلوا مثلا لمن رسم الرسوم الساخرة لرسول الله ﷺ رسالة هادئة مضمخة بمسك طيب تقولون له فيها: نحن نعذرك يا أخي.. فقد وصلتك أنباء كاذبة عن الشمس التي نستدفئ بأشعتها.. فلذلك أنت لم تتصرف من منابع الحقد، وإنما تصرفت من منابع الجهل والشبهة، فلذلك ندعوك لأن ترى نبينا، وتتعرض لأشعته، لترى الحقيقة من منابعها.. تصرف كما تصرف السحرة الذين ألقوا حبالهم، فالتقمتها عصا موسى.

ولا تكتفوا بذلك، بل أرسلوا إليهم بدموعكم تعتذورن إليهم بها.

قلت: ما تقول؟.. هم الذين يعتذرون، أم نحن الذين نعتذر؟

قال: لولا تشويهكم صورة نبيكم، وتشويهكم دفء الأشعة الـتي يرسلها ما وقع الساخرون فيما وقعوا فيه.. لـذلك كنتم أنتم سـبب حجابهم.. وكنتم أنتم سبب سخريتهم.. ولـذلك كنتم أنتم سـبب مـا وقعوا فيه من الإثم.. والخلق الذي علمكم إيـاه رسـولكم يـدعوكم إلى الاعتذار لهم.

قلت: فمـا نقـول لهم في اعتـذارنا.. أو مـا عسـاها دموعهـا أن تقول لهم!؟

قال: ألم يقص عليكم ربكم قصة امرأة العزيز؟

قلت: بلى.. فأي حاليها تريد؟

قال: عندما طلب منها الملك أن تدلي بشـهادتها حـول يوسـف ﵇.. ماذا قالت؟

قلت: لقد قالت ـ كما ذكـر القـرآن الكـريم ـ :﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِـالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف:51 ـ 52)

قال: فهل كان في كلامها براءة يوسف ﵇ مما اتهموه به؟

قلت: أجل.. ولذلك لم يرض يوسف ﵇ أن يخرج قبل أن تثبت براءته.

قال: لم ؟

قلت: حتى لا يتعرض لأي سخرية أو استهزاء.

قـال: فقـد كـانت امـرأة العزيـز الـتي خانتـه هي الـتي أثبتت براءته؟

قلت: أجل..

قال: بنسبة الخيانة إليها لا إليه.

قلت: ذلك واضح، وقد صرحت به الآية.

قال: فكذلك فافعلوا.. ولا تكونوا أقل شهامة من امرأة العزيز.. اخرجوا للعالم.. وقولوا بأعلى صوتكم: اعذرونا يامن تسكنون هــذا العالم.. لقد خنا نبينــا.. لم نسـتطع أن نعطي صـورة حسـنة عنـه.. ولم نف بالعهود التي عهد إلينا بهـا.. فلـذلك لكم أن تسـبونا نحن.. ولكم أن تسخروا منا نحن.. أما نبينا فهو الطهر والصــفاء والصــدق والإخلاص.. ولا يحق لكم أن تسبوا هذه المعاني السامية.

قلت: أنرسل بمثل هذا الكلام لهؤلاء الساخرين؟

قال: أذيعوه على العالم أجمع حـتى لا تكونـوا حجبـا بينهم وبين أشعة محمد ﷺ.

قلت: وهل ترى ذلك مجديا؟

قال: لا يضرك أن يجدي ذلك أو لا يجدي، فالهدايـة بيـد اللـه، لا بيدك ولا بيد غـيرك.. واللـه هـو الـديان.. فلا تزاحمـوا اللـه دينونتـه لعباده.

قلت: ولكن قلوبنا الفائضة بحب رسول الله.. كيـف ترضـى أن يدنس أو يسب؟

قال: رسول الله أرفع من أن يسب أو يدنس.. هو كالشــمس.. تراها، وتستفيد منها، ولا تعيش من دونها.. ولكنك مـع ذلـك لا تحلم بأن تصل إليها، فأشـعتها ونورهـا أعظم من أن تصـل إليـه الأوهـام والأحلام.

قلت: أجــل.. ولكن الحــرارة الــتي تتقــد في قلوبنــا تمنعنــا من ممارسة ما دعوتني إليه من أساليب؟

قال: أليس المحب مطيعا لحبيبه؟

قلت: أجل.. فلا حب لعـاص.. وقـد قـال تعـالى: قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ (آل عمران:31)

قال: فقد مارس رسول الله ﷺ هذا الأسلوب مع الـذين رمـوه بما رموه به من صنوف السخرية والاستهزاء.. ألم يرد في السيرة الإخبار عن إسلامهم بعد ضلالهم، وحبهم لنبيهم بعد بغضهم له؟

قلت: صحيح هذا.. والسيرة تمتلئ بأخباره.

قال: ليست السيرة التي تدرسونها فقط.. بـل الحيـاة جميعـا.. فمحال على العقل والقلب والروح التي تتعـرض لأشـعة محمـد ﷺ أن ترغب عنها.. إنها أشعة تأسر الكيان كله.

قال ذلك بلهجة ممتلئة أشواقا.. نظرت إليه، وهـو واقـف أمـام بـاب داري، فاسـتحييت، وقلت معتـذرا: اعـذرني.. لقـد انشـغلنا بالحديث عن رسول الله ﷺ عن واجب إكرامي لك.

قال: ألا تسألني عني؟

قلت: لاشك أنك ولي من أولياء الله..

قـال: كـل من تعـرض لشـمس محمـد ﷺ نـال من ولايـة اللـه وتقريبه ما لم يكن يحلم به.

قلت: فمن أنت منهم؟

قال: البابا..

قلت: أي بابا؟ .. وما بابا؟

قال: بابا الفاتيكان.

قلت: أتسخر مني يا ولي الله؟

قال: معاذ الله أن أسخر من أحد بعد سخريتي من رسول الله ﷺ.. فقد جعلت وفاء توبتي بيني وبين ربي أن لا أسخر من أحد من خلقه.

كدت أسقط، وأنا أستمع لكلامه، قلت: أحقا ما تقول؟.. أأنت البابا؟.. بابا الفاتيكان.. الذين يقولون عنه (قداسة البابا)

قال: لقد كانت هذه القداسة التي ينسبونها لي هي الحجاب الأعظم الذي حال بيني وبين نور محمد.. ولكني تخلصت منها.. وقد أعطاني الله أشرف وسام بعد تخلصي منها.. لقد أعطاني وسام العبودية.. فأنا الآن عبد الله.. لقد طرحت بطرحي لتلك القداسة جميع الحجب التي كانت تحول بيني وبين الله.. وبيني وبين الكون.. وبيني وبين محمد.

قلت: لا أكاد أصدق ما أسمع..

قال: من عرف الله، وعرف قدر الله، وعرف فضل الله لم يتعجب من شيء..

قلت: ولكن من كان يصدق أن يسلم البابا.. ذلك الذي أقيمت المظاهرات العريضة تندد به، وتحرق صوره..

قال: دعهم يحرقوا صوره.. فهم يحرقون الكبرياء التي كانت تحول بينه وبين أشعة محمد.. لقد قمت بإحراق صوري.. وإحراق ثيابي.. وإحراق كل ذلك الجاه العريض الذي كان يحول بيني وبين منابع النور والهداية والحقيقة.

قلت: ولكني لا أزال أرى البابا يحمل صليبه، ويرتدي طيلسانه.. كيف هذا.. هل أنت شقان.. شق معي.. وشق في الفاتيكان يحكم رعيته التي تمتد في الأقاليم السبعة.

قال: لا.. البابا واحد.. وهو الذي يقف أمامك.

قلت: والآخر.. الذي تنقل لنا وسائل الإعلام صوره.

قال: تلك قصة طويلة.. ولن تعرف آخرها حتى تسمع أولها.

قلت: فهل ستقصها لي؟

قال: أجل.. لقـد أمـرت بقصـها عليـك ليسـمعها العـالم.. لعلـه يتعرض لأشعة محمد التي تعرض لها البابا.. فيعود إلى الله كما عاد البابا.

قلت: ولكن العالم سينكر هذه القصة.. وسيضحك علي.

قال: لا ينبغي لمن تعرض لأشعة محمد أن يحجبه شـيء.. لقـد حجبتني الكراسي التي كنت أجلس عليها.. وحجبتني النياشين التي قلدوني إياها.. ولكني الآن حر.. لا يقيدني شيء.

قلت: فمن أمرك بقصها علي؟

قال: من جعله الله سببا لهدايتي.

قلت: فهو يعرفني إذن!؟

قال: لا شك في ذلك.

قلت: فمن هو؟

قال: أنا نفسي لا أعرفه.. لقد كان كالنور الذي نرى به، ولكنا لا نراه.. وإذا أردنا أن نلمسه لم نلمس إلا الهباء.

قلت: زدتني حيرة.

قال: لا حيرة لمن عرفه..

قلت: فصفه لي.

قال: لا يمكن أن أصفه بأكثر مما كان يصف نفسه.

قلت: فبم يصفها؟

قال: بالنقطة التي تحت الباء(1).

قلت: عرفتـه.. إنـه معلمي.. معلم السـلام.. مـا أعظم شـوقي إليه.. كيف تركته؟

قال: هو يأمرك بأن تحمل قلمـك وقراطيسـك، وتكتب كـل مـا أمليه عليك من قصتي.

قلت: سـمعا وطاعـة لمعلمي.. فهلم معي إلى محـل صـالح نجلس فيه، لتحدثني عنك.. وتحدثني عن الأشعة التي تعرضت لها.

***

لست أدري ... هل كانت هذه القصة الـتي حـدثني حـديثها البابـا حلما جميلا رأيتـه وتلـذذت برؤيتـه ... أم هي حلم من أحلام اليقظـة أفرزته حالة الحزن التي عشتتها بعد ما سمعت تصـريحات البابـا ... أم هي قصـة واقعيـة حـدثت لي، لم تفطن لهـا وسـائل الإعلام لتنشرها ... أم هي قصة واقعية لم تحدث بعد، ولكنها سـتحدث بعـد حين؟

ولا يهمني أي واحد من هؤلاء كان ... ولكني أعلم أن البابا وغـير البابا لو مر بتجربة هـذا البابـا الـذي جـاءني وحـدثني، فسـينال من أشعة محمد ﷺ ما شمل العالمين.

وأنا من منطق الأشعة التي نلتها بفضل الله من شمس محمـد ﷺ لا أحب للبابا، ولا لرسامي الرسوم السـاخرة، ولا لمن يبـدعون الفنون في سب محمـد ﷺ، ويقيمـون المسـابقات المغريـة لأجـل ذلك، إلا أن يتعرضوا لأشعة شمسه ﷺ.. وسـيكتفون بـالتعرض لهـا عن كل جواب أو جدل.

ومن هذا المنطق أخاطب إخواني الـذين امتلأت قلـوبهم غـيرة

1) هذه إشارة كان يستعملها كثير من الصـالحين للدلالـة على العبوديـة، وقـد جعلناهـا رمزا لمعلم السلام، ولمن تحقق بمعاني السلام الشامل.

على رسـول اللـه لأقـول لهم: لكم أن تغـيروا على رسـول اللـه.. ولكم أن تفعلوا كل ما تنتجه هذه الغيرة من نتـاج.. ولكن لا تفعلـوا شيئا واحدا.. لا لأنه يؤذي هؤلاء الساخرين، ولكن لأنه يؤذي رسـول الله.. لا تقفوا حجابا بين شمس رسـول اللـه وبين هـؤلاء النـاس.. فرسول الله ليس رحمة خاصة بكم.. ولكنه رحمة للعالمين.

***

اتخذنا مجلسا صالحا في البيت.. وراح البابا يغـوص في حديثـه، قال:

كل قصتي تتلخص في ثلاثة نفر: أنا ورجلان.

أما أنا.. فرجل ولد في حضارة تمتلئ بكـل المغريـات.. فعـزف عنها وولى وجهه نحو قبلة العقل والروح والكمال.. فلذلك لم أهتم بمــا يهتم بــه أتــرابي من مغريــات تحــول بينهم وبين البحث عن الحقائق.

ومع ذلك.. فقد كان لي عقل حرون لا يكاد يسلم لشيء.. فهـو يجادل ويناقش ويبحث.. لا يكل في ذلـك، ولا يمـل.. ثم لا يقتنـع إلا بعد أن يرده اليقين الذي لا يشك فيه.. والحـق الـذي لا يمازجـه أي باطل.

البعض يشبهني بالعقل المجرد.. ولكني لا أرى نفســي كـذلك.. فمع أني إنسان عقلاني بطبعي إلا أن البيئة الدينية والدنيويـة الـتي عشتها جعلت عقلي معقولا عن التسليم.. وهذا ما جعلني أتأخر مع التسليم للحق.. مع توفر كل دواعي التسليم له.

هذا هو أنا.. وهذا سر تعرضي لتلك الأشعة الكثيرة من شــمس محمد.. فقد كان لي من الكثافة ما يتطلب أشعة كثيرة تخرق ذلك الجدار الصلب الذي يجثم على قلبي وروحي.

هذا هو أنا..

أمـا الرجـل الأول، فقـد كـان أخي التـوأم، ولا يعرفـه أحـد من الناس إلا خاصة خاصتي، وقـد كـان لـه من الشـبه بي مـا يجعلـني أشك في نفسـي، بـل أحيانـا أشـعر أني لسـت غـيره، فقـد كـانت خواطرنا تتوارد في المواضيع الواحدة.. ولكن أخي هذا مع ما أكنــه له من احترام كان هو الحجاب الأعظم الذي حـاول كـل جهـده أن يمنـع سـريان أشـعة شـمس محمـد للوصـول إلى نفسـي وقلـبي وعقلي وروحي..

أما الرجل الثاني، فهـو صـاحبك الـذي حـدثتك عنـه، وقـد كـان يأتيني، فلا أعلم من أين جاء، ويذهب، ولا أعلم أين انصـرف.. وفـد كان هو النور الـذي دلـني على أشـعة محمـد.. ولم أكن أتحـرك إلا بهدايته ودلالته.

هؤلاء هم الذين قـامت عليهم حيـاتي، وهـؤلاء هم الـذين تـدور عليهم رحلاتي التي رحلتها للوصول إلى أشعة محمد.

قلت: عرفت أبطال قصتك.. فمن أين مبدؤها؟

قال: من رؤيا رأيتها.. فأحيانا تتلخص حياة الإنسان في رؤيا.

قلت: صدقت، وقد ذكر الله عن يوسف ﵇ أن حياتــه لخصـت في رؤياه التي قصها الله تعالى علينا، فقال :﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لَأَبِيـهِ يَـا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَـدَ عَشَـرَ كَوْكَبـاً وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:4)

قـال: هـذه رؤيـا يوسـف ﵇.. أمـا رؤيـاي الـتي انطلقت منهـا رحلتي، فهي أني رأيت العذارء.. وهي في جمال الشـمس، وأنـوار القمر، وحلاوة الربيع..

قلت: بورك لك هذه الرؤيا.. فنعم من رأيت.

قال: رأيتهـا تنظـر إلي بنـوع من الشـفقة والرحمـة، وقـد كنت حينها أكابد من البرد والظلمة والألم مـا لا يتحملـه البشـر.. صـحت

فيها مستغيثا: يا مريم المقدسة.. دليني على أشعة الشـمس الـتي تطفئ ظلمتي، وتذهب هذا الزمهرير الذي تكتوي به أعضائي.

فـالتفتت إلي، وقـالت: ابحث عن الشـمس الـتي بشـرت بهـا الأنبياء، وتحطمت أمام أشـعتها الطـواغيت.. ومن أفواههـا سـارت الكلمات المقدسة.

ابحث عن الشمس التي فتحت لها خزائن العلوم، وخرقت لهـا أسوار الأقدار، وامتلأت القلوب حبا لها، وشوقا إليها.

ابحث عن الشمس التي هي رحمة وعدل وسلام.

ابحث عن الشـمس الـتي تبشـرك بحقيقـة الوجـود وحقيقـة الإنسان، وحقيقة الحياة(1).

فلن ينقذك من بردك وظلمتك إلا هذه الشمس.

قلت: من هي هـذه الشـمس أيتهـا القديسـة المنـورة بـأنوار الحقائق؟

قـالت: سـر.. واخلـع نعليك(2).. فسـوف تجـد من يـدلك على الطريق.. فقد جعل الله لكل ضال هاديا.. ولكل جاهل معلما..

قلت: فعلميني أنت..

قالت: لكل معلمه الذي يتعلم منه..

ثم انصرفت.. وقد تركتني محتارا في رؤياي، لا أجد لها تـأويلا.. ولا أجد من ألجأ إليه ليفسرها لي.

في الصـباح جـاءني أخي التـوأم الـذي يشـبهني وأشـبهه، فقصصتها عليه، وسألته عن سـرها، فسـكت برهـة، ثم قـال: ليس

1) في هذه الكلمات إشارة إلى الكتب المتعلقة بهذا الباب من سلسلة [حقائق ورقائق]

2) خلع النعلين إشارة إلى التخلص من كل الحجب التي تحول بين الباحث والحقيقة التي يبحث عنها.

هناك غير المسيح.. ولن يخلصـك غـير المسـيح.. فلا تبحث عن أي أشعة.. فليس هناك غير شمسه.

قلت: ولكنها ذكرت أشياء كثيرة.. أشياء كثـيرة لا أراهـا تنطبـق على المسيح الذي أعرفه.

نظر إلي نظرة فيها بعض القسوة، وقال: لا تشـتغل بـالأحلام.. واشتغل بما يقربك من المسيح.. فمن اقترب من المسيح نـال من أشعته ما يحميه من كل ظلمة، ويدفئه من كل برد.

قلت: فكيف أقترب من المسيح؟

قـال: هـو ذا الكتـاب المقـدس أمامـك.. وهي ذي أسـفار القديسـين تمتلئ بهـا مكتبـة بيتـك.. وهي ذي الكنيسـة تعج بالمصـلين.. فالأجـأ إليهـا، وتعلم من المسـيح كيـف تصـل إلى الخلاص..

قلت: ولكـني لا أجـد في نفسـي رغبـة في ذلـك.. فأنـا عقلي بطبعي.. وليس لي من الميل للتدين ما يجعلني أغوص فيما تذكره لي.

قال: لا تنحجب بعقلك.. وسـر نحـو المسـيح ليعلم عقلـك مـاذا يقرأ، وكيف يقرأ.

قلت: أأعزل عقلي؟

قال: إن عزلك عقلك عن المسيح، فاعزله، فلا خـير في عقـل يحول بينك وبين ملكوت الله.

قلت: ولكن عقلي من خلق الله، ومـا طبـع فيـه من علـوم من تعليم الله.

قال: ولكن عقلك قـد تعشـش فيـه الشـياطين، وتنفخ فيـه من الوساوس والأوهام ما يحول بينك وبين الخلاص.

قلت: أترى من يعتمد على عقله لن يصل إلى الخلاص؟

قال: من اعتمد على عقل يحجبه عن المسيح لن يصل إلى الخلاص.. فحقائق الإيمان أعظم من أن تسلم لها العقول، أو تصل لها العقول.

قلت: أنا أوافقك في عدم وصول العقل لحقائق الإيمان.. ولكن التسليم لها يحتاج إلى العقل.. وإلا لجأنا إلى الخرافة.

قال: أعظم خرافة هي الركون إلى العقل..

قال ذلك، ثم انصرف.. لست أدري هل اقتنعت بكلامه، أو لم أقتنع، ولكني وجدت نفسي أسير رغم عقلي لأقرأ كل ما سطر في مكتبة بيتنا الواسعة.. وكنت إذا ما اشتد علي شيء، أو أشكل علي أمر، ألجأ إلى رجال الكنيسة، فيفسرون لي ما أشكل علي.. وأقتنع بما يقولون، ولا أبالي بما يقول عقلي..

ظللت هكذا عشر سنوات.. وأنا لا همة لي إلا البحث في الأسفار، والتعمق في محاولة فهم أسرار المسيحية.

لا أكتمك أني أحب المسيح.. ولكني لم أكن أشعر حوله بما يقتضيه الإيمان المسيحي.. لقد كان في عقلي من التمرد ما يجعلني في معاناة مستمرة.

كنت أشعر أن الألوهية وما تقتضيه من صفات، وما تفعله من أفعال أعظم من أن تختصر فيما نعتقده نحن من إيمان.. كنت أنظر إلى الكون وامتداده، فأراه أوسع من التصورات التي نحملها عنه، وعن الإله الذي يمسك به.

لكني لم أكن أجسر على التصريح بهذا، بل لم أكن أجسر على التفكير به، وكنت أتعذب بذلك الضعف الذي يجعل روحي تتشتت شتاتا خطيرا.. فالمنطق الذي زعمت صلته بالإيمان كان منقطعا في نفسي انقطاعا لا يطمع معه في أي وصال.

ذات يـوم جـاءني أخي مستبشـرا، وهـو يقـول: إن البابـا.. بابـا الفاتيكان سيزور قريتنا.. وسنتشرف برؤياه، ولعلنا ننال من بركاتـه ما ننعم به إلى آخر الدهر.

في تلك الأيام كانت قريتنا مزدانة بكـل أنـواع الزينـة، بـل كـان الناس من القرى المجاورة، والمدن المجـاورة، والـدول المجـاورة يحجزون غرفا لهم في قريتنا، مما نشط اقتصادها، وملأها بالحيوية والنشاط.

في ذلك اليوم الموعود الذي ازدانت له السماء والأرض، دخــل البابا قريتنا بتلك الهالة التي تحيط به من الوقار..

كان موكبا فخما اهتزت له القلوب.. وقـد كـانت التراتيـل الـتي تتردد تملأ القلوب بأشواق عظيمة.. وكنت أرى الرجال الكبار الذي يملأون النفس مهابة صغارا بين يدي البابا، يـتزاحمون على رؤيتــه، والمحظوظ منهم من نال من بركاته.

في ذلك اليوم دخل بعد جديد حياتي..

لقد كنت طموحا.. وكـان طمـوحي هـو الـذي حـال بيـني وبين التخصص في الدراسات الدينية.. ولكني اليـوم رأيت مـا فيـه البابـا من الجاه الذي لا ينعم به إلا من هو مثله..

لقد طمحت في ذلك اليوم أن أصير بابا.. ولذلك حـولت مسـار حياتي كلها ليسـير نحـو هـذا الاتجـاه.. وقـد كـان لهـذا فضـله على تنعمي بالتعرض لأشعة محمد.. وقد كان كذلك الحجاب الذي حــال بيني وبينها.

في ذلك المساء، سألت أخي: كيف يصير المرء بابا؟

ضحك، وقال: وهل تريد أن تصير بابا؟

قلت: لا أكتمك.. لقد كان للبابا من الاحترام ما يجعل الكل يحن لمنصبه.

قال: أنت مثلي.. فالبابا هو أقرب الناس إلى المسيح.. إنه وريث بطرس.. وبطرس تلميذ المسيح.. ولذلك أحن لأن أصير بابا.

كان أخي مخلصا في طلبه.. ولكني لم أكن أطلب إلا الجاه الذي ينالني من ذلك المقام الذي يتربع عليه البابا.

قلت: فكيف أصل إلى أن أصير بابا؟

قال: ذلك أمر صعب..

قلت: أهو مستحيل؟

قال: لا.. الصعب ليس مستحيلا.

قلت: فماذا أفعل؟

قال: أولا.. لا بد أن تحوز من العلوم ما يجعلك أهلا لهذا المنصب.

قلت: قد حزت الكثير منها.

قال: لا زال الكثير في انتظارك..

قلت: هذا يسير.. فما غيره؟

قال: أن تصير حواريا.

قلت: كيف أصير حواريا.. وقد مضت السنون الطوال بيننا وبين المسيح؟

قال: تسير في الأرض كما سار الحواريون.. وتقطع المفاوز والقفار تبشر بما بشر به الحواريون.

قلت: أأتغرب عن أهلي؟

قال: لن تثبت صدقك إلا بتغربك عن أهلك.

قلت: هذا صعب.. ولكني أطيقه.. فماذا أيضا؟

قال: أن تخدم الكنيسة.. فخدمتك الكنيسة تجعلك تترقى في مراتبها.. وهو ما يخول لك الوصول إلى الفاتيكان.. ومنه إلى كرسي البابوية.

قلت: كيف أحصل على هذا؟

قال: لا عليك.. هذا اتركه لي.. وسوف أرتقي بك في درجات الكنيسة ما يجعلك أهلا للوصول إلى ما تحلم به.

قلت: البابا واحد.. فلماذا تسعى لي، ولا تسعى لنفسك.

قال: أنا أنت.. إن وصلت أنت وصلت أنا.. والمجلس الذي تجلس فيه أنت أجلس فيه أنا.. وإذا مرضت أنت خلفتك أنا.. وإذا أفسدت أنت أصلحت أنا .. ألسنا توأمين لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة حدس أن يفرق بيننا.

ضحكت، وقلت: هذا صحيح.

كان ذلك اليوم محطة مهمة في حياتي.. لقد سرت مع أخي إلى الكنيسة، وهناك وظفت وظائف بسيطة فيها.. ثم تدرج بي الأمر، بعد أن لمسوا في الصدق والإخلاص إلى أن كلفوني بالسير لبعض البلاد العربية، بلاد الشام الجميلة.. لأنقذ أقلية من المسيحيين هناك تعرضت لزحف المسلمين.

وقد تعلمت لأجل ذلك اللغة العربية، وأتقنتها، وتعلمت من فنون الحوار ما يجعلني أهلا لهذا الوظيفة.

امتطيت الطائرة السائرة نحو تلك البلاد.. وفيها تم لقائي بالرجل الذي أرسلني إليك، والذي كان يظهر متى شاء، ويختفي متى شاء.

جلست على كرسي في الطائرة، لا أزال أذكر ذلك، ولا أحسب أني أنساه، وقد ولد في نفسي عزم عظيم، وهمة لست أدري

سرها.

لقد ذكرت رؤياي لمريم ـ والتي لم تكن تغادر ذهني ـ وصممت على أن أبحث عن سرها، بعـد أن سـرت في طريـق الـدين الـذي كانت نفسي وعقلي تنفر منه.

وما استتمت هذه العزيمة في نفسي حتى التفت إلى الذي هـو بجانبي، فإذا بي أجـد صـاحبك، مشـرقا كالشـمس، هادئـا كصـفحة الماء التي لم تعبث بصفائها التيارات.

قال لي: وأخيرا.. صممت على البحث عن الأسرار التي ذكرتها لك مريم الصديقة.

قلت: كيـف عـرفت ذلـك؟.. لقـد كـان هـذا الحلم بيـني وبين نفسي، ولم أبح به إلا لأقرب الناس إلي، والذي يكاد يكون نفسي.

قال: لا تسـأل عن الكيـف.. فـالكيف عقـال عقـل العقـول عن الوصول إلى الحقائق.

قلت: فهل تراك تستطيع أن تفسر لي حلمي؟

قال: أنا لست مفسر أحلام.

قلت: فلم سألتني عنه إذن؟

قال: لأدلك، فقد رأيتك خلعت نعليك، فسارعت إليك.

قلت: لقد ذكرت لي العذراء هذا.. ولم أكن أفهم ما ترمي إليه.

قال: لقد كـانت تـدعوك لتخلـع كـل مـا تعلمـه من علم ورثتـه، لتبحث عن الحقائق التي يعقلها العقل، لا التي يرثها.

قلت: أتريد مني العذراء أن أصبح جاهلا؟

قال: كل من تلقى العلم وراثة أو تقليدا، فهو جاهل، ولو اتشـح بطيالسة العلماء.

قلت: أراك تريد أن تزين لي ما لا يتزين أبدا.

قال: أرأيت لو دعتك نفسـك لأن تكتب شـيئا، فهـل تكتبـه على صفحة بيضاء، أم تكتبه على صفحة ملأتها كتابة؟

قلت: لا شك أني أبحث عن الصفحة البيضاء.

قـال: فكـذلك عقلـك وقلبـك لن يفهم الحقـائق والعلـوم، ولن يذوقها إلا بعد أن يتطهر كما تتطهر الأوراق البيضاء.

قلت: عرفت سر خلع النعلين، فمـا سـر الأسـرار الـتي دعتـني العذراء إلى البحث عن صاحبها؟

قال: تلك شمس عظيمة زين الله بها سـماء الحقـائق، لا تنـال بأشعتها شيئا إلا حولته جوهرا من جواهر النور، وياقوتة من يواقيت الهداية.

قلت: فمن هو؟

قال: لقد ذكرت لك أن دوري هو الدلالة، لا التعريف.

قلت: فما الفرق بينهما؟

قــال: الدلالــة تــدعوك إلى البحث والاجتهــاد، فتتعــرف على الحقيقة بعد أن تعاني الأمرين في الوصول إليها، أما التعريف، فهـو تلقين لا يختلف عن التقليد.

قلت: فلم لم تكن معرفا؟

قال: من لم يعـان في البحث عن الحقـائق لم يقـدرها قـدرها، ولم يذقها.. وقد يؤديه الإلف إلى الغفلة عنها.

قلت: صـدقت.. وإني أرى الرجـل الغـني الـذي كسـب المـال بجهده لا يكاد يفرط فيه مع كثرته، بينمـا أرى أولاده الـذين جـاءهم المال لقمة سـائغة، لم يبـذلوا فيـه أي جهـد، لا يكـادون يمسـكونه حتى يبذلوه من غير فائدة.

قال: فقس العلم على المال، وقس الحقيقة على العلم.

قلت: فما هي السبل التي أصل بها إلى تلك الأسرار؟

قـال: بـالبحث والنظـر والاسـتماع.. احـرص على أن يكـون سماعك أكثر من كلامك.. واحرص على أن يكون كلامـك بحثـا عن الحق.. لا جدلا يحول بينك وبين الحق.

قلت: ومن أين لي أن أجـد من أسـتمع لـه.. أتحسـبني ذاهبـا للجامعة لألاقي الأساتذة والطلبة؟

أنا ذاهب إلى عامة.. هم أحد طعام يأكله، أو شراب يشـربه، أو لباس يلبسه.

قال: لن تصل إلى الحقائق حتى تسـمع من العامـة والخاصـة.. ألا تـرى عنايـة اللـه بعبـاده متجليـة في الكائنـات، بـل في أبسـط الكائنات؟

قلت: أجل.. فعناية الله تمتـد لكـل شـيء، وتمـده بمـا يتطلبـه وجوده من حياة

قال: أترى هذه العناية التي وفرت لكل شيء حاجاته تغفل عن أي إنسان؟

قلت: كلا.. لقد أرسل الله ابنه الوحيد لينقذ العـالم.. وهـو أكـبر رمز لعناية الله بعباده.

رأيته وقد اشتد عليه ما سمعه، لكنه حـاول أن يسـتر ذلـك، ثم قال: من أراد أن يعرف الحقيقة، فعليه أن يتخلص من كـل حجـاب يحول بينه وبينها.

قلت: وما هي هذه الحجب؟

قال: الهوى، وطموح النفس، ونوم العقل.

قلت: أينام العقل؟

قال: النائم قد يستيقظ.. والخوف من موت العقل لا من نومه.

قلت: ولكن العقل قد يعقلنا عن المسيح.

قال: وقد يقربنا منه..

قلت: يستحيل هذا.. فالعقل أضيق من أن يعرف أسرار المسيح.

قال: وأسرار المسيح أعظم من أن نفهمها بعقول نائمة أو ميتة.. إننا نصير حينها كالمجانين.

قلت: أنت تخالف ما لقنته من علوم.. فمن أنت؟.. لكأني بي أعرفك.. وكأني بي لا أعرفك.

قال: من بحث فيما لا يعنيه، أوشغل عقله بما لا يغنيه، شغله الفضول عن الأصول، أوقطعه الفضول عن الوصول.

قلت: عن أي أصول.. وعن أي وصول؟

قال: الوصول إليه.. وأصول التعرف عليه.

قلت: على أي عائد تعود الهاء، فإني لم أرك تذكر قبلها شيئا.

قال: الهاء لا تعود إلا إليه.. فكل شيء يشير إليه.

قلت: دعني من كل هذا، فإني لا أكاد أفهم عنك شيئا، وأخبرني من أنت، وما ترمي من حديثك إلي؟

قال: أما السؤال الأول، فلن تطيق الجواب عنه، ومن الحماقة أن أحدثك فيما لا تعقل.

وأما الثاني، فلن تعرفه سره الآن، ولكنك ستعرفه بعد حين.

ما قال هذا حتى جاءت المضيفة تطلب منه أن يعطيها أوراقه، فسار معها.. ولم يعد.

كــان أول هــدف لي بعــد نــزولي من الطــائرة أن ألتقي بهــذا الرجــل الغــريب.. ســألت الكــل.. فلم يــدلني أحــد.. هــرعت إلى المضيفة التي طلبته لأسألها عنه، فضحكت، وانشغلت عني..

بشارة إبراهيم

في اليوم الأول خـرجت بـاكرا من الـبيت، وسـرت أتجـول في تلـك البلاد الجميلـة الـتي تمتلئ بـروائح القداسـة الـتي فـاحت بهـا أرواح النبيين.

ظللت فترة الصباح أسـير على غـير هـدى.. وقـد كـان أول مـا أفعله ـ على حسب ما تعلمت ـ هو التعرف على المنطقة، ثم على أهلها.

في منتصف النهار دب الجوع إلى بطني، فسرت طالبا مطعمـا أتغدى فيه.. لكن رجلا يبدو عليه الكرم ناداني طالبا مني أن أتغـدى عنده.

سرت إليه، وحاولت التعرف عليه، قلت له: من أنت؟

قال: عبد الله.. واسمي إبراهيم.

قلت: أأنت مسيحي؟

قال: أجل..

قلت: أنا مثلك.. مسيحي أبا عن جد.

قال: أنا لست مسيحيا فقط.. بل إبـراهيمي أيضـا.. ألا تـرى أن اسمي إبراهيم؟

قلت: كل مسيحي لا بد أن يكون إبراهيميا.. فإبراهيم من أنبياء العهد القديم الذين بشروا بالمسيح.

قال: وبشروا بمحمد..

انتفضت غاضبا، وقلت: ما تقول يا رجل.. كيف تكون مسـيحيا، وتقول هذا؟

رد علي بهـدوء: لأني مسـيحي أقـول هـذا.. فقـد تعلمت من المسـيح الصـدق والإخلاص، كمـا تعلمت من إبـراهيم التضـحية والإسلام..

قلت: تعلمت من إبراهيم الإسلام!؟

قال: أجل.. فإبراهيم هو رمـز الإسـلام الأول.. لقـد ذكـره اللـه تعالى فقال: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَـمَّاكُمُ الْمُسْـلِمِينَ مِنْ قَبْـلُ﴾ (الحج: 78)، ورد الله على تنازع الملل لإبراهيم، فقال :﴿ مَـا كَـانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُودِيّـاً وَلا نَصْـرَانِيّاً وَلَكِنْ كَـانَ حَنِيفـاً مُسْـلِماً وَمَـا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران:67)

قلت: أراك تكـذب، وأنت تـدعي الصـدق.. وتغـدر وأنت تـدعي الوفاء.

قال: ما كذبتك، ولا خنتك.

قلت: فلم زعمت أنك مسيحي؟.. وهـل يـترك المسـيحي كتبـه ليقرأ كتابا إنما هو هرطقات وترهات وأساطير؟

قال: رويدك.. فلا ينبغي أن نسخر بشيء لا نعلمـه.. المسـيحية تطلب منا احترام الكل.

قلت: أجل.. ولكن كيف تزعم انتماءك للمسيحية، وأنت تـرطن بنغمة أهل الإسلام؟

قال: أنا مسيحي أجل.. ولم أكذب في ذلك.. وإبـراهيمي.. وهـا أنت تـراني أبحث عن الأضـياف، كمـا كـان يبحث عنهم إبـراهيم.. وفوق ذلك أنا محمدي..

قلت: كيف يجمع المرء بين هذه المتناقضات؟

قال: أنا جمعت ببينها.. بل لم أعرف المسيح إلا بعد أن عـرفت محمدا.. لقد كان محمد هو دليلي إلى المسيح..

اسـمعني يـا أخي.. إن الصـورة الـتي يحملهـا المسـلمون عن المسيح أشرف بكثير من الصورة التي يخملهـا المسـيحيون عنـه.. ولذلك، فالمسلمون أقـرب للمسـيح وأجـدر بـه من الـذين يـدعون انتسابهم للمسيح.

قلت: ما الـذي رغبـك في الإسـلام حـتى تـركت من أجلـه دين آبائك وأجدادك؟

قال: أنـا لم أتـرك دين آبـائي وأجـدادي.. ولكـني صـححت دين آبائي وأجدادي.. أما عن سؤالك.. فإن العمر جميعا لا يفي بالجواب عنه.. ولكني سأحدثك عن سر اختياري لاسم إبـراهيم لأتسـمى بـه بعد الإسلام:

لقد كان إبراهيم هو النبي الذي أعطاني المفتاح الذي أدخل بـه عالم محمد، وهو المصباح الـذي اسـتنرت بـه للوصـول إلى أشـعة محمد.

قلت: كيف ذلك؟.. هل زارك إبـراهيم في الـرؤى كمـا زارتـني العذارء؟

قال: الرؤى تختلط فيها الحقائق بالأوهـام.. ولكنـه تـرك وصـية يقرؤها الكل، ويعرض عنها الكل..

قلت: أين هي؟

قال: في الكتاب المقدس.. الكتاب الذي تقرؤونه وتنتقــون في قراءته، وتفهمونه، وتتملصون من فهمه.

قلت: أين ذلك في الكتاب المقدس؟

قال: في مواضع منه.. وسأذكر لك أمثلة تشير إليه(1).

---

1) رجعت في هذه البشارات وتفسيرها إلى مراجع كثيرة من أهمها:

1. إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

2. الفارق بين المخلوق والخالق لعبدالرحمن باجه جي.

بركة إسماعيل:

قلت: حدثني.. فلعلك وقعت في شبهة منعتك من فهم أغراض الكتاب المقدس.

قال: ألم يخرج إبراهيم ﷺ من أرض العراق إلى الأرض المباركة، أرض فلسطين؟

قلت: أجل.. وتذكر التوراة أن عمره كان حينذاك خمسة وسبعين عاما، ولما يولد له ولد حينها.. وقد بشره الله بعد خروجه، فقال: (أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض) (التكوين 12/2 - 3)

قال: فقد وعد إبراهيم ﷺ بأن يبارك له في ذريته.

---

3. البشارة بنبي الإسلام، لأحمد السقا.

4. نبي أرض الجنوب، ع. م / جمال الدين شرقاوى.

ومنها مصنفات المهتدين من أهل الكتاب:

1. الدين والدولة لعلي بن ربّن الطبري.
2. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان.
3. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية للمتطبب.
4. إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي.
5. مسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن الحسن الاسكندراني.
6. محمد ﷺ في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود.
7. محمد نبي الحق لمجدي مرجان.
8. محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد.

وغيرها.

ومنها بعض المواقع التي اهتمت بهذا الجانب، كموقع (الحوار الإسلامي المسيحي)، وموقع (العلامة أحمد ديدات)، وموقع (ابن مريم عن المسيح الحق).

بالإضافة إلى كتب كثيرة وجدتها في هذه المواقع، وخاصة كتب د. منقذ بن محمود السقار الكثيرة، والمنتشرة في هذه المواقع.

قلت: أجل.. وما ذكرته من سفر التكـوين يـدل عليـه.. بـل إنـه عندما ابتلى الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد يومذاك، فاستجاب وابنــه لأمـر اللـه، وحينهـا (نـادى ملاك الـرب إبـراهيم ثانيـة من السـماء، وقال: بذاتي أقسمت، يقول الـرب، إني من أجـل أنـك فعلت هـذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأكثر نسـلك تكثـيراً، كنجوم السماء وكالرمل الـذي على شـاطئ البحـر، ويـرث نسـلك باب أعدائه) (التكوين 22/1-17)

وقد ظل هذا الوعد بالمباركة مسـتمرا إلى آخـر أيـام إبـراهيم، فإنه عندما بلغ إبراهيم التاسعة والتسعين تجـددت البركـة من اللـه لإبراهيم، وقد جاء في الكتاب المقدس: (قال له: أنـا اللـه القـدير. سر أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهـدي بيـني وبينـك، وأكـثرك كثـيراً جداً.. أجعلك أبـاً لجمهـور من الأمم، وأثمـرك كثـيراً جـداً، وأجعلـك أمماً، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدي بيـني وبينـك وبين نسـلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً..) (التكوين 17/1 - 8).

قال: أليس إسماعيل الذي هو جد محمد من نسل إبراهيم؟

قلت: بلى.. بـل هـو ابنـه البكـر.. وقـد ورد ذلـك في الكتـاب المقدس، فعندما أذلت سارة هاجر، فهربت هاجر من وجه مولاتهـا (قـال لهـا ملاك الـرب: ارجعي إلى مولاتـك واخضـعي تحت يـديها. وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعـد من الكـثرة، وقـال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه: إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً يـده على كـل واحد، ويد كل واحد عليـه، وأمـام جميـع إخوتـه يسـكن " (التكـوين 16/11 - 12)

قال: لقد بشرها الملاك إذن بابن عظيم يسـود على كـل أحـد، لكنه أحياناً يكون على خلاف ذلك، فيتسلط عليه كل أحد.

قلت: أجـل.. وقـد ولـدت هـاجر ابنهـا إسـماعيل فكـان بكـراً لإبراهيم، كمـا ورد في الكتـاب المقـدس: (وكـان أبـرام ابن سـت

وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل) (التكوين 16/16)

قال: لقد وعد إبـراهيم بالبركـة في ذريتـه، فهـل شـملت هـذه البركة ابنه إسماعيل؟

قلت: أجــل.. فقــد طلب إبــراهيم من اللــه الصــلاح في ابنــه إسماعيل، ففي الكتاب المقدس: (قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك)(التكوين 17/18)، فاستجاب الله له وبشره بالبركـة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجــه سارة فقال: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أممــاً، وملوك شعوب منها يكونون.. وتدعو اسـمه إسـحاق، وأقيم عهـدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأمـا إسـماعيل فقـد سـمعت لـك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيسـاً يلــد، وأجعله أمة كبيرة)(التكوين 16/17-20)

قال: فقد وعد إبراهيم بالبركة في إسماعيل وإسحق.

قلت: أجل.. وقد ولد لإبراهيم أبناء آخرون من زوجتـه قطـورة، لكن اللــه لم يعــده بالبركــة فيهم، ففي الكتــاب المقــدس: (عــاد إبراهيم فأخذ زوجة اسـمها قطـورة، فولـدت لـه زمـران ويقشـان ومدان ومديان ويشباق وشوحا)(التكوين 25/1-2)

قال: إن كل ما ذكرته من البركات يتفق فيه الكتــاب المقــدس مع القرآن الكريم.. فالقرآن يقرر بركة وعهداً لإبراهيم في صالحي ذريته من ابنيه المباركين إسماعيل وإسحاق، حيث يقول : وَبَارَكْنَا عَلَيْـهِ وَعَلَى إِسْـحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَــا مُحْسِــنٌ وَظَـالِمٌ لِنَفْسِــهِ مُبِينٌ (الصافات:113)

ولكن هذه البركات ترتبط بصلاح الذريــة، لا بمجــرد كـونهم من نسـل إبـراهيم، فقـد قـال تعـالى: وَإِذِ ابْتَلَى إِبْـرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَامـاً قَـالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَـالَ لا يَنَـالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة:124)

قلت: وقد ورد في الكتاب المقدس هذا الشرط.. ففي الكتاب المقدس: (سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي..)(التكوين 17/1 - 2)، كما قال له:(إبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأني عرفته، لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به)(التكوين 18/18 - 19)

قال: فأنت تقر إذن بالبركة في كل من ذرية إسماعيل وإسحق..

قلت: أجل.. ولكنها تبدأ بإسحاق دون إسماعيل، وقد ورد في الكتاب المقدس: (ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق، الذي تلده لك سارة في هذا الوقت، في السنة الآتية) (التكوين 17/21)

قال: لا بأس.. لا يضرنا بمن تبدأ، ولا بمن تنتهي.

قلت: أجل.. لا يمكن أن أكابر في هذا.. فإسماعيل بورك كما بورك إسحق.

قال: فقد ظهر من بركات الله على ذرية إسحق كثير من الأنبياء، كما قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الجاثية: 16)

قلت: أجل.. فكل أنبياء بني إسرائيل كانوا من ذرية إسحق.

قال: فأين آثار البركة على ذرية إسماعيل الذي وعد في البركة في ذريته؟

قلت: نحن نتفق في أن بركة إسحاق هي النبوة والملك والكتاب والكثرة والغلبة، والتي نص عليها كتابكم، ولكن بركة إسماعيل تقتصر على تكثيره فقط، كما ورد في الكتاب المقدس: (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره

كثيراً جـداً، اثـني عشـر رئيسـاً يلـد، وأجعلـه أمـة كبـيرة)(التكـوين 17/20)

قال: هذه مكابرة.. فالكثرة وحدها لا تحمل أي بركة.. نعم نحن نقر بأن البركة بدأت بإسحق.. كما نص على ذلك الكتاب المقدس، فلذلك لم يظهر في العرب نبي طيلة الفترة بين إبراهيم ومحمد.

ولكن هذا التأخر لا يعني الإلغاء.. بل هو يعني شيئا أعمق وأكثر دلالة.

قلت: وما هو؟

قال: إن قصر النبوة في ذرية إسماعيل ﵇ في محمد ﷺ دليل على أهمية هذه الرسالة.. فالبركـة فيهـا قـد جمعت كـل البركـات التي فرقت على أنبياء بني إسرائيل.. هذه ناحية.

وناحية أخرى لها أهميتها هي أنه لو كان في ذرية إسماعيل من كان نبيا لربما اعتقد المكابرون بأن البركات انصـرفت إليـه.. ولكن اقتصار النبوة على محمد ﷺ دليل على أنه هو المبارك الموعود.

فلذلك يقال للمنكرين: دلونا على صدق الوعد الـذي وعـد اللـه به إبراهيم في حق إسماعيل؟

فإنهم لو بحثوا لم يجدوا غيره ﷺ دليلا على هـذه البركـة.. وقـد كان البحث في سلسلة ذرية إسماعيل هو الـذي هـداني إلى هـذا، وهداني بعده إلى الإسلام.

لقد ساد العرب المسلمون الأمم بمحمد ﷺ ودولته، وفيما عـدا ذلك كـانوا أذل الأمم وأضـعفها وأبعـدها عن أن يكونـوا محلاً لبركـة الله، إذ لا بركة في قبائل وثنية تكاثرت على عبادة الأوثان والظلم.

قلت: أراك تؤمن ببعض الكتاب، وتكفر ببعض.

قال: كيف ذلك؟

قلت: لقد نسيت أن تقرأ نصوصا مهمة في الكتاب المقدس توضح لك هذا الإشكال الذي وقعت فيه.

قال: وما هي؟

قلت: لقد نص الكتاب المقدس على أن الوعد في إسحاق وعد أبدي لن ينتقل إلى غيرهم، فقد جاء فيه: (فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً، لنسله من بعده.. ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية) (التكوين 17/19-21)، فقد نص على أبدية العهد، أي أنه يظل في بني إسرائيل إلى يوم القيامة.

قال: لقد ذكرت لي أن ذلك مشروط باستقامتهم.

قلت: أجل.

قال: فقد غيروا وبدلوا، وقتلوا أنبياءهم، وأنتم تذكرون أنهم صلبوا المسيح، فكيف يظل العهد محصورا فيهم؟

قلت: ولكن نص الكتاب المقدس ذكر الأبدية، فقال: (وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً)

قال: صحيح هذا.. ولكنه مشروط بالصلاح والطاعة.

قلت: وما تقول في لفظ الأبدية.. ألا يفيد الاستمرار إلى قيام الساعة؟

قال: لا.. لا يعني ذلك.. وإن عناه فهو مشروط بالاستقامة.

قلت: اسأل أي صبي من الصبية عن الأبد، فسيخبرك أنه الزمن اللامتناهي.

قال: لن أسأل الصبية، ولكني سأسأل الكتاب المقدس.

قلت: كيف ذلك.. فالكتاب المقدس لن يجيبك إلا بما أجبتك به.

قال: ألم تقـرأ في سـفر الملـوك: (فـبرص نعمـان يلصـق بـك وبنسلك إلى الأبد) (ملوك (2) 5/27)، فهل كان الأبد مقصودا هنا؟

سكت، فقال: لا.. لم يكن مقصودا.. ولـو كـان كـذلك للـزم أن نرى ذريته اليوم أمة كبيرة تتوالد مصابة بالبرص.

أخبرني متى انتهت مملكة سليمان.

قلت: انتهت مملكتـه منـذ مـا يربـو على 2500 سـنة على يـد بختنصر البابلي.

قال: ولكن سفر الأيام يعبر عن تلك الفترة القصيرة التي امتـد فيها ملك سليمان بالأبد، ألم تقرأ فيه: (وقال لي: إن سليمان ابنك، هو يبني بيتي ودياري، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون لـه أبـاً، وأثبت مملكته إلى الأبد) (الأيام 28/6)

قلت: بلى.. قرأتها.

قال: فـالمراد بالأبديـة هنـا الـوقت الطويـل فحسـب.. وأزيـدك شيئا.. لقد وقتَّ سـفر التثنيـة الأبديـة بمـا يسـاوي عشـرة أجيـال، فقال: (لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الـرب، حـتى الجيـل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعـة الـرب إلى الأبـد، من أجـل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء)(التثنيـة 33/3-4)، فالجيـل الحـادي عشـر للمـؤابي غـير محـروم من جماعـة الـرب، وهـو دون الأبـد والقيامة.

أخبرني.. في أي بلد يسكن الآن نبوخـذ نصـر، فـإني أرغب في زيارته؟

قلت: ما بالك.. لقد اختلطت عظامه مع تراب الأرض.

قال: فكيف ورد في الكتـاب المقـدس إذن: (فتكلم دانيـال مـع الملك: يا أيها الملك عش إلى الأبد)(دانيال 6/21)؟

سـكت، فقـال: إن الأبـد الـذي أراده الكتـاب المقـدس ليس

المقصود منه الأبد اللانهائي، أو الأبد المرتبط بالحياة الدنيا.. بل هـو أبـد مرتبـط بـالفترة الـتي تسـبق البركـة الـتي تظهـر على ذريـة إسماعيل.

وأقـول لـك: إن سـوء فهمكم لمعـنى الأبـد هـو الـذي جعلكم تحجـرون كـل البشـارات الـتي وردت في الكتـاب المقـدس على المسيح مع أنكم تتكلفون في ذلك.

قلت: دعنـا من هـذه، فهـذه البشـارة عامـة لا خاصـة، فهي لم تذكر اسما ولا صفة، بل ولا فردا.. بل هي بركة تشمل شعبا وأمة.. ويمكن تأويل ذلك بسهولة.

قال: أنا لا أريد أن أجادلك في هذا.. ولو أني أعلم أنك تعلم أنه لم يظهر في بني إسماعيل من هو أكثر بركـة من محمـد.. ولكـني مع ذلك أتجاوز هـذا لأدلـك على النصـوص الـتي لا يفهم منهـا غـير محمد.

قلت: محال هـذا.. لقـد قـرأت العهـدين.. ولم أجـد فيهـا اسـم محمد، ولا أي إشارة إليه.

حساب الجمل:

قـال: أتصـدق بمـا يفعلـه اليهـود من الاعتمـاد على حسـاب الجمل(1) في التعرف على النبوءات؟

1) حسَابُ الجُمَّل طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم، ويقوم حساب الجُمَّل في اللغة العربية، والذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أَبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أَبْجَدْ، هوز، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغٌ. ومجموعها ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، و تسعة للمئات، وحرف للألف.

فإذا قرأت عن حدث وقع في سنة (جمر)، مثلاً، فهذا يعني في حساب الجمّل أنّ الحدث قد وقع سنة (243)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (3)، والحرف (م) يقابله الرقم (40)، والحرف (ر) يقابله (200). فمجموع الحروف ج + م + ر = 3 + 40 + 200 = 243. فإذا زاد العدد على الألف (ويقابله الحرف غ) وُضع قبل الحرف (غ) حرف مناسب، فالخمسة الآلاف يقابلها (هغ) وهي تساوي (5 × 1000)، وأربعون ألفًا يقابلها (مغ) وتساوي (40 × 1000). وهكذا يكون تركيب أيّ عدد بالحروف التي تلائمه.

قلت: هم يفعلون هذا.. وقد يخطئون، وقد يصيبون..

قال: المهم أنه مسلك من المسالك المعتمـدة.. وأنـا لا أذكـره لك إلا تأكيدا لغيره من النبوءات.

ألم تقرأ ما جاء في الجزء الثالث من السـفر الأول من التـوراة أن الله تعالى خاطب إبراهيم ﷺ، فقال: (وأما في إسـماعيل فقـد

ويعتقد اليهود، وخاصة القبَّاليون منهم أن الأبجدية العبرية لها قداسة خاصة، ولها دور في عملية الخلق، وتنطوي على قوى غريبة قوية ومعان خفية، وبالذات الأحرف الأربعة التي تكوِّن اسم يهوه (تتراجرماتون)، فلكل حرف أو نقطة أو شرطة قيمة عددية.

ومن هذا المنطلق، فإن الحروف تنقسم عندهم بصفة عامة إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى الهمزة (رمز الهواء)، والمجموعة الثانية الميم (رمز الماء)، والمجموعة الثالثة الشين (رمز النار). وبإمكان الإنسان الخبير بأسرار القبَّالاه أن يفصل الحروف، ويجمع معادلها الرقمي ليستخلص معناها الحقيقي، كما كان من الممكن جَمْع الحروف الأولى من العبارات، وأن يُقرَأ عكساً لا طرداً ليصل المرء إلى معناها الباطني، وكانت هناك أيضاً طريقة الجماتريا.

وبذلك تصبح كلمات التوراة مجرد علامات، أو دوال، تشير إلى قوى ومدلولات كونية وبنى خفية يستكشفها مفسر النص الذى يخترق الرداء اللفظي ليصل إلى النور الإلهي الكامن. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري)

ونحب أن ننبه هنا إلى أن هناك حروفا اختلف في أرقامها يهود المشرق ويهود المغرب، والجدول التالي يذكر الرقم المعترف به عند يهود المشرق، أولا، ثم عن يساره الرقم المعمول به عند يهود المغرب، مع اعتبار أنَّ اللغة العبرية القديمة لا تحتوى على الستة أحرف الأخيرة (ثخذ ضظغ):

					9	8
			ص	ف	ع	س
50 ش 30	2 ي 4	ل 1 3	80 ه 8	8 1	7	9
ن 7 0	و 6 00	ق 5 ث 00	ك 4 0-90	ج 3 0	ب 2 0	أ 1 0-60
ع	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

قبلت دعـاءك، قـد بـاركت فيـه، وأثمـره، وأكـثره جـدا جـدا)، ففي التـوراة العبريـة ورد النص هكـذا: (ولشـماعيل. شـمعتيخا. هـني. بيراختى. أوتو. وهفريتى. أوتو. وهربيتي. أوتو بماد، ماد)

فهـذه الكلمـة (بمـاد مـاد) إذا عـددنا حسـاب حروفهـا بالجمـل وجدناه اثنين وتسعون، وذلك عدد حساب حروف (محمد) ﷺ فإنــه أيضا اثنان وتسعون.

قلت: أنا لا أؤمن بهذا كثيرا.. فقد يكـون مصـادفة، فلمـاذا يـرد مُلغّزاً مع إمكانية إيراده واضحا؟

قال: هذا أسلوب من أسـاليب الكتـاب المقـدس في نبوءاتـه.. بالإضافة إلى هذا، فإنه لـو صـرح بـه لبدلتـه اليهـود وأسـقطته من التوراة، كما أسقطت غيره من النصوص الصريحة.

بل يمكن أن يقال ـ على ما نعتقده من التحريف الـذي مارسـه اليهود مع هذه الكتب ـ بأن الله تعالى قد صرح به من قبل أن تغير التوراة، واليهود هم الذين غيروا الاسم الصـريح بـالرمز في مدينـة بابل، ليعرفوه هم أنفسهم إذا جـاء، ويسـهل عليهم جحـد نبوتـه إذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم.

قلت: أنت ترمي الغيب بسهام الظنـون.. فكـل مـا تـذكره من هذا الباب لا مستند له.

قال: لا.. لدي مستنداتي في ذلك، وقد كان السـموأل(1)، وهـو أحد أحبار اليهود المهتدين إلى الإسلام قد نبه إلى ذلك، ومثله فعل الحبر المهتدي عبد السلام في رسالته (الرسالة الهادية)

وقد أشرنا إلى هذا هنا لأنا سنعود إلى اعتماد هذا النوع من الحساب في البشارات التالية.

1) هو شموئيل بن يهوذا بن أيوب، الذي سـمى نفسـه بعـد إسـلامه : (السـموءل بن يحي)، فقد ذكر في كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود) تحت عنـوان : الإشـارة إلى اسمه ﷺ :« وحساب الجمل عرف في الأمم القديمة، وهو الحساب بالحروف الأبجديـة، فكل حرف أبجدي يُرمز له برقم. وتكمن أهميته في عدم كشف الخصم للأسرار » [انظر تفصيل ذلك في كتاب البشارة بنبي الإسلام لأحمد حجازي السقا: 1/135]

وقد ذكر هؤلاء أن اسم (محمد) ﷺ قد ورد في التوراة، في سياق بركة إسماعيل ﷺ بحساب (الجمل) ليعرف الناس أنه بظهوره يبدأ ملك بني إسماعيل.

قلت: لهم أن يقولوا ما يشاءون.. ولكني امرؤ صاحب منطق وعقل، وما كان لي أن أستسلم لمثل هذه الأوهام.. فبحساب الجمل تستوي الترهات والأباطيل مع الحقائق والمعارف.

قال: لا بأس.. لن ألح عليك في الاقتناع بهذا.. ولكني سأذكر لك إشارة أخرى تتعلق ببشارة إبراهيم، لن يفهم منها إلا محمد.

قلت: هاتها.. لنزيل عنك شبهتها.

قال: أو قل: لنتعلم منك علومها.. فلا يصح لمسيحي يخلص لمسيحيته أن يتكبر بما يعلمه.

قلت: قل قولك، ودعني من نصائحك، فلولا ثقتي في ديني ما قلتها لك.

برية فاران:

قال: أتعرف برية فاران؟

قلت: وكيف لا أعرفها.. ألم أقل لك: إني رجل دين.. لقد ورد ذكرها في التوراة، فقد جاء فيها أنه بعد فطام إسحاق، هاجرت هاجر وابنها وأنها (مضت وتاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار.. ونادى ملاك الله هاجر... قومي احملي الغلام، وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء.. وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر) (التكوين 21/17-21).

قال: فقد سكن إسماعيل ببرية فاران.

قلت: هذا ما تنص عليه التوراة.

قال: أنا لن أجدلك في مكان فاران، فستجد من يدلك عليها، ولكن.. ألم يرد التبشير بنبوءة تظهر فيها؟

قلت: أجل.. فقد جاء في الفصل العشرين: (أن الرب جاء من طور سينين، وطلع لنا من ساعير، وظهر من جبل فاران، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز، وحببهم إلى الشعوب، ودعا بجميع قديسيه بالبركة)

قال: هذه بشارة صريحة لا تنطبق إلا على محمد ﷺ.. ولكني لن أشرحها لك هنا.. فأنا إبراهيمي.. ولكني أريد أن أقنعك فقط بأن برية فاران محل من محال النبوة.. وأن ذرية إسماعيل التي استوطنت فاران محل صالح لها.

قلت: فنلترك هذه الإشارة للبحث.. فما كان لي أن لزمك بقولي، وما كان لك أن تلزمني بقولك.

قال: اسمح لي أن أسألك سؤالا له علاقة بمحل البشارة.

قلت: سل ما بدا لك.

قال: ألا تتحدث التوراة عن قصة أمر الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد؟

قلت: بلى.. وقد جاء في القصة التوراتية: (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، واذهب به إلى أرض المريا.. فلما أتيا الموضع... لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الله علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني... فدعا إبراهيم ذلك الموضع: (يهوه يراه) حتى إنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى.. يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة....) (التكوين 22/1 - 18)

قال: هل تعتقد حقيقة أن هذا النص لم يحرف؟

قلت: أنا لا أعتقد بتحريف نص في الكتاب المقدس.

قال: إن هذا النص لو نزعت منه اسم إسحق المقحم إقحاما على من ينطبق؟

قلت: ما كان لي أن أنزع لفظا ورد في الكتاب المقدس، وإلا كنت محرفا.

قال: بورك لك في حرصك على كتابك.. ولكن أخبرني: هل حصل في يوم من الأيام أن كان إسحق وحيدا لإبراهيم ؟

ترددت قليلا، ثم قلت: لا..

قال: وليس لك أن تقول غير ذلك.. فقد كان إسماعيل وحيداً لإبراهيم أربع عشرة سنة.

صمت قليلا، ثم قلت: ولكنه كان ابنا لجارية، ولم يكن ابنا لسارة.

قال: فهل ينفي ذلك عنه كونه ابنا لإبراهيم؟

قلت: لا..

قال: فأنت تقر إذن بما قلت لك..

قلت: ومع ذلك يظل ابن جارية.

قال: مع ما يحمله قولك من عنصرية مقيتة إلا أني أسلم لك.. لقد كان إسماعيل ابن جارية.. فهل تنتفي عنه البكورية لأجل ذلك حسب الكتاب المقدس؟

قلت: لا.. لا تنتفي عنه، فمنزلة الأم لا تؤثر في بكورية الابن ولا منزلته، وقد جاء في التوراة: (إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة، والأخرى مكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب

اثنين في كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته لـه حـق البكوريـة) (التثنية 21/15 - 17)

قال: بالإضافة إلى هذا، فإن إبراهيم تزوج من هاجر.

لم أحر جوابا، فقال: ومما يبطـل أن يكـون الـذبيح إسـحاق مـا عرفنا من قبل من أن إبراهيم قد وعد فيه بالبركة والذرية منه قبل ولادته، وأنه سيكون كعـدد نجـوم السـماء(1) فـالأمر بذبحـه لا ابتلاء فيه، لأنه يعلم أنه سيكون لهذا الابن نسل مبارك (2)..

سكت قليلا، ثم قلت: وما فائدة كل هذا التحقيق.. ومـا علاقتـه بالبشارة؟

قال: أردت أن أقول لـك بـأن في التـوراة إشـارة صـريحة إلى المحل الذي كان فيه إسماعيل، والـذي وعـد فيـه بالبركـة، وهـو لا ينطبق إلا على مكة، البلد الذي ولد فيه محمد.

قلت: كيف هذا؟

قـال: لقـد حـرف الـذين ورثتم منهم الكتـاب اسـم الـذبيح، فأدرجوه إدراجا في نص لا يحتمل غير إسماعيل.. ثم حرفـوا اسـم المكان المعظم الذي جرت فيـه أحـداث القصـة، فسـمتها التـوراة السامرية (الأرض المرشدة).. وسمتها التـوراة العبرانيـة (المريـا)، ولعله تحريف لكلمة (المروة)، وهو اسم لجبل يقع داخـل المسـجد الحـرام في مكـة المكرمـة اليـوم، أي في المكـان الـذي درج فيـه إسماعيل.

---

1) (انظر التكوين 17/21)

2) وهو ما صرح به المسيح حسب إنجيل برنابا الذي نذكره هنـا من بـاب الاسـتئناس، فقد جاء فيه:« قال لـه التلاميـذ: يـا معلم هكـذا كتب في كتـاب موسـى: إن العهـد صـنع بإسحاق؟ أجاب يسوع متأوهاً: هذا هـو المكتـوب، ولكن موسـى لم يكتبـه ولا يشـوع، بـل أحبارنا الـذين لا يخـافون اللـه. الحـق أقـول لكم: إنكم إذا أكملتم النظـر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا.. كيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسـماعيل ابن سبع سنين) (برنابا 44/1 ـ 11)، وفي التوراة المتداولة أن بينهما أربعة عشرة سنة. (انظر التكوين 16/16، 21/5)

بالإضافة إلى هذا، فقد اتفـق النصـان العـبري والسـامري على تسمية ذلك الموضع (جبـل اللـه)، ولم يكن هـذا الاسـم مسـتخدماً لبقعة معينة حينذاك.. لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بيناً فقال السامريون(1): هو جبل جرزيم(2)، وقال العـبرانيون: بـل هـو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون(3).

قلت: ما فائدة ذكر الخلاف في هذه المسألة؟

---

1) (السامريون): كلمة معربة من كلمة «شوميرونيم» العبرية، أي سكان السامرة. ويُشار إليهم في التلمود بلفظة «كوتيم» وتعني «الغرباء»، وكان يوسيفوس يسميهم الشكيميين نسبةً إلى «شكيم» (نابلس الحالية). أما هم فيطلقون على أنفسم «بنو يسرائيل»، أو «بنو يوسف»، باعتبار أنهم من نسل يوسف. كما يطلقون على أنفسهم اسم «شومريم»، أي «حفظة الشريعة»، باعتبار أنهم انحدروا من صلب يهود السامرة الذين لم يرحلوا عن فلسطين عند تدمير المملكة الشمالية عام 722 ق.م، فاحتفظوا بنقاء الشريعة.

وهناك نقط اتفاق بين السامريين واليهود الحاخاميين قبل ظهور القبَّالاه وحركات الإصلاح الديني اليهودي، فكلا الفريقين يؤمن بالله الواحد وباليوم الآخر والملائكة، لكن السامريين احتفظوا بقدر أكبر من الوحدانية التي تراجعت في اليهودية إلى أن اختفت تماماً تقريباً. وقد تبنوا الجزء الأول من الشهادة الإسلامية وهو « لا إله إلا الله »، وكانوا يشيرون إلى الخالق بلفظة «إل»، أو «أللا» القريبة من كلمة «الله»، ولكنهم كانوا أيضاً يسمونه «يهوه». كما كانوا يؤمنون بأن موسى نبي الله الأوحد وخاتم رسله وبأنه تجسيد للنور الإلهي والصورة الإلهية.

والكتاب المقدَّس عند السامريين هو أسفار موسى الخمسة، ويُضاف إليها أحياناً سفر يشوع بن نون.وهو ـ في عقيدتهم ـ منزل من عند الله، وهم لا يعترفون بأنبياء اليهود ولا بكتب العهد القديم. بل إن أسفار موسى الخمسة المتداولة بينهم تختلف عن الأسفار المدونة في نحو ستة آلاف موضع (ويتفق نص التوراة السامرية مع الترجمة السبعينية في ألف وتسعمائة موضع من هذه المواضع، الأمر الذي يدل على أن مترجمي الترجمة السبعينية استخدموا نسخة عبرية تتفق مع النسخة السامرية).وهم ينكرون الشريعة الشفوية، شأنهم في ذلك شأن الصدوقيين والقرّائين (ومن هنا التشابه بين الفرق الثلاث في بعض الوجوه).كما أنهم يأخذون بظاهر نصوص التوراة.

ويُعَدُّ السامريون جماعة شبه منقرضة. فهم أصغر جماعة دينية في العالم، فعددهم لا يتجاوز خمسمائة، يعيش بعضهم في نابلس، ويعيش البعض الآخر في حولون (إحدى ضواحي تل أبيب)(انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري)

2) جريزيم: جبل صخري يطل على الوادي الذي تقع فيه شكيم (نابلس فيما بعد). ويواجه جبل عيبال على ارتفاع 2849 قدماً فوق سطح البحر، و700 قدم فوق مدينة نابلس. وقد بُني فوق جريزيم أقدم هيكل للعبرانيين، ثم جاء داود ﵇ فأبطله وعطله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس.

وجريزيم جبل مقدَّس عند السامريين؛ بنوا فوقه هيكلهم ليحجوا إليه، واستمروا في تقديم القرابين عليه حتى بعد أن هدم يوحنا هيركانوس هيكلهم عام 128 ق.م. وقد أعادوا بناءه إلى أن هدمه الرومان في النهاية عام 67 ق.م. (انظر: الموسوعة اليهودية، للمسيري).

قـال: الخلاف في مسـألة مهمـة مثـل هـذه يـدل على أن كلا الموضعين ليس هو المحل المقصود، بـل قـد ورد عن المسـيح مـا يدل على هـذا.. فعنـدما دخلت عليـه امـرأة سـامرية، وسـألته عن المكان الحقيقي المعد للعبادة، أفصح لها المسيح أن المكـان ليس جبل جرزيم السامري، ولا جبـل عيبـال العـبراني الـذي بـني عليـه الهيكل.. وقد ورد النص هكذا في يوحنا:(قالت له المـرأة: يـا سـيد أرى أنك نبي، آباؤنا سـجدوا في هـذا الجبـل، وأنتم تقولـون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسـجد فيـه، قـال لهـا يسـوع: يـا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هـذا الجبـل ولا في أورشـليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسـجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهـود. ولكن تـأتي سـاعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء السـاجدين لـه، اللـه روح، والـذين يسـجدون لـه فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا) (يوحنا 4/19-24)

قال: وما المكان الذي تراه لذلك؟

قلت: التحقيق فيها أن قصة الذبح جرت في الأرض المرشـدة، وهي أرض العبادة، وهي مكـة أو بلاد فـاران، واختلافهم دليـل على صحة ذلك، واتفاقهم على اسم المكان بجبل الـرب صـحيح، لكنهم اختلفوا في تحديـده، وقـد ربطـوه بتسـميات ظهـرت بعـد الحادثـة بقرون عدة، وتجـاهلوا الـبيت المعظم الـذي بـني في تلـك البقعـة حينذاك، ويسمى بيت الله كما سمي الجبل الـذي في تلـك البقعـة جبل الله.

وقد قال ميخا النبي عن مكة والبيت الحرام وعن إتيـان النـاس للحج عند جبل عرفات: (يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنيـاً على قلل الجبال، وفي أرفع رؤوس العوالي يأتين جميع الأمم، ويقولون: تعالوا نطلع إلى جبل الرب) (ميخا 4/1-2)

---

3) بقي هذا الاختلاف من أهم الاختلافات التي تفـرق السـامريين عن العبرانـيين، وقـد استمر في حياة المسيح، كما سنرى.

كما تحدثت المزامير عن المدينة المباركة التي فيها بيت الله، والتي تتضاعف فيها الحسنات، فالعمل فيها يعدل الألوف في سواها، وقد سماها باسمها (بكة)، فجاء فيها: (طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، سلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء[1] يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركات يغطون مورة، يذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون، يا رب إله الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا إله يعقوب، سلاه، يا مجننا انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار)(المزامير 84/4-10)، فذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف.

قلت: وما الفرق بين بكة وبين وادي البكاء؟

قال: فرق عظيم.. فبكة اسم لمكة البلد الذي ولد فيه محمد، وقد جاء في القرآن الكريم ذكرها بهذا الاسم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:96)

قلت: ولكن ما الذي جعلهم يعدلون عن اسم بكة إلى اسم وادي البكاء؟

قال: لا أريد أن أخوض في المقاصد والنيات.. فالله هو رب النيات والمقاصد، وهو الديان الذي يحاسب عليها، ولكني أقول لك بأن التصحيف والتغير في الأسماء كثير عند الترجمة بين اللغات، بل بين الطبعات، فاسم (بارباس) مثلا في الترجمة البروتستانتية هو في نسخة الكاثوليك (بارابا)، وكذا (المسيا، ماشيح) و(شيلون، شيلوه) وغير ذلك كثير.

---

1) في الترجمة الإنجليزية:through the valley of Ba'ca make it a well، والنص كما جاء في ترجمة الكاثوليك كالتالي :« يجتازون في وادي البكاء، فيجعلونه ينابيع ماء، لأن المشترع يغمرهم ببركاته، فينطلقون من قوة إلى قوة، إلى أن يتجلى لهم إله الآلهة في صهيون » (83/7-8)

***

ما قال هذا حتى جاءنا الغداء، فـدعاني إلى أكلـه، وأكـل معي، وقد كان هشوشـا بشوشـا، يلح علي في الأكـل من أنـواع الطعـام الطيب الذي حضره لي، وهو يرسـل النكت بين ذلـك.. وكـأنني لم أكن أختلف معه، أو يختلف معي.

بعد انتهائي من الأكل، وتصميمي على العودة إلى الفندق الذي آوي إليه، مد يده إلي يدي، وصافحها بحرارة، وهـو يقـول: سـررت بمعرفتك.. وأسأل الله أن يقيض لك من يعرفك به، ويدلك عليه.

وأخبرك قبل أن تنصرف بـأن محمـدا ﷺ الـذي لم أملـك إلا أن أؤمن به، أخبر عن هذه العلاقة التي تربطـه بـإبراهيم، فقـال: (إني عند الله لخـاتم النبـيين، وإن آدم لمنجـدل في طينتـه، وسـأخبركم بأول أمري: أنا دعـوة إبـراهيم، وبشـارة عيسـى، ورؤيـا أمي الـتي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور سـاطع أضـاءت منـه قصـور الشام)(1)

بل أخبر القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس على أن اللـه دعا لتلك البلاد الـتي ولـد فيهـا محمـد ﷺ بـأن يكـون فيهم رسـول منهم، قال تعالى:﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولاً مِنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقـرة: 129)

انصرفت عنه.. وقد كـان ذلـك بدايـة الحـيرة.. وكـان في نفس الوقت بداية إشراقة النور الـتي هبت علي من شـمس محمـد ﷺ.

(1) رواه أحمد.

بشارة يعقوب

في اليــوم الثــاني، قــررت أن أســير إلى بعض المستشــفيات لزيارة المرضـى، والتعـرف عليهم.. فالمرضـى أرق النـاس قلوبـا، وأكثرهم حبا للخلاص واسـتعدادا لـه، وقـد لقنت من الأسـاليب مـا يملأ المرضى لهفة لسماعي، وحرصا على اتباعي.

رأيت رجلا في المستشـفى ملقى على سـريره، وكأنـه يجـود بنفسه، هرعت إليه، وسألته عن حالـه، فتكلم بصـوت تختلـط فيـه الحياة بحشرجة الموت، وقال لي: اسـمعني جيـدا.. إنـني في آخـر لحظات حياتي، وقد أرسـلك اللـه لي، لأنطـق أمامـك بمـا عجـزت طول عمري عن النطق به.

قلت: هون عليك يا أخي.. فلعل الله يمد في عمـرك.. ولعلـني أستطيع أن أنقذك بما أستطيع أن أنقذك به.

قال: لا.. لم يبق من عمـري إلا مقـدار هـذه الكلمـات الـتي لم يسمعها مني غيرك.. فلا تشغل نفسك بشيء.

قلت: من أنت أولا؟

قال: أنا يعقوب.. ولا يهمك من أي قبيلة أنا.. ولا من أي بلد..

قلت: أنت يهودي على ما يبدو.

قال: كنت يهوديا، ثم بان لي عوار اليهودية وتحريفهـا، فهـرعت إلى المسيحية، علني أجد عند عبدة المسيح ما لم أجده عند عبــدة العجل.

قلت: لا شك أنك وجدت ما تبحث عنه عندهم؟

قال: لا.. لقد ضل هؤلاء، كما ضل أولئك.

قلت: فأنت لا دين لك إذن..

قال: قد كنت قبل ساعة لا دين لي.. لكـني الآن سـأموت على خير دين، وأصدق دين.

قلت: أي دين هذا الذي آثرته على كل الأديان؟

قال: دين محمد..

أصابتني رعشة، وقلت: ما الذي تقوله؟

قـال: أصـدقك.. لقـد كنت من أحبـار اليهـود.. وعلمي بالكتـاب المقدس وبلغات الكتاب المقدس لا يضاهيه أحد.. لقد كنت مرجعـا في هذا الباب.. ولهذا عرفت الإسلام.

قلت: أعلمك بدينك وبلغات دينك هي التي أوصلتك للإسلام؟

قال: أجل.. وقد صـدق كتـاب المسـلمين عنـدما قـال : فَـإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِـكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (يونس:94)

قلت: وما في هذه الآية مما فهمته؟

قـال: هـذه الآيـة تشـير إلى أن هـذه المعرفـة مرتبطـة بمن يقرؤون الكتاب ويعلمونه، لا بمن يهجرونـه ويتركونـه.. بـل ورد في آية أخرى أن هؤلاء أكثر معرفة به من معرفتهم بأبنائهم، كمـا قـال تعـالى: الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (البقرة:146)

قلت: فأنت الآن تعرف محمدا أكثر من معرفتك لأبنائك؟

قال: أجل..

قلت: فما الذي حجبك عن إظهار إسلامك إلى هذه اللحظة؟

قـال: لقـد كـان لي أخ تـوأم، وكـان يغريـني بالجـاه العـريض.. والمناصب الرفيعة.. والأموال الكثيرة.. إنه ما ذكره القرآن الكـريم

عندما قال : فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (الأعراف:169)

قلت: فأين أخوك التوأم الآن؟

قال: هو غائب الآن.. لا أرجعه الله.. لقد كان الصخرة التي حجبت قلبي عن الخروج من كهف الظلمات الذي سجنت فيه طول حياتي.

قلت: فكيف بدا لك أن تترك كل ذلك الآن؟

قال: لقد كنت مارا على هذا الوادي، فسمعت من الغيب قارئا يقرأ ما قرأته عليك، فتحركت في نفسي همة تدعوني للترفع عن هذه القيود التي تحبسني عن السير إلى ربي، والتنعم بالدخول تحت لواء نبيه.

قلت: ولكنك تذكر أنه لم يبق من عمرك إلا هذه اللحظات، فكيف تزعم أنك تسير إلى الله؟

قال: من رزقه الله القبول، رزق في طرفه عين من الأمداد ما لا تفي به الأعمار.. ألم تسمع قوله ﷺ: (والذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)(1)

قلت: فما الذي في كتابك، وفي لغات كتابك مما دلك على محمد ودين محمد؟

قال: أنا اسمي يعقوب..

---

1) البخاري ومسلم.

قلت: لقد ذكرت لي ذلك.. ولا أدري علاقة اسمك بالبشارة.

قال: لقد سمعت قرآن المسلمين يذكر وصية ليعقوب، يوصـي فيها أولاده بالإسلام، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعـالى:﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ إِلَهـاً وَاحِـداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:133)

قلت: أجل.. لقد مر بي هذا النص.. ولكن ما علاقته بالبشارة؟

قال: هذا النص يخبر عن اهتمام يعقوب بدين أبنائه من بعده.

قلت: هـذا واضـح.. وأنـا لا أريـد الحـديث عن هـذا.. أريـدك أن تحدثني عن بشارة يعقـوب الـتي دعتـك إلى محمـد.. لعـل لي من العلم ما ينفي عنك ما يرتبط بها من شبه.

قال: هل قرأت بشارة يعقوب بشَّيَّالوه (שילה)؟

قلت: وكيف لا أقرؤها وأنا رجل دين قضى مـع الأسـفار سـنين طوالا.. لقد ورد في العهد القديم عن وصية يعقوب لبنيه قبل وفاته في سفر التكوين (49/10): (ثم دعا يعقـوب بنيـه، وقـال اجتمعـوا أبـارك فيكم، وأخـبركم بمـا ينـالكم في آخـر هـذه الأيـام، اجتمعـوا واسمعوا ذلك يا بني يعقوب، واقبلوا من إسرائيل أبيكم.. لا يــزول القضيب من يهوذا، والرسـم من تحت أمـره، إلى أن يجئ شـيلوه، وإليه تجتمع الشعوب)(1)

1) ترجم هذا النص في الترجمات العربية الأربع المعاصرة كما يلي:

نسخة فانديك المعتمدة ط 1977	نسخة كتاب الحياة ط 1988
لا يــزول قضـيب من يهـوذا ومشـترع من بين رجليه حـتى يـأتى شـيلون ولـه يكـون خضوع شعوب.	لا يــزول صــولجان الملــك من يهــوذا ولا مشــترع من صــلبه حــتى يــأتى شــيلوه (ومعنـــاه : من لـــه الأمـــر) فتطيعـــه الشعوب.
نسخة الكاثوليك ط 1993	نسخة الآباء اليسوعين ط 1991
لا يــزول الصــولجان من يهــوذا ولا عصــا	لا يــزول الصــولجان من يهــوذا ولا عصــا

قال: ما هي الكلمة التي تسترعي الانتباه في هذه البشارة؟

قلت: لا شك أنها كلمـة (شـيالوه)، فهي كلمـة غريبـة، بـل هي كلمة فريدة في العهد القديم، ولا تكرر في أي مكان آخر فيه.

قال: إذن.. من هـذه الكلمـة نحـاول أن نبحث على من تصـدق البشارة؟

قلت: ولماذا تتعب نفسك في البحث عنها؟.. وهي منطبقة كنار على علم على المسيح.

قـال: أي مسـيح؟.. مسـيحكم أم مسـيح اليهـود.. ألا تعلم أن اليهود ـ أيضا ـ ينتظرون مسيحا؟

قلت: أجل وأعلم أنهم يفسرون هـذه اللفظـة على مسـيحهم.. بل هم يضعون في ترجماتهم التفسيرية المعروفـة بــ (الـترجوم) ـ كترجوم أونقيلوس والترجوم الفلسطيني، والترجوم المنسوب إلى يوناثان، وترجوم مخطوطات قمران ـ محـل كلمـة (شـيلوه) اسـم المسيح (ماشيحا)

ولكن كل ذلك غير صـحيح.. شـيلوه المـراد هنـا هـو المسـيح.. مسيحنا.. المخلص الذي خلصنا على خشبة الصليب.

قال: ألا ترى أنك تتكلف في هذا التفسير؟

قلت: كيف ذلك؟

قال: اقرأ البشارة جيدا.. ألم يرد فيهـا: (لا يـزول القضـيب من

وعلماء المسيحية مقرون بعجزهم عن تفسير محتواها وفحواها لغويا وتاريخيا، بل والاعتراف الصريح بأنَّ قراءة نصّ النبوءة من الأصل العبرانى القديم متعذر لفقدان قواعد قراءة هذه اللغة القديمة ومفرداتها من قبل زمن بعثة المسيح ﷺ بحوالى خمسة قرون كاملة، وهذه اللغة العبرانية القديمة تختلف عن اللغة العبرية الماصورتية المشكلة المعروفة حاليا، والتى انتهوا من وضع قواعد قراءتها وتشكيلها فى القرن العاشر الميلادى، أى من بعد أن انتهى المسلمون من تشكيل القرآن الكريم.

انظر: نبي أرض الجنوب، وانظر لمزيد من التفصيل: قاموس الكتاب المقدس العربى نشر دار الثقافة ص 536.

يهوذا، والرسم من تحت أمـره، إلى أن يجئ شـيلوه، وإليـه تجتمـع الشعوب)؟.. أتدري ما المراد بالقضيب؟

قلت: أجل.. هو صولجان الحكم، وقد استبدلت هذه الكلمة في بعض الترجمات بكلمة (الصولجان).

قال: فهذه البشارة ـ إذن ـ تتحدث عن رجل يملك؟

قلت: أجل.. هذا هو الظاهر.. بل قد جاء فيها (الرسم من تحت أمره)أي أنه مبيِّن القانون ومفسِّره ومشِّرعه.

قال: فأنت تقر إذن بأن هذه البشارة لا تنطبق على المسيح؟

قلت: كيف؟

قال: لم يكن المسيح يملك.. ألم يهرب المسيح من تمليكه لما طلبوا ذلك؟

قلت: بلى.. وقـد جـاء في يوحنـا: (لمـا علم أنهم مزمعـون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده)(يوحنا 6/15).

قـال: ليس ذلـك فقـط، بـل إنـه لمـا ادعى عليـه اليهـود عنـد بيلاطس أنـه يقـول عن نفسـه بأنـه ملـك نفى ذلـك، وتحـدث عن مملكة روحية مجازية غير حقيقية فقال: (مملكتي ليسـت من هـذا العالم، لو كانت مملكـتي من هـذا العـالم لكـان خـدامي يجاهـدون لكي لا أسلم إلى اليهود) (يوحنا 18/36)

قلت: هذا صحيح.. ولكنها مع ذلك قد تنطبق على موسى..

قلت هذا، ولم يكن لي من نية إلا صرفه عن محمد ﷺ، فقد بدأ الشك يدب في نفسـي من صـدق النبـوءات الـتي كنت أسـلم لهـا تسليما مطلقا.

نظـر إلي بنـوع من السـخرية الخفيـة، وقـال: لعلـك لم تقـرأ

البشارة.. تثبت جيدا منها.. إن هذه البشـارة تنص على أنـه بمبعث هذا النبي يزول الملك من إسـرائيل.. بـل ترفـع الشـريعة.. فكيـف تقول بأن موسى هو الذي تحقق فيه ذلك.. ألا تـرى خطـورة مثـل هذا الرأي؟

قلت: أجل.. لو سلمنا بأن موسى هو الذي تحقق بهذا الوصـف لكـان كـل من عـداه مـدعيا.. فالشـريعة لم تقطـع بموسـى، بـل قطعت بالمسيح.

قال: ولم تقطع بالمسيح.. ألم تقرأ الإنجيل؟

قلت: بلى..

قال: ألم تقرأ فيه أنه ما جاء لنقض الناموس؟

قلت: هذا صحيح.. فقـد جـاء في (مـتى 5/17): (لا تظنـوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل)

قال: ليس ذلك فقط، بل قد ورد في نص البشـارة أنهـا ترتبـط بشخص تخضع له الشعوب، لا شعب إسرائيل فقط، مـع أن جميـع أنبياء بني إسرائيل لم يرسلوا لغير بني إسرائيل.

قلت: إلا المسيح.

قال: حتى المسيح.. ألم تقرأ ما ورد في الأناجيل.. لقد جاء في متى: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضـالة) (مـتى 15 / 24)؟

قلت: أرى أنك بهذا القول تريـد أن تصـرف هـذه البشـارة عن جميع بني إسرائيل.

قال: أجل .. عن جميعهم، حتى عن سليمان الـذي كـان ملكـا.. فإنه لم يزل بوجوده ملك بني إسرائيل، ولا شريعتهم.

قلت: فعلى من ترى انطباق هذه البشارة إذن؟

قال: أرى أن هذه البشـارات تنطبـق على بشـارات أخـرى لهـا نفس الدلالة، وكلها تجتمع على التبشير بمخلص واحد.

إن هذا المبشر به هو نفسه الذي بشـرت بـه هـاجر وإبـراهيم: (يده على كل واحد) (التكوين 16/12).

وهو نفسه الذي قال عنه النبي حزقيال: (يأتي الذي لـه الحكم فأعطيه إياه) (حزقيال 21/27).

بل هو نفسه الذي بشر به المسيح حين قال متحـدثا عن نسـخ الشـرائع بشـريعة هـذا المبشـر بـه: (لا تظنـوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمـل، فـإني الحـق أقـول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يـزول حـرف واحـد أو نقطـة واحـدة من النـاموس حـتى يكـون الكـل)(مـتى 5/17-18)، فهـذا المبشر به هو الكل الذي له الكل..

قلت: لقد ذكرتني بقول آخر في تفسير لفظـة (شـيلوه)، فمن أهم الأقوال التي وردت فيها أنهـا ليسـت اسـما لشـخص، بـل هي مصـحفة عن كلمـة (شـلو)، وتعـني (الـذي لــه) أو (الـذي حفظت الأشياء لـه).. وقال بعضهم بـل هي (شي لو)، وتعني (هدية الله)..

ونحن ـ معشر المسيحيين ـ لا نرى في هذا الكل الذي له الكـل غير المسيح.

قال: أتريد أن تعود بنا إلى نفس مـا ذكرنـا.. ألم يخـبر المسـيح أنه لم يأت لينقض الناموس.. ولم يأت ليقيم ملكا؟

قلت: أجل.. صحيح، قد ذكرنا هذا.

قال: فكيف تنطبق هذه البشارة عليه إذن؟

قلت: فكيف تنطبق هذه البشارة على محمد؟

قال: أنت تعلم أنه لا أحد في الدنيا تنطبق عليـه هـذه البشـارة غير محمد.

قلت: لا أعلم ذلـك.. ولـو أعلم مـا سـألتك.. بـل لـو كنت أعلم لاتبعتك في دينك، وما انتظرت حتى أصـل إلى هـذه المحـل الـذي أنت فيه.

قال: وأخوك التوأم أتراه يرضى.. إن التـوائم لا يرضـون.. سـل كل من له أخ توأم ليخبرك بالحقيقة.

قلت: وأنت.. أين أخوك التوأم؟

قال: لقد أخبرتك بغيبته.. لا أرجعه الله.. ولو لم يغب ما نطقت أمامك بمثل هذه الكلمات.

قلت: حدثني بهذه البشـارة.. ودع أخي.. فهـو ينعم بكـل صـحة وعافية.

قـال: حـاول أن تفهم البشـارة أولا، ومـا تسـتلزمه البشـارة، لتستطيع أن تجد لها المحل المناسب لها.

لقــد ذكــرت البشــارة أن الصــولجان والمشــرع، أي الحكم والشريعة سيظلان في سبط يهوذا طالما لم يظهر شيلوه.

وهذا يفند ادعاء اليهود بـأن الشـيلوه لم يظهـر، لأن الصـولجان الملكي والخلافة تخصان ذلك السبط، وقـد انقرضـا منـذ أكـثر من ثلاثة عشر قرناً.

ليس ذلك فقط.. بل إن اليهود مضطرون أن يقبلـوا واحـداً من الخيارين:

إمـا التسـليم بـأن شـيلوه قـد جـاء من قبـل، وأن أجـدادهم لم يتعرفوا عليه.

و أن يتقبلوا أن سبط يهوذا لم يعد موجوداً، وهو السـبط الـذي ينحدر منه شيلوه.

ليس ذلـك فقـط.. بـل إن النص يتضـمن ــ بصـورة واضـحة

ومعاكسة جـداً للاعتقـاد اليهـودي والمسـيحي ــ أن شـيلوه غـريب تماماً على سبط يهـوذا وبقيـة الأسـباط، لأن النبـوة تـدل على أنـه عندما يجيء شيلوه، فإن الصولجان والمشرع سـوف يختفيـان من سبط يهوذا، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان شيلوه غريباً عن يهوذا، فـإن كان شيلوه منحدراً من يهوذا، فكيـف ينقطـع هـذان العنصـران من ذلك السبط.

بل إن النص يدل على أنه لا يمكن أن يكون شيلوه منحدراً من أي سبط آخر، لأن الصولجان والمشرع كانا لمصلحة إسرائيل كلها، وليس لمصلحة سبط واحد.

وهذا لا يقضي فقط على ادعاء اليهود، بل هو يقضي قبل ذلك، ومع ذلك، على الادعاء بأن المسيح هو شيلوه، لأن المسيح منحــدر من يهوذا من جهة أمه.

قلت: فقـد ترجمهـا آخـرون ترجمـات أخـرى لن تنطبـق على محمد بأي حال من الأحوال.

قال: فبم ترجموها؟

قلت: لقــد ترجموهــا (حــتى يَجيء الهــدوءِ النّهــائيِ) (final tranquility)، وقريب منها ما ترجمها به آخر، فذكر أنها (حـتى يـأتي السلام الأخير)، ومعنى ذلك أنها مصحفة عن (شَـلْواه) الـتي تعـني الهدوء والسلام.

قال: وذلك لا يتحقق إلا في محمد.

قلت: بـل ذلـك لا يتحقـق إلا في المسـيح.. فقـد كـان السـلام الأخير الذي نعمت به البشرية.

قال: ولكنكم تزعمون أن التلاميذ من بعده كانوا رسلا.. فكيــف يكون السلام الأخير؟

ثم إن المسيح وتلاميذه من إسرائيل، وقد عرفنـا أن النبـوءة لا

يمكن وقوعها على بني إسرائيل.

قلت: فكيف ترى انطباقها على محمد.. ودينه دين حرب لا دين سلام؟

قال: السلام في دينه هو الأصل.. والحرب ضرورة تبحث عن السلام.. لقد ورد في كتاب المسلمين :﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (لأنفال:61)

قلت: وورد فيه :﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ (البقرة: 191)

قال: لماذا تقطع الآية من سياقها.. إن الآية تتحدث عن مبادئ السلام العظمى، لقد قال الله تعالى:﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:191)

فالآية الكريمة تبرر قتالهم بالدفاع عن النفس.. ولا يمكن أن يتحقق بالسلام من له تكن له القوة على الدفاع عن نفسه.

قلت: ولكن الإسلام يأمر بقتل المقاتلين وغيرهم، ألم تقرأ كتابهم، فقد ورد فيه :﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (التوبة: 36)

قال: أنت مغرم بتقطيع النصوص.. ألا تعلم أن التقطيع انتقاء، وأن الانتقاء تحريف.. لقد قال الله تعالى في الآية :﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ (التوبة: 36)

ثم إن الكافة التي تحرصون عليها هنا ورد مثلها في الأمر بالسلم، فقد قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:208)

ثم إن الله تعالى بين علة الحرب التي تبحث عن السلام، فقال :﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ

دِيَـــارِكُمْ أَنْ تَبَــرُّوهُمْ وَتُقْسِــطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِــطِينَ (الممتحنة:8)، فالآيـة تأمرنـا بمسـالمة المسـالمين بـل والإحسـان إليهم.. ثم تأتي الآيـة بعـدها بـالنهي عن مسـالمة المجـرمين، قـال تعالى: إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَـاهَرُوا عَلَى إِخْـرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة:9)

قلت: أليس في ذلـك ظلمـا !؟.. لقـد أمرنـا المسـيح بمحبـة أعدائنا.

قال: لا.. ليس ظلما.. أنت بين موقفين: إما أن تنصـر الضـحية، وإما أن تنصر الجلاد.

قلت: قد أنصر كليهما.

قال: نعم.. عندما تنهى الجلاد عن جلـده يكـون ذلـك نصـرا لـه ونصرا للضحية، ولكنـه إن لم يسـتجب.. مـاذا تفعـل؟.. هـل تـترك الضحية للجلاد بحجة حبك للسلام، أم أنك تفعـل مـا فعلـه موسـى حين نصر الإسرائيلي؟

لقد علل القرآن الكريم سر القتال، وأبان عن مقاصده، فقال : أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْـرِ حَـقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُـوا رَبُّنَـا اللَّهُ وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُـرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ (الحج:39 ـ 40)

قلت: دعنا من هذا.. ولأسلم بعض ما ذكـرت.. ولكن مـع ذلـك، فقد ذكر آخرون أنها مشتقة من الفعل (نشل) الـذي يعـني (طـرد، ونفى)، ومن ثم ترجمها إلى (حتى يأتي المنفي (until the exile comes)

قال: وهذا لا ينطبق إلا على محمد.. لأن المسيح ـ كما تزعمون ـ صلب في بلده.

أما محمد ﷺ فقد خرج من بلاده فارا بدينه، بعـد أن اتفـق الملأ من المشركين على جميع ما أبدعتـه عقـولهم من صـنوف المكـر، قــال تعــالى: وَإِذْ يَمْكُـرُ بِـكَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (لأنفال:30)

ولم يهــاجر وحــده، بــل هــاجر معــه أكــثر أصــحابه.. بــل إن المهاجرين يمثلـون المسـلمين الأول الـذين تعرضـوا لجميـع أنـواع الاضطهاد.

ولا أظنــك تحتــاج إلى أي توثيــق تــاريخي لهـذا.. فهـو منقــول بالتواتر.. بـل نصـت عليـه آيـات كتـاب المسـلمين المقـدس، وهـو منقول بأعظم أسانيد التواتر وثوقا.

قلت: ولكن بعضهم اعتبر (شـيلوه) اسـما لمكـان معين، لـذلك جاء في بعض الترجمات:(لا يزول قضيب من يهـوذا، ومشــترع من بين رجليه حتى يأتي الى شيلوه)، وفي ترجمة انكليزية: (حتى يأتي الرجال إلى شيلو)

قال: إن علمي بلغات الكتـاب المقـدس يحيـل هـذا الاحتمـال.. ذلك أن كلمة شيلوه تتكون من أربعة أحـرف عبريـة هي: (شـين)، (يود)، (لاميد)، (وهي)، وتوجـد بلـدة اسـمها شـيلوه ولكن لا يوجـد فيها حرف (يود)، ولذلك لا يمكن أن يكون الاسم مطابقا أو مشيراً للبلدة.. فالكلمة حيثما وجدت تشير إلى شخص وليس إلى مكان.

بالإضافة إلى ذلك، فإن العلماء المتخصصون ضعفوا هذا الرأى، واستدلوا لذلك بأنَّ الواقع التـاريخى لبـنى إسـرائيل يـدحض وجـود أهمية كبرى لمثل بلدة شيلوه هذه.. بل فوق ذلك نصوا على خطــأ تلك الترجمة، وشككوا فى صحتها.

قلت: لقــد ذكــرت لي أنــك عــالم لغــات.. فمــا المعــاني الــتي

ترجحها لهذه الكلمة؟

قال: اثنان.

قلت: فما أولهما؟

قـال: أن تكـون الكلمـة سـريانية مكونـة من كلمـتي (بشـيتا) و(لوه)، ومعنى الأولى منهما: (هو) أو (الذي)، والثانية (لوه) معناهـا (له)، ويصبح معنى النبوءة حسـب ترجمتـه المفسـرة: (إن الطـابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشـخص الـذي يخصه هذا الطابع، ويكون له خضوع الشعوب)

قلت: فما الثاني؟

قال: أن تكـون الكلمـة محرفـة من كلمـة (شـيلواح) ومعناهـا: (رسول الله) كما يعبر بالكلمة مجـازاً عن الزوجـة المطلقـة لأنهـا ترسل بعيداً، وتفسير الكلمة بالرسالة مـال إليـه القـديس جـيروم، فترجم العبارة: (ذلك الذي أرسل)

بالإضافة إلى هذا، فقد رأيت أن كلمة (شـيَّالوه) العبريـة تعـادل الصـيغة العربيـة رسـول اللـه عنـد حسـابها بحسـاب أبى جـاد(1) المعمول به عند اليهود. فمجموع أرقام حروفها يسـاوى 362 وهـو هو مجموع أرقام الصيغة العربية رسول الله 362.

***

صـمت قليلا، ثم قـال: لقـد عـرفت منزلـة النـبي يعقـوب عنـد المسلمين.. أتدري ما منزلته عندكم؟

قلت: هو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل.

---

1) أرقام حروف العبارتين حسب حساب الجمَّل المعروف بحساب أبى جاد :

شيَّالوه (ش ى ى ا ل و هـ) : 300 + 10 + 10 + 1 + 30 + 6 + 5 = 362

رسول الله (ر س و ل ا ل ل هـ) : 200 + 60 + 6 + 30 + 1 + 30 + 30 + 5 = 362.

قـال: ألا تعتبرونـه سـارقا للبركـة؟.. إنكم تجعلـون كـل تلـك البركات التي نزلت على إسرائيل وبيت إسرائيل مبنية على الغش والاحتيال.. أليس كذلك؟

صمت، فقال: سـأقرأ عليـك من الكتـاب المقـدس مـا يـذكرك بهذا.

قـال: أول جريمـة تنسـبونها ليعقـوب هـو احتيالـه على أخيـه، واشتراؤه ما لا يمكن أن يشترى.. ألم يشتر منه البكورية؟

صمت، فأخذ يقرأ: (فكبر الغلامان، وكان عيسـو إنسـانا يعـرف الصيد إنسان البرية ويعقـوب إنسـانا كـاملا يسـكن الخيـام، فـأحب اسحق عيسو لأن في فمه صيدا. وأما رفقة فكـانت تحب يعقـوب، وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقـل وهـو قـد أعيـا، فقـال عيسو ليعقوب: أطعمـني من هـذا الأحمـر لاني قـد اعـييت. لـذلك دعي اسمه أدوم، فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت، فلماذا لي بكوريـة، فقـال يعقـوب: احلـف لي اليوم فحلف له فباع بكوريته ليعقوب، فـأعطى يعقـوب عيسـو خبزا وطبيخ عدس، فأكـل وشـرب وقـام ومضـى، فـاحتقر عيسـو البكورية)(تكوين: 25/27 ـ 34)

صمت قليلا، ثم قال: وثاني جريمة هي أنكم تنسبون لــه الغش والاحتيال على أبيه.. نبي الله إسحق.. أليس كذلك؟

صمت، فقـال: أنتم تقـرؤون في الكتـاب المقـدس، وتتعلمـون على يديه هكذا..

أخذ يقرأ: (وحدث لما شاخ اسحق وكلّت عينـاه عن النظـر انـه دعا عيسو ابنه الاكبر وقال له يا ابني. فقال له هانـذا، فقـال: إنـني قد شـخت ولسـت اعـرف يـوم وفـاتي. فـالآن خـذ عـدتك جعبتـك وقوسك واخرج الى البرية وتصيّد لي صيدا. واصنع لي اطعمة كمـا احب وأتني بها لآكل حـتى تباركـك نفسـي قبـل أن أمـوت وكـانت رفقة سامعة اذ تكلم اسـحق مـع عيسـو ابنـه. فـذهب عيسـو إلى

البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به. وأما رفقــة فكلمت يعقــوب ابنهــا قائلة: إني قد سمعت ابــاك يكلم عيســو اخــاك قــائلا: ائتــني بصــيد واصنع لي اطعمة لآكل واباركك امام الرب قبــل وفــاتي، فــالآن يــا ابني اسمع لقولي في ما انــا آمــرك بــه.. اذهب الى الغنم وخــذ لي من هناك جديين جيّدين من المعزى. فأصنعهما أطعمــة لابيــك كمــا يحب،فتحضرها إلى ابيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته.

فقال يعقوب لرفقة امه: هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس ربما يجسّــني أبي، فــاكون في عينيــه كمتهــاون وأجلب على نفسي لعنة لا بركة.

فقالت له أمه: لعنتك عليّ يا ابني اسمع لقــولي فقــط واذهب خذ لي، فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمــه أطعمــة كمــا كــان أبوه يحب.

وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عنــدها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى. وأعطت الأطعمة والخبز التي صــنعت في يــد يعقوب ابنها فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي. فقال: هانــذا. من انت يــا ابني، فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك. قد فعلت كمــا كلمتــني. قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك.

فقال اسحق لابنه: ما هذا الذي اسرعت لتجد يا ابني. فقال ان الرب الهك قد يسّر لي.

فقال اسحق ليعقــوب: تقــدم لاجسّــك يــا ابــني. أأنت هــو ابــني عيسو أم لا؟

فتقدم يعقوب إلى اسحق ابيــه. فجسّــه وقــال الصــوت صــوت يعقوب، ولكن اليدين يدا عيسو.

ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيســو أخيــه فباركــه، وقال: هل انت هو ابني عيسو، فقال: أنا هو.. فقال: قدم لي لآكــل

من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدّم له فأكل. وأحضر له خمرا فشرب.

فقال له اسحق أبوه: تقدم وقبّلني يا ابني.

فتقدم وقبّله. فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال: انظر. رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من نـدى السـماء. ومن دسم الارض. وكثرة حنطة وخمر، ليستعبد لك شعوب. وتسجد لك قبائـل. كن سـيدا لاخوتـك. وليسـجد لـك بنـو أمـك. ليكن لاعنـوك ملعونين. ومباركوك مباركين.

وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب ويعقـوب قـد خـرج من لدن اسحق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده، فصنع هـو أيضـا أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك.

فقال له اسحق أبوه: من أنت. فقال: أنا ابنك بكرك عيسو.

فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا، وقال: فمن هو الذي اصـطاد صيدا، وأتى بـه إليّ فـأكلت من الكـل قبـل أن تجيء وباركتـه. نعم ويكون مباركا.

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومـرة جـدا. وقال لأبيه باركني أنا ايضا يا أبي.

فقال: قد جاء اخوك بمكر واخذ بركتك.

فقال: ألا إن اسمه دعي يعقوب. فقد تعقبني الآن مرتين. اخــذ بكوريتي وهوذا الآن قد اخذ بركتي. ثم قال: أما أبقيت لي بركة.

فأجاب اسحق وقال لعيسو: إني قد جعلتـه سـيدا لـك، ودفعت اليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر. فماذا أصـنع إليـك يـا ابني.

فقال عيسو لأبيه: ألك بركة واحدة فقط يا أبي. باركني أنا أيضا

يا أبي. ورفع عيسو صوته وبكى.

فأجـاب إسـحق أبـوه وقـال لـه: هـوذا بلا دسـم الأرض يكـون مسـكنك. وبلا نـدى السـماء من فـوق. وبسـيفك تعيش. ولأخيـك تستعبد. ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك.

فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركه بها أبـوه. وقال عيسو في قلبه قربت أيام مناحة أبي. فأقتل يعقوب أخي.

فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له هـوذا عيسـو أخـوك متسـلّ من جهتـك بانـه يقتلك. فالآن يا ابني اسمع لقـولي وقم اهـرب الى اخي لابـان الى حاران. وأقم عنده اياما قليلة حتى يرتـد سـخط أخيـك. حـتى يرتـد غضب اخيك عنـك وينسـى مـا صـنعت بـه. ثم أرسـل فآخـذك من هناك. لماذا اعدم اثنيكما في يوم واحد)(تكوين: 27/1 ـ 45)

اعذرني إن كنت قد قرأت لك النص بطولـه.. أتـرى مثـل هـذا السلوك سلوك أنبياء ينبغي أن يقتدى بهم.

ليس ذلك فقط.. أنتم تتهمون يعقـوب بمصـارعة اللـه، ألسـتم تروون في سفر التكوين، وفي الإصحاح [32 ـ 22]:(قال الرب لنبيه يعقوب حين صارعه، ورأى أنه لم يتغلب عليه:(أطلقـني، فقـد طلع الفجر) فأجابه يعقوب : لا أطلقك حتى تبـاركني. فسـأله : مـا اسـمك؟ فأجـاب : يعقـوب. فقـال : لا يـدعى اسـمك في مـا بعـد يعقوب، بل إسرائيل _ ومعناه: يجاهد مع اللـه _ لأنـك جاهـدت مـع الله والناس وقدرت. فسأله يعقوب : أخبرني مـا اسـمك؟ فقـال : لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك.ودعـا يعقـوب اسـم المكـان فنيئيل إذ قال : لأني شاهدت الله وجها لوجه وبقيت حيا)

قلت: لست أدري لم تذكر لي هذه النصوص في هذا المحل؟

قال: لأنكم تتصورون أن النبـوة والبركـة يمكن أن تتلاعبـوا بهـا كمــا تشــاءون.. فتهبونهــا لمن ترضــون عنــه، وتنزعونهــا عمن

تسخطون عليه.

النبوة وبركات الله لله.. لا لنا.. ولا لكم.. فسلموا لله.. وأسلموا لله..

وأنا في هـذه اللحظـات الأخـيرة من عمـري انجلت بين عيـني الحقائق.. ولذلك سأموت مسـلما للـه.. فرحـا بهـذا الإسـلام الـذي عشت طول عمري أحن إليه.

ما قال ذلك حتى لفظ آخر أنفاسه.. والبسمة تغمر فاه، والنـور يشرق من محياه.

أما أنا فانصرفت بحيرة جديدة.. وببصيص من النور اهتديت بــه بعد ذلك لشمس محمد ﷺ.

بشارة موسى

في اليوم الثالث قررت أن أزور أصحاب الأشغال الشاقة.. أولئك الذين يحتاجون إلى الخلاص من العناء الذي تمتلئ به حياتهم.

سرت إلى الغابة، فرأيت حطابا يختار أغصانا ذات أشكال خاصة، ليقطعها، فقلت له: هل لي أن أساعدك؟

قال: لا.. ولن تستطيع.. فهذه حرفة تلقيتها أبا عن جدا..

قلت: وما تصنع؟

قال: أصنع العصي.. أنا موسى.. لئن ارتبط اسم موسى النبي بالعصا التي كان يحملها، فقد ارتبط اسمي بالعصي التي أصنعها.

أعطاني الفرصة للتحدث معه، فقلت: نعم الاسم الذي تحمله.. لقد بشر موسى بالخلاص الذي سيأتي.

قال: كل الأنبياء بشروا بالخلاص.. الخلاص هو حلم البشرية.

فرحت لتجاوبه، فقلت: كل من سعى للخلاص ناله.

قال: وكل من ناله نعم به.

قلت: فهل نلته؟

قال: ومالي لا أناله.. إن فضل الله أوسع من أن يغفل عني.

قلت: فأنت مسيحي إذن.

قال: نعم.. أنا مسيحي.

قلت: أنت مثلي إذن.

قال: كيف عرفت تماثلنا؟.. ونحن من بلاد مختلفة.. ومن

أعراق مختلفة.

قلت: نواحي المثلية بيننا كثيرة.. أنت تفكر بالخلاص، وأنا أفكر به.. وأنت مسيحي، وأنا مسيحي.. وأنت تنعم بالإيمان وأنا أنعم به.

قال: صدقت.. هناك أشياء كثيرة تجمعنا.. فلذلك نحن متماثلان، ولا يحول بين تماثلنا ما يتوهمه الناس من مفارقات.

قلت: فهلم نبشر بالخلاص الذي جاءنا به المسيح.

قال: ليس لي من دور في الحياة إلا التبشير بالخلاص.

فرحت كثيرا، وقلت: نعم الرجل أنت.. فهيا نتذاكر ما قال المسيح.

قال: أنا موسى.. ولذلك سأذكرك بقول قاله موسى ينعت به طريق الخلاص.

قلت: لا بأس.. فما قال؟

البشارة الأولى:

قال: عندما نزل موسى من جبل الطور بعد ما كلمه ربه قال مخاطباً بني إسرائيل:(قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى، فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصِر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه) (التثنية 18 / 17 - 22)[1]

1) هكذا ورد نص النبوءة في النسخ المختلفة من الكتاب المقدس:

نسخة فانديك المعتمدة ط 1977	نسخة كتاب الحياة ط 1988

قلت: أراك تحفــظ النص عن ظهــر قلب.. قــل من يحفــظ نصوص الكتاب المقدس.

قال: وكيف لا أحفظه.. لقد كان هـذا النص هـو سـبب هـدايتي، وتنعمي بأشعة الخلاص.

قلت: صدقت.. لقد ذكـر هـذا النص بطـرس في سـياق حديثـه عن المسيح، فقال: (فإن موسى قال للآبـاء: إن نبيـاً مثلي سـيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل مـا يكلمكم بـه، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشـعب، وجميـع الأنبياء أيضاً من صـموئيل فمـا بعـده، جميـع الـذين تكلمـوا سـبقوا وأنبأوا بهذه الأيام) (أعمال 3/22 - 26)

قـال: أتـرى أن بطـرس يـرى أن نبـوءة موسـى متحققـة في شخص المسيح؟

قلت: أجل.. لا شك في ذلك.. وهكذا يؤمن كل مسيحي.

قال: ولكن هذا النص عنـدما عرضـته على عقلي لم أفهم منـه هذا.

قلت: كيف.. لا تترك عقلك يعقلك عن المسيح.

قال: لا تخف.. فهذا النص لم يذكر المسـيح.. وبالتـالي لا حـرج علينا في أن نفهم منه ما نشاء من النبوءات بحثا عن الحقيقة التي كان المسيح يدعو إلى البحث عنها والاتصال بها.

ألم يكن المسيح يقول: (إن ثبتم في كلمتي، كنتم حقا تلاميذي، وتعرفون الحق، والحق يحرركم) (يوحنا:8/31 ـ 32)؟

اشتد إعجابي به، فاسترسلت معـه في الحـديث، فقـد ناسـبت طريقـة تفكـيره الطريقـة الـتي بـدأت بهـا حيـاتي، ثم تخليت عنهـا بالقناعات التي سربها إلي أخي.

قال لي: لماذا يصر الشارحون على أن المراد بـالنبوة المسـيح مع أنه لم يذكر بالاسم في هذا الموضع.. كما لم يـذكر بالاسـم في غيره؟

قلت: النبوءة وصف تصـويري لأمـور سـتحدث في المسـتقبل، ولذلك لا تلتزم ذكر الاسم، وإنما تذكر ما يدل على المسمى.

قال: لم؟

قلت: حتى لا يظهر الأدعياء، فلو سمى المسيح باسـمه، لادعى الكل ذلك.

قال: فما هو الطريق لمعرفة النبوءة وانطباقها على من نـرى أنها انطبقت عليه؟

قلت: من خلال تعبيرات النص.

قال: فهل ترى هذا النص يصف المسيح وصفا دقيقا؟

قلت: أجل.. وهكذا كل النبوءات؟

قال: فهلم نختار كلمة من النص.. لعلها أهم كلماته.. إنها كلمـة (مثلك) ما تعني هذه الكلمة؟

قلت: هي واضحة.. تعني أن المسيح مثل موسى.

قال: فهل كان المسيح مثل موسى؟

قلت: أجل.. لقد كان موسى يهوديا، وكذلك كان المسيح..وكان موسى من بني إسرائيل، وكذلك كان المسيح.

قال: إن ما ذكرته من أمـور متشـابهة لا ينحصـر في المسـيح.. بل إن النبوءة في هذه الحالة تكون أكثر انطباقـا على أي نـبي من أنبياء العهد القديم: سليمان، وأشعيا، وحزقيـال، ودانيـال، وهوشـع، ويوئيل، وملاخي، ويوحنا وغيرهم.. ذلك أنهم جميعا يهـود مثلمـا هم أنبياء، فلماذا لا تكون هذه النبوءة خاصة بأحد هؤلاء الأنبياء؟

صمت، فقال: إذن نحتاج إلى البحث عن وجوه أخرى للتشابه.. فهل هناك وجوه أخرى للتشابه بين المسيح وموسى؟

صمت قليلا، ثم قلت: لا أذكر الآن وجوها أخرى للتشابه.

قال: بل لا توجـد وجـوه أخـرى للتشـابه.. بـل إن الفـوارق بين المسيح وموسى أكثر من أن تنحصر.

قلت: كيف ذلك؟

قال: إن المسيح ـ بمقتضـى العقيـدة المسـيحية(1) ــ هـو الإلـه المتجسد، ولكن موسى لم يكن إلها، أهذا حق؟

قلت: نعم.

قال: بمقتضى العقيدة المسيحية، فإن المسـيح مـات من أجـل خطايا العالم، لكن موسى لم يمت من أجـل خطايـا العـالم.. أهـذا حق؟

قلت: نعم.

قـال: بمقتضـى العقيـدة المسـيحية، فـإن المسـيح ذهب إلى الجحيم ثلاثة أيام.. ولكن موسـى لم يكلـف بالـذهاب الى الجحيم.. أهذا حق؟

قلت: نعم.

قال: هل كان لموسى والدان؟

قلت: أجل.. فقد جاء في سفر الخروج: (وأخـذ عمـرام بوكابـد عمته وزوجة له فولدت له هارون وموسى (خروج:20:6)

قال: فهل ولد موسى ولادة معجزة مثل المسيح؟

---

1) نحن نذكر في هذه الرسائل العقيدة المسيحية من باب التعميم بغض النظر عن اختلاف المدارس والطوائف المسيحية في ذلك.

قلت: لا.. لقد ولد ولادة طبيعية.

قال: فهل تزوج موسى؟

قلت: أجل.. وأنجب أولادا.

قال: والمسيح.. هل تزوج؟

قلت: كلا.. لقد ظل أعزب طول حياته.

قال: فالنص إذن لا ينطبق على المسيح.

قلت: هو لا ينطبق عليه في كل النواحي.. فأنا وأنت متمــاثلان، ولكنا نختلف في أشياء كثيرة.. فالتماثل لا يعني التطابق.

قال: لا بـأس.. فهلم نبحث في كلمـة أخـرى.. فهـذه الكلمـة لا تزيد النبوءة إلا بعدا عن المسيح.

قلت: هيا نبحث في النبوءة عن كلمة أخرى.

قال: لقد ورد في النبوءة: (أقيم لهم نبيـاً)، فهـل كـان المسـيح نبيا؟

قلت: لا.. المسيح أرفع من ذلك.

قال: نعم.. المسيح إله.. بل هو عند الأرثوذكس هو الله نفسه.

صمت، فقال: فكيف يقول لهم: أقيم نبياً؟

صمت، فقال: فلننظر في النبـوءة إلى كلمـة أخـرى لعـل فيهـا النبراس الذي يهدينا إلى حقيقة هذه النبوءة.

قلت: لا بأس.

قال: لقد ذكرت النبوءة أنــه من غـير بـني إسـرائيل، فلـذلك لا يمكن أن تصدق على المسيح بحال من الأحوال.

قلت: أين هذا؟

قال: لقد ورد في النبوءة أن هذا النبي من بين إخوتهم أي أبناء عمومتهم.. لقد ورد فيها:(من وسط إخوتهم)(1)، وعمومة بني إسرائيل هم بنو عيسو بن إسحاق، وبنو إسماعيل بن إبراهيم.

قلت: فرق كبير بين العمومة والأخوة.. فبنو عيسو وبنو إسماعيل أعمام بني إسرائيل.

قال: من المعهود في التوراة إطلاق لفظ الأخ على ابن العم، ألم تقرأ قول موسى لبني إسرائيل: (أنتم مارون بتخم إخوتكم بنو عيسو)(التثنية 2/4).. وجاء نحوه في وصف أدوم، وهو من ذرية عيسو: (وأرسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم، هكذا يقول أخوك إسرائيل: قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا) (العدد 20/14)، فسماه أخاً، وأراد أنه من أبناء عمومة إسرائيل.

قلت: صحيح هذا.. ولا يمكن أن أكابر فيه.. ولكن ما الذي تريد أن تقوله؟

قال: أنا لا أريد أن أقول شيئا.. ولكني أريد للنبوءة أن تقول..

---

1) يرى المسيحيون أن ثمة إشكالاً في النص التوراتي (التثنية 18/17-22) يمنع قول المسلمين، فقد جاء في مقدمة سياق النص أن الله لما كلم موسى قال :« يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي.... قد أحسنوا في ما تكلموا: أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك »(التثنية 18/15 ـ 18) فقد وصفت النبي بأنه « من وسطك » أي من بني إسرائيل، ولذا ينبغي حمل المقطع الثاني من النص على ما جاء في المقطع الأول، فالنبي « من وسطك » أو كما جاء في بعض التراجم « من بينك» أي أنه إسرائيلي.

لكن التحقيق يرد هذه الزيادة التي يراها المحققون تحريفاً، بدليل أن موسى لم يذكرها، وهو يعيد خبر النبي على مسامع بني إسرائيل، فقال :« قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك »(التثنية 18/17-18)، ولو كانت من كلام الله لما صح أن يهملها.

كما أن هذه الزيادة لم ترد في اقتباس بطرس واستيفانوس للنص كما جاء في أعمال الرسل قال بطرس :« فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به » (أعمال 3/22)، وقال استفانوس :« هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون »(أعمال 7/37)، فلم يذكرا تلك الزيادة، ولو كانت أصلية لذكرت في سائر المواضع.

ألم نتفق إلى اللجوء إلى العقل؟

قلت: أجل..

قال: إن هذه النبوءة تدل على أن هـذا الموعـود من غـير بـني إسرائيل.

قلت: كيف استنتجت ذلك؟

قال: لقد ذكرت هذه النبوءة أن من خصائص هذا النبي أنه مثل لموسى.

قلت: لقد فرغت من الحديث عن المثلية.

قـال: لقـد نص الكتـاب المقـدس على أنـه لم يقم في بـني إسرائيل نبي مثل موسى.

قلت: أجـل.. فقـد ورد في التثنيـة: (ولم يقم بعـد نـبي في إسـرائيل مثـل موسـى الـذي عرفـه الـرب وجهـا لوجـه) (التثنيـة: 34/10)

قال: بل في التوراة السامرية ما يمنع صـراحة قيـام مثـل هـذا النبي فقد جاء فيها: (ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسـى الذي ناجاه الله) (التثنية 34/10)

قلت: والمسيح؟

قال: ألم نتفق أنه ليس نبيا.. وحتى لو كان نبيا فإن المفارقـات بينه وبين موسى أكثر من أن تنحصر.

قلت: فعلى من ترى انطباق هذه النبوءة إذن؟

قـال: إن البحث العقلي يـدعونا إلى البحث فيمن ادعى النبـوة من نسل عيسـو وإسـماعيل لـنرى انطبـاق مـدى انطبـاق النبـوءة عليه.

قلت: ليس هنـاك في هـذا النسـل إلا محمـد الـذي يـزعم المسلمون نبوته.

قال: فدعنا نطبق هذه النبوءة عليه.

قلت: لا بأس.. لا حرج في أن نجرب ذلك.

قال: ألا يتشابه محمد مع موسى في كل ما ذكرناه من نـواحي التشابه؟

قلت: ولكنه لم يكن إسرائليا.

قال: لقد عرفنا أن التماثل لا يعني التطابق.

قلت: إن أردت ميلادهما الطبيعي، وزواجهما، ونحو ذلك.. فهمـا متماثلان.

قال: وفي غيرهما أيضا يتماثلان.. وهلم نبحث في ذلك.

قلت: لا بأس.. فاذكر لي نواح أخرى للتشابه.

قال: ألم يكن محمد وموسى كلاهما صاحبا شريعة؟

قلت: أجل.. ولكن شريعة موسى إلهية، وشريعة محمد بشرية.

قال: لا ينبغي أن نستعجل.. نحن الآن نبحث بالعقـل.. ولا ينبغي أن نخلط الأمور التي تحول بيننا وبين الحقيقة.

قلت: لا بأس.. نعم كلاهما له شريعة.. سواء كـانت صـحيحة أو مدعاة.

قال: من صفات محمد أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، والوحي الذي يأتيه وحي شفاهي، يغاير ما جاء الأنبيـاء قبلـه من صـحف مكتوبـة، بينما كان المسيح قارئاً كما في لوقا(انظر لوقا 4/16-18).

قلت: هذا صحيح.

قال: وهو ما تشير إليه النبوءة صراحة، فقد جاء فيهـا: (وأجعـل كلامي في فمه)

صمت، فقال: ألا يتهم الناس محمـدا بأنـه جـاء بالسـيف خلافـا للمسيح؟

قلت: بلى.. ولولا السيف ما انتشر الإسلام.

قال: دعنا من هذا الآن.. نحن الآن نتحدث عن نقطة معينة، فلا ينبغي أن نحجب العقل عنها.

قلت: نعم.. لقد جاء محمد بالسيف.

قال: وموسى..

قلت: أجل.. لقد جاء بالسيف.

قـال: ألم يكن كلا من موسـى ومحمـد زعيمين، بالإضـافة إلى النبـوة الـتي مارسـا مـا تتطلبـه من وظـائف بغض النظـر عن كـل حقيقة أو دعوى؟

قلت: بلى.. لقد كـان موسـى يملـك هـذا السـلطان، فقـد أمـر بأعدام عباد العجل كما في (خروج:32: 26)

قال: وكذلك كان لمحمد سلطان في الحكم بين الناس.. وهــل كان للمسيح مثل هذا السلطان؟

قلت: لا.. فللمسيح سلطان من نوع آخر.

قال: إذن هو لا يشبه موسى في هذا..

قلت: أجل.

قال: هل جاء المسيح بشريعة جديدة؟

قلت: كلا.. بل كـان يحـاول دائمـا أن يثبت لليهـود الـذين كـانوا

يتهمونه بالتجديف بأنه لم يأت بشـريعة جديـدة، فيقـول: (لا تظنـوا أني جئت لانقض الناموس أو الانبيـاء، مـا جئت لأنقض بـل لأكمـل) (متي 5: 17)

قال: وموسى.. هل جاء بشريعة جديدة؟

قلت: أجل.. فقد جاء موسى بالوصايا العشرة وطقوس جديدة شاملة لهداية الناس.

قـال: ومثـل ذلـك محمـد، فقـد جـاء إلى شـعب يمتلئ جهالـة بشريعة لا زلنا نراها، ونرى أثراها، وهي ـ كمـا يـزعم المسـلمون ـ تشمل جميع مناحي الحياة.

قلت: هذا صحيح.

قال: فموسى ومحمد يتشابهان في هذا؟

قلت: أجل..

قال: بل ليس هناك من ينطبق عليـه هـذا الشـبه غـير موسـى ومحمد..

صمت، فقال: أخبرني.. كيف كان رحيل المسيح من الدنيا؟

قلت: أنت تعلم ذلك.. لقد صلب المسيح من أجل الفداء.

قال: ومحمد وموسى؟

قلت: لقد ماتا ميتة طبيعية.

قال: فالمسيح ليس مثل موسى في هذا، ولكنه مثل محمد.

صمت، فقـال: فلننتقـل إلى عبـارة أخـرى وردت في النبـوءة.. لقد ورد فيها:(من وسط اخوتهم، مثلك) أليس هذا الخطاب موجــه من موسى لشعبه من الإسرائيليين؟

قلت: بلى..

قال: فعندما تقول النبوءة من (إخوتهم)، لا يصدق هذا الوصـف إلا للعرب.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنت تعلم أنه كـان لابـراهيم زوجتـان سـارة وهـاجر.. وأن هـاجر ولـدت لابـراهيم ولـدا، هـو الابن البكـر لابـراهيم كمـا يقـول الكتـاب المقـدس: (ودعـا ابـراهيم اسـم ابنـه الـذي ولدتـه هـاجر اسماعيل)(التكوين16 :15).. وقد وهب الله ابراهيم ابنا آخــر من سارة اسماه اسحاق.

قلت: هذا صحيح.

قـال: إذا كـان اسـماعيل واسـحاق ابنـاء الوالـد نفسـه، وهـو إبراهيم، وهو ما يقوله الكتاب المقـدس، إذن همـا أخـوان.. وهكـذا فإن الشعوب التي نشأت من سلالتهما، اخوة بـالمعنى المجـازي.. أي أن أبناء إسحاق الـذين هم اليهـود، وأبنـاء إسـماعيل الـذين هم العرب إخوة.

قلت: لا يمكنك أن تقول ذلك.. بل هما شعبان لا أخوان.

قال: لقد نص الكتاب المقـدس على هـذه الحقيقـة، فقـد جـاء فيـه: (وأمـام جميـع إخوتـه يسـكن)(تكـوين16 :12).. وعن وفـاة إسماعيل تقول التوراة: (وهـذه سـنو حيـاة إسـماعيل، مئـة وسـبع وثلاثون سنة، وأسلم روحه ومات وانضـم الى قومـه، وسـكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيئ نحو أشور، أمام جميع إخوته) (تكوين 25: 17)

فأبناء إسماعيل هم إخوة لأبناء اسحاق.. ولهذا فإن محمـدا من قوم هم إخوة بني اسرائيل، فهو من سلالة اسماعيل.

بل إن تطبيق نصوص التوراة على هذه النبوءة يجعلهـا لا تشـير

إلا لمحمد، فـالتوراة لم تقـل: (من بين أنفسـهم)، بـل قـالت: (من وسط إخوتهم)

قلت: فأنت مقتنع بأن هذه النبوءة إذن تتوجه لمحمد؟

قال: اصبر علي.. ألم نتفق على البحث العقلي المحايد؟

قلت: بلى ..

قال: فلا ينبغي أن نتخذ موقفا من هذه النبوءة حتى نكمـل كـل ما ورد فيها.. فلعل فيها من الشبهات ما ينفي توجهها لمحمد.

قلت: أنصفت في هذا.

قال: تقـول النبـوءة: (أقيم لهم نبيـا من وسـط إخـوتهم مثلـك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه بـه)(التثنيـة 18:18).. لقـد عرفنـا إلى الآن العبـارة الأولى:(أقيم لهم نبيـا من وسـط إخوتهم مثلـك)، فلنحـاول فهم العبـارة الثانيـة: (وأجعـل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)

قلت: فما ترى في ذلك؟

قال: لقد عرفنـا أن أولى من تنطبـق عليـه العبـارة الأولى هـو محمد.. فلذلك هيا ننظر هل تنطبق عليه العبارة الثانية أم لا.

قلت: فما ترى؟

قال: ماذا يزعم المسلمون عن كتابهم؟

قلت: هم يزعمون أنه كلام الله.. ولكنهم يكذبون في ذلك.

قال: دعنا من التكـذيب والتصـديق.. فنحن الآن نعرضـهم على محك العقل.

قلت: لا بأس.. اسأل ما بدا لك.

قال: وهل يتضمن كلام الله الذي جاء به محمد ـ على حـد زعم المسلمين ـ وصايا للرب؟

قلت: أجل.. إن السيرة التي ينقلها المسـلمون عن نـبيهم تـدل على أنه عندما بلغ من العمر أربعين عاما.. حين كان يتعبد في غـار حراء، نزل إليـه الملاك جبريـل وأنـزل عليـه القـرآن كتـاب محمـد المقدس.

قال: هل هذا فقط ما أنزل إليه؟

قلت: لا.. لقد ظل ثلاثة وعشرين سـنة، يـزعم أن هـذا الـوحي يوحى إليه.

قـال: إن هـذا الثبـات طـول هـذه المـدة ينبغي أن يسـتوقف العقل.. ألا يمكن أن يكون ثباته هذا دليلا على صدقه؟

قلت: لا.. فالثبات نراه على الباطل، كما نراه على الحق.

قال: ولكنه ادعى النبـوة والاتصـال باللـه، بـل تكلم مخـبرا عن الله، فكيـف يتركـه اللـه، ألم يـرد في النبـوءة أن من صـفات هـذا النبي أنه لا يقتل، بل يعصم الله دمه عن أن يتسلط عليه السـفهاء بالقتل، فالنبي الكذاب عاقبته (يموت ذلك النبي)، أي يقتل(1).

وهـذا يزيـد النبـوءة بعـدا عن المسـيح على حسـاب اعتقـاد المسيحيين.. فالمسيح قتل، أما محمد، فقد ظل حيا يدعو إلى دينه إلى آخر حياته.

صمت، فقال: لا بأس.. ألا زال الـوحي الـذي قـال محمـد بأنـه أوحي إليه موجود؟

قلت: بلى.. وهو القرآن، كتـاب المسـلمين.. ولكن فيهـا أمـورا عن القتال وغير ذلك تدل على أنه ليس كلام الله.

---

1) بالرجوع إلى التراجم القديمة للنص نرى أن ثمة تحريفاً وقع في الترجمة، فقد جـاء في طبعة 1844م :« فليقتل ذلك النبي »، ولا يخفى سبب هذا التحريف.

قال: دعنا من ذلك الآن.. نحن الآن نبحث في صدق النبوءة.

قلت: أرى أنها إلى الآن تنطبق من حيث الظاهر عليه في هـذه الناحية.

قال: لا تتسرع.. فلنسمع عبارات أخـرى لعلهـا تصـرف النبـوءة عنه.

قلت: نعم.. لا ينبغي التسرع في مثل هذا.

قال: لقد ورد في النبوءة أن هذا النـبي يتمكن من تبليـغ كامـل دينه.

قلت: أجل.. فقد ورد فيها:(يكلمهم بكل ما أوصيه به)

قال: فهل أكمل المسيح جميع وصاياه؟

قلت: لا.. لقد رحل المسيح، ولديه الكثير مما يود أن يبلغـه إلى تلاميذه، لكنه لم يتمكن من بلاغه، لكنه بشـرهم بحصـول ذلـك من بعـــده، فقـــال: (إن لي أمـــوراً كثـــيرة أيضـــاً لأقـــول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملـوا الآن، وأمـا مـتى جـاء ذاك روح الحـق فهـو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يســمع يتكلم به) (يوحنا 16/12-13)

قال: أما محمدا، فلم يقل هـذا.. لقـد ورد في كتابـه أنـه أكمـل دينه، وبلـغ كـل مـا أمـر بتبليغه(1)، لقـد جـاء في القـرآن : الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً (المائدة: 3)

صمت، فقال: ناحية أخرى في النبوءة جديرة بالاهتمـام.. ولكن قبل أن أسـوقها لـك، أجبـني: هـل توعـد المسـيح من لم يسـمعوا كلامه، أو غيرهم بأي لون من ألوان الوعيد؟

---

1) وقد وصفه المسيح في نبوءة البارقليط، التي سيأتي الحديث عنهـا، فقـال :« وأمـا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكـل ما قلته لكم » (يوحنا 14/26).

قلت: لقد كان المسيح مملـوءا بالرحمـة الـتي تمنعـه من هـذا الوعيد.. فهو لم يتوعد حتى قاتليه، فكيف بأولئك الذين لم يسمعوا كلامه، لقد قال لوقا في سياق قصة الصلب: (فقال يسوع: يا أبتـاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون) (لوقا 23/34)

قال: ولكن النبوءة تقول: (ويكـون أن الإنسـان الـذي لا يسـمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبـه)، وقـد فسـرها بطـرس، فقال: (ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النـبي تبـاد من الشـعب الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه)

قلت: فهل تحقق هذا الجزء من النبوءة في محمد؟

قال: أجل.. فقد ورد في النصوص التي جاء بها أنـه نـبي واجب السمع والطاعة على كل أحـد، ومن لم يسـمع لـه تعـرض لعقوبـة الله.

بل إن ذلك هو ما حصل بجميع أعدائه، حيث انتقم الله من كـل من كذبه من مشركي العرب والعجم.

قلت: ولكن هذا ما ينفر النفس عنه.

قـال: لا يهمـك أن تنفـر نفسـك أو تقبـل، بـل يهمـك أن تقنـع عقلك.. فلا ينبغي أن نملي على الله صفات من يرسله إلينا.

قلت: ولكن المسيح يجذب العقول والنفوس.

قال: ألم تقرأ ما قال المسيح في نبوءة الكرامين؟.. لقد قــال: (ومن سـقط على هـذا الحجـر يترضـض، ومن سـقط هـو عليـه يسحقه)(مـتى 21/44)، فهـو الحجـر الصـلب الـذي يفـني أعـداءه العصاة.

إنه نفسه الذي بشـر بمقدمـه النـبي دانيـال: (وفي أيـام هـؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، ومَلِكها لا يُترك لشــعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالـك، وهي تثبت إلى الأبـد، لأنـك

رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب)(دانيال 2/21 - 45)

قلت: أرى أنك اقتعت بهذه النبوءة، واتبعت محمدا.

قال: أجل.. وأنا لأجل ذلك في سعادة من أجـل انسـجام عقلي مع روحي مع نفسي.

قلت: ولكنـك ذكـرت لي أنـك مسـيحي.. أتتخـذ الكـذب مطيـة للتلاعب بي.

قال: لم أكذبك في ذلك.. لقد ولدت مسيحيا.. لكن هذه النبوءة أضافت إلى إيماني بالمسيح إيماني بمحمد.. بل إنها عمقت إيماني بالمسيح وصححته من الأوهام التي ألصقها قومنا به.

قلت: أمن أجل نبوة واحدة تتحول عن إيمانك؟

قال: أنا لم أتحول عن إيماني.. بل صححته ودعمتـه.. ثم كيـف تحتقر نبوءات الله..

صمت، فقال:ومع ذلك فإن لي أختا لها نطق بها فم ذلك النـبي المبارك.

قلت: فما هي؟

البشارة الثانية:

قال: قبيل وفاة موسى ساق خبراً مباركاً لقومه بني إسـرائيل، فقد جاء في سفر التثنية:(هذه البركة التي بارك بهـا موسـى رجـل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الـرب من سـيناء، وأشـرق لهم من سـعير، وتلألأ من جبـل فـاران، وأتى من ربـوات القـدس، وعن يمينه نار شريعة، فـأحب الشـعب، جميـع قديسـيه في يـدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك)(التثنية 33/1-3)

وقد أكد هذه النبوءة النـبي حبقـوق، حيث قـال: (اللـه جـاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران. سـلاه. جلالـه غطى السـماوات،

والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قدامه ذهب الوبأ، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم) (حبقوق 3/3-6)

قلت: أراك تقرأ النصوص قراءة مختلفة.. فما في نسخي يختلف عما أوردته.

قال: أنت تعلم ما يفعله قومي وقومك من التلاعب بالترجمات.. ولست أدري سر ذلك، ولا أريد أن أتهمهم بشيء:

لقد جاء في الترجمة السبعينية: (واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم وأحبهم، ورحم شعبهم، وباركهم وبارك على أظهاره، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك. أسلم لنا موسى مثله، وأعطاهم ميراثاً لجماعة يعقوب)

وفي ترجمة الآباء اليسوعيين: (وتجلى من جبل فاران، وأتى من ربى القدس، وعن يمينه قبس شريعة لهم)

وفي ترجمة 1622م: (شرف من جبل فاران، وجاء مع ربوات القدس، من يمينه الشريعة)

ومعنى ربوات[1] القدس أي ألوف القديسين الأطهار، كما في ترجمة 1841م:(واستعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار، في يمينه سنة من نار)

قلت: فكيف تنطبق هذه النبوءة على محمد؟

قال: في هذا النص تتحدث البشارة عن الأماكن التي سيظهر فيها وحي الله إلى أنبيائه، وهي تدعو بذلك إلى البحث عنها، أما الأول، فهو جبل سيناء، حيث كلم الله موسى.. وأما الثاني، فهو

---

1) استخدام ربوات بمعنى ألوف أو الجماعات الكثيرة، معهود في الكتاب المقدس: (ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه)(دانيال7/10)، ومثله قوله :(كان يقول: ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل)(العدد 10/36)، فالربوات القادمين من فاران هم الجماعات الكثيرة من القديسين، الآتين مع قدوسهم الذي تلألأ في فاران.

ساعير، وهو جبـل يقـع في أرض يهـوذا كمـا في (يشـوع 15/10)، وهو محل ظهور المسيح.. وأما الثالث، فهو جبل فاران(1).

قاطعته قائلا: وهي منطقة موجودة بجنوب فلسطين(2).

قال: إن وجـود منطقـة اسـمها فـاران في جنـوب فلسـطين لا يمنع من وجود فاران أخرى هي تلك التي سكنها إسماعيل، وقامت

---

1) وردت كلمة فاران اثنى عشر مرة فى أسفار العهد القديم من نسخة فانديك العربية المعتمدة لدى الكنائس العربية. أماكنها كالآتى : تك (14 : 6 ؛ 21 : 21) ؛ عدد (10 : 12 ؛ 12 : 16 ؛ 13 : 3، 26) ؛ تثنية (1 : 1 ؛ 33 : 2) ؛ 1 صموئيل (25 : 1) ؛ 1 ملوك (11 : 18، 18) ؛ حبقوق (3 : 3)

ونجد الكلمة تأتى مسبوقة بالحرفين (هـ ر) أى هار فاران (הך פארנ) فى كل من (تك 14 : 6 ؛ تثنية 33 : 2 ؛ حبقوق 3 : 3)

وكلمة هار يقول عنها علماء اللغة العبرية أنها صيغة مختصرة من الجذر هرر (הךך)، وهو جذر غير مستخدم فى العبرية، وتجدهم يترجمون معنى هار إلى جبل فيقولون جبل فاران كما جاء فى (تثنية 33 : 2 ؛ حبقوق 3 : 3). وتجدهم يترجمون معناها أحيانا إلى كلمة بطمة فيقولون بطمة فاران كما جاء فى (تك 14 : 6) وشتان ما بين الجبل و البطمة فى المعنى، فهذا حجر وذاك زرع نباتى..!!

وفى الإنجليزية يترجمونها إلى إيل فاران (El-Paran) وقد سبق ذكر معنى كلمة إيل التى يترجمونها فى النسخ العربية إلى اسم الجلالة الله، فيكون منطوق العبارة فى نصّ تك (14 : 6) هو فاران الله. أى أنَّ اسم ذلك المكان ينسب إلى اسم الله سبحانه وتعالى.

كما نجد أنَّ كلمة فاران فى النصوص (تك 21 : 20؛ عدد 10 : 12 ؛ 12 : 16 ؛ 13: 26 ؛ تثنية 1 : 1 ؛ 1 صموئيل 25 : 1) تأتى مسبوقة بالكلمة العبرية مدبار (חידבך) بمعنى برية. وسكن إسماعيل وأمه هاجر في مدبار فاران (חידבך פארנ) أى برية فاران، وليس على هار فاران (הך פארנ) أى جبل فاران.

وبالمناسبة فإنهم لا يقولون هار سين أى جبل سيناء كما قالوا هار فاران أى جبل فاران، وإنما يقولون مدبار سين أى برية سيناء و مدبار فاران أى برية فاران. فهناك إذًا فى العبرية جبل فاران و برية فاران ولا يوجد فيها جبل سيناء وإنما الموجود برية سيناء و سيناء فقط ويعنون بها الجبل، وفى العبرية الحديثة يطلقون كلمة سين على كل شبه جزيرة سيناء.

ونجد الكلمة فاران تأتى علما على اسم مكان بدون إضافة إليها كما جاء فى نص (1 ملوك 11 : 18 مكرر) (أنَّ هدد هرب هو ورجال أدوميون من عبيد أبيه معه ليأتوا مصر، وكان هدد غلاما صغيرا. وقاموا من مديان وأتوا إلى فاران وأخذوا معهم رجالا من فاران وأتوا إلى مصر)

أمَّا عن معنى كلمة فاران ومكانها فإنَّ معظم القواميس والموسوعات الكتابية لا تذكر شيئا عن معناها، وكل أقوالهم تنحصر فى بيان موقعها الجغرافى المُضَلل المزعوم فى سيناء المصرية.

الأدلة التاريخية على أنها الحجاز، حيث بنى إسماعيل وأبوه الكعبة، وحيث تفجر زمزم تحت قدميه، وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين كالمؤرخ جيروم واللاهوتي يوسبيوس اللذان شهدا بأن فاران هي مكة.

قلت: شهادتهما لا تلزم غيرهما.

قال: إن جبل فاران هو الجبل الذي سكنه إسماعيل، كما قالت التوراة عن إسماعيل:(كان الله مع الغلام فكبر.وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر)(التكوين: 21/20-21)

وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة، فقد جاء في التوراة: (هؤلاء هم بنو إسماعيل.... وسكنوا من حويلة إلى شور)(التكوين 25/16 -ـ 18)، وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقة في أرض اليمن، بينما شور في جنوب فلسطين.. وعليه فإن إسماعيل وأبناؤه سكنوا هذه البلاد الممتدة جنوب الحجاز وشماله، وهو يشمل أرض فاران التي سكنها إسماعيل.

قلت: دعنا من هذا.. لقد ذكر موسى هذه البشارة بصيغة الماضي، وهي بالتالي لا يصح انطباقها على محمد.

ولكن بالرجوع إلى القواميس اللغوية المتخصصة للكتاب المقدس نجد أنَّ الكلمة فاران تذكر أنها صحراء العربية، ويقصدون بطرف خفى أنها صحراء وادى عربة الواقعة شرقى سيناء كما ورد فى كثير مِن القواميس الكتابية..!!

إلا أنهم يرمون للقارىء المسلم ببعض المعانى والكلمات أمام كلمة فاران مثل قولهم glorify-self) أى المكان المُعَظم فى ذاته أو المكان المُمَجَّد فى ذاته. (انظر: نبي أرض الجنوب)

2) يزعم بعضهم أن فاران الواردة في هذه البشارة هي التي بقرب جبل سيناء، وهذا ليس صحيحا، ففاران تلك هي برية فاران كما أفادت عنها التوراة. وهنا ذكر جبلاً... ودعيت تلك فاران بسبب أنها ظليلة من الأشجار.

ولفظة فاران عبرية تحتمل الوجهين، فإذا ذكرت البرية لزم أنها ظليلة، وإن ذكر الجبل ينبغي أن يفهم بأنه جبل ذو غار، وفي هذه البشارة ذكر جبل فعلم أنه جبل فاران الذي فيه المغارة. كما أن لفظة فاران مشتقه من فاري بالعبرية وعربيتها: المتجمل. أي المتجمل بوجود بيت الله. وهذه الجبال قد تجملت ببيت الله.

قال: أنت تدري بأن من عادة الكتب الإلهية استعمال الماضي في معنى المستقبل(1)، ألم تر أنه أخبر عن عيسى في هذه البشارة كذلك بصيغة الماضي، فإن قبلت هذه البشارة في حق عيسى، فهي في حق محمد ادعى للقبول.

قلت: ولكن النص أخبر عن مجيء الرب.. لا عن مجيء النبي..

قال: يقصد بهذا التعبير في اصطلاح الكتب المقدس الدين، فجاء الرب معناها ظهر دينه ودعي إلى توحيده.. بالإضافة إلى أن لفظة (رب) قد تقع على موسى وعيسى ومحمد، وهي مستعملة بهذا الإطلاق في اللغة السريانية والعربية فتقول العرب رب البيت، بمعنى صاحب البيت ويقول السريان لمن أرادوا تفخيمه: (مار)، ومار بالسريانية هو الرب.

وقد يراد بها: (الله)(2)ويكون معناها ظهور دينه.

قلت: لقد أخبر النص عن آلاف القديسين، والذين تسميهم بعض التراجم (أطهار الملائكة).. فمتى شهدت فاران مثل هذه الألوف من الأطهار؟

قال: هذا دليل آخر على هذه النبوءة.. فلنبحث في تاريخ فاران.. هل شهدت من القديسين كما شهدت في عهد محمد، وعهود أتباعه..

---

1) التعبير عن الأمور المستقبلة بصيغة الماضي معهود في لغة الكتاب المقدس. يقول اسبينوزا :« أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر، وعلى الماضي بلا تمييز كما استعملوا الماضي للدلالة على المستقبل... فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات »

وفي القرآن الكريم كثير من ذلك، فالله تعالى يقول عن الساعة : أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النحل:1)

2) أورد المهتدي الإسكندراني هذه البشارة باللغة العبرية، ثم ترجمها إلى اللغة العربية ونص ترجمته هكذا :« جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار، إليه تجتمع الأمم، وعليه تجتمع الشعوب »وقال :« إن علماء بني إسرائيل الشارحين للتوراة شرحوا ذلك وفسروه بأن النار هي سيف محمد القاهر، والنور هي شريعته الهادية »

صمت، فقال: أعلم ما تقولون في هذا النص.. أنتم تلوون عنقه لتقولـوا بـأن المـراد منـه الحـديث عن أمـر قـد مضـى يخص بـني إسرائيل، وأنه يتحـدث عن إضـاءة مجـد اللـه وامتـداده لمسـافات بعيدة شملت فاران وسعير وسيناء.

قلت: هذا ما نفهم من النص.

قال: لو كان هذا هو المراد من النص لما كان نبوءة..

أما نحن فنرى فيه شهادة بنبـوة المسـيح، كمـا أن فيـه شـهادة بنبوة محمد، الذي أتى ومعه الآلاف من الأطهار مؤيـدين بالشـريعة من الله عز وجل.

وأزيدك على هذا أن هذه النبوءة ورد مثلها في القرآن الكـريم، فاللـه تعـالى يقـول: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُـونِ وَطُـورِ سِـينِينَ وَهَـذَا الْبَلَـدِ الْأَمِينِ (التين:3)، فالمواطن الثلاثة تجتمع في هذه السـورة، كمـا تجتمع في نبوءة موسى.

قال هذا.. ثم انصرف لعيدانه يجمعها..

أما أنا فقـد عـدت بحـيرة جديـدة إلى غرفـتي.. وببصـيص من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

بشارة داود

في اليـوم الرابـع خـرجت من بيـتي بـاكرا لأتجـول في شـوارع القرية الخالية، وأرى جمـال السـكون، وهـو يلـف بيوتهـا البسـيطة الجميلة.

لكنني ما سرت قليلا حتى سمعت صوتا نديا، كأحسن ما تسـمع من الأصوات، وسمعت بجانبه صوت مطرقـة.. فتعجبت من هـذين الصوتين وامتزاجهما مع ذلك السكون..

اقتربت من مصـدر الصـوت، فـرأيت رجلا.. هـو كهـل في قـوة الشباب، يرتل مزمورا من مزامير داود، ويطـرق في نفس الـوقت بمطرقته على حديد يصلحه في محل الحدادة الذي يعمل به.

اقــتربت منــه، فقلت: كيــف تجمــع بين هــذين الصــوتين المتناقضين: صوتك الجميل الندي الذي ترتل الطـير صـداه، وتميـد الجبال بألحانه، بصوت هذه المطرقة المـزعج الـذي يوقـظ النـائم، ويزعج الحالم.

قال: أنـا داود.. وقـد كـان من فضـل اللـه علي أن أمـدني بمـا سمعت من صوت رخيم، وأمدني معه بقـوة يلين لي معهـا الحديـد (1).

قلت: أراك تلغز بداود النبي.. فما علاقتك به؟

قال: أكبر من علاقة الأخ بأخيه، والمحب بحبيبـه، والابن بأبيـه.. هو النبي الذي انتشلني من ظلمات كثيرة إلى نور الله.

قلت: فأنت على دين داود؟

قـال: نعم.. لقـد كـان داود مفتاحـا فتح اللـه بـه علي أبـواب

1) كما قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (سبأ:10)

الحقائق، فدخلت منه، فعرفت منها ما ملأني بالنور والحياة.

قلت: ولكني لم أسمع أن هناك من يدين بـدين داود.. ولا أعلم أن هناك دينا ينسب إليه.

قال: دين الأنبيـاء واحـد.. ومن سـار خلـف أي نـبي، فقـد سـار خلف الجميع.. كل واحـد منهم يـدلك على غـيره إلى أن تصـل إلى مصدر النور.

قلت: فما الذي جعلك ترغب في داود، وترغب عن غيره؟

قال: نعم أنا رغبت في داود.. ولكني لم أرغب عن غـيره.. لقـد كان داود هـو المفتـاح الـذي فتح لي بـه، والنـور الـذي عـرفت بـه الحقائق التي كان يحملها الأنبياء، ويبشرون بها.

قلت: أي مفتاح وجدته عند داود، جليت لك به الحقائق؟

قال: ما كنت أرتل فيه؟

قلت: أجـل.. لقـد كنت أسـمعك تقـرأ مزامـير داود، ولكـني لم أتبين ما كنت تقرأ، فقد شغلتني مزامير صوتك عن مزامير داود.

البشارة الأولى:

قال: لقد كنت أقرأ ما جاء في المزمور (110/1-6)، فقد جـاء فيه: (قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون، تسلط في وسـط أعدائك شعبك، فتـدب في يـوم قوتـك في زينـة مقدسـة.. أقسـم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الـرب عن يمينك، يحطم في يوم رجزه ملوكـاً يـدين بين الأمم، ملأ جثثـاً، أرضاً واسعة سحق رؤوسها)

قلت: الآن فقط فهمت ما ترمز إليه.. لقد كان داود هـو دليلـك إلى المسيح.. صدقت.. إن مـا قرأتـه ينطبـق على المسـيح تمامـا، فالمسيح من ذرية داود.

قال: نعم.. لقد بشر داود بالمسيح.. ولكن هـذا المزمـور يبشـر بشمس أخرى هي أعظم من جميع الشموس.. أشرقت ذات يــوم على الأرض، ولا تزال مشرقة إلى اليوم، وقد من الله علي بالتنعم بأشعتها المنيرة الدافئة.

قلت: من تقصد؟

قال: محمد.. إنه شمس الهداية.. وهو الـذي بشـر بـه داود في ذلك المزمور.

قلت: لك أن تحب محمدا، ولك أن تتبع دينه، ولكن ليس لك أن تحرف كتابنا المقدس.. إذا شئت أن تحرف كتابـا مقدسـا، فحـرف كتابكم، كتاب المسلمين.

قال: لقـد كنت مسـيحيا.. وكـان كتـابي هـو كتـاب المسـيحيين المقدس.. وقد كنت طيلة عمري أرتله بخشوع.. وكـانت لي عـادة أن أبتغي الفأل من فتح الكتـاب لأرى أي موضـع سـيفتح لي فيـه.. وكان من حكمة الله ونوره الذي جذبني إليه أن لا يفتح لي الكتــاب المقدس بكـل كتبـه ورسـائله إلا على ذلـك المزمـور الـذي يبشـر بمحمد.

قلت: إن المزمور يبشـر بالمسـيح.. ألم تقـرأ مقولـة بطـرس، الــذي فســر النبــوءة بالمســيح، فقــال: (لأن داود لم يصــعد إلى السموات، وهو نفسه يقول: قـال الـرب لـربي: اجلس عن يميـني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، فليعلم يقيناً جميع بيت إسـرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسـيحاً) (أعمـال: 2/29-37)؟

فكيف تفهم منه أنت أن البشارة بمحمد؟

قال: لقد درست العهد الجديد، ورأيت فيه نصـا قاطعـا، علمت من خلاله أن البشارة لا تصح إلا في محمد.. أما بطـرس، فـإن مـا ذكره فهم فهمه، لا وحي أوحي إليه، وهـو معـذور في ذلـك الفهم،

فقد شغف كتاب الأناجيل بنبوءات العهد القديم، فعمدوا في تكلـف ظاهر إلى تحريف معاني الكثير من النصوص، ليجعلوا منها نبوءات عن المسيح، إن محبتهم للمسيح هي التي دعتهم إلى ذلك.. وحبك للشيء يعمي ويصم..

ألم تقرأ ما كتبه بولس في رسالته إلى العبرانـيين، حيث حـول بشارة الله لداود بابنه سليمان إلى المسيح مع أن النص لا يساعده على ذلك.. اسمع ما يقول بولس: (كلمنـا في هـذه الأيـام الأخـيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكـل شـيء.. صـائراً أعظم من الملائكـة، بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم، لأنه لمن من الملائكة قال قـط: أنت ابني، أنا اليوم ولدتك، وأيضاً أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً) (عبرانيين 1/5).

فقد اقتبس بولس العبارة الواردة في سـفر صـموئيل الثـاني (7/14)، وجعلها نبوءة عن المسيح، ففيـه: (أنـا أكـون لـه أبـاً، وهـو يكون لي ابناً)، فقد ظن بولس أن هذه العبارة نبوءة عن المســيح، فنقلها في رسالته.

إلا أن هذا الاقتباس غير صحيح، فالنص جاء في سياق الحــديث إلى داود، فقد أمر الله النبي ناثان أن يقـول لـداود: (فهكـذا تقـول لعبدي داود..متى كملت أيامك واضـطجعت مـع آبائـك أقيم نسـلك الذي يخرج من أحشائك، وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسـمي، وأنـا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون له أباً، وهـو يكـون لي ابنـاً، وإن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم..كذلك كلم ناثان داود)(صموئيل (2) 7/8-17).

فالمتنبئ عنه يخرج من أحشـاء داود، وليس من أحفـاده، وهـو يملك على بني إسرائيل بعد اضطجاع داود مع آبائه أي موتـه، وهـو باني بيت الله، وهو متوعد بالعذاب إن مال عن دين الله، وكل هـذا قد تحقق في سليمان كما ورد في النصوص.

بل قد ورد التصريح بأن اسم صاحب تلك النبوءة هـو سـليمان،

خلافا لما فهمه بولس، فقد جاء في سـفر أخبـار الأيـام الأول قـول داود: (هو ذا يولد لك ابن، يكون صـاحب راحـة، وأريحـه من جميـع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني بيتاً لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا لــه أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد)(الأيام (1) 22/9)

قلت: دعنا من تلك النبوءة.. وعد بنا إلى هذه النبوءة.. أنا رجل دين.. فأي نص قاطع هذا الذي دلك على أن البشـارة ليسـت كمـا ذكر بطرس؟

قـال: ألم تقـرأ مـا ورد في مـتى من إبطـال المسـيح لليهـود قـولهم، وإعلامهم أن القـادم لن يكـون من ذريـة داود، ففي مـتى: (كــان الفريســيون مجتمعين، ســألهم يســوع: مــاذا تظنــون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالو له: ابن داود، قـال لهم: فكيـف يـدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضـع أعداءك موطئاً لقدميك، فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيب بكلمة)(متى 22/41 - 46)

وفي مـرقس: (فـداود نفســه يـدعوه ربـاً. فمن أين هـو ابنـه) (مرقس 12/37)

ونفس النص ورد في لوقا، فقد ورد فيه: (كيف يُــقال للمسـيح أنه ابن داود، وداود نفســه يقـول في كتـاب المزامـير:(قـال الـرب لـربي: اجلس عن يميـني حـتى أجعـل أعـداءك موطئـا لقـدميك)، فداود نفسه يدعو المسيح ربا، فكيف يكون المسيح ابنــه؟)(إنجيــل لوقا:20 : 42)

قلت: أنت لم تفهم مراد المسيح.. إن هـذا القـول من الأقـوال الـتي نسـتدل بهـا على طبيعـة المسـيح.. ألا تـرى أن داود يطلــق الربوبية على المسيح في هذا النص؟

قال: أأنت تقول هذا؟

قلت: أقول هذا كما يقوله كـل مسـيحي.. وهـو الحقيقـة الـتي ينطق بها كل حرف من حروف النص.. فداود يـدعو المسـيح ربـا.. ألا تقرأ قوله: (قال الرب لربي)؟

قال: فلنبدأ بنفي ما تدعيه من ألوهية للمسـيح في هـذا النص.. ثم ننتقل إلى صـدق البشـارة على محمـد.. سأسـلم لـك جـدلا أن المبشر به في هذا النص هو المسيح.. فهل ترى فيه مـا يـدل على ألوهيته؟

قلت: أجل.. النص واضح، لقد جاء فيه: (قال الرب لربي)

قال: عبارة المزامـير تقـول: قـال الـرب، أي اللـه لـربي ــ أي المسيح على حسب ما تعتقد، وعلى محمد على حسب مـا أعتقـد ـ: (اجلس عن يميني حـتى أجعـل أعـداءك موطـأً لقـدميك)، وبنـاء على هذه الجملة لا يمكن أن يكون المقصود من كلمة ربي الثانيــة هو الله أيضا، وذلك لأن المعنى سيصبح عندئذ: قال الله لِلّه اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك.. وكيـف يجلس اللـه عن يمين نفسه؟

قلت: هذا الكلام مبني على طبيعة المسيح.

قال: لا بأس.. إذا كان ربي الثانية إلهاً فإنه لا يحتـاج لأحـد حـتى يجعل أعداءه موطئا لقدميه، بل هو نفسه يسـخر أعـداءه بنفسـه، ولا يحتاج إلى من يسخرهم له.

صمت، فقال: مخاطبة الله لإلـه آخر تعـني وجـود إلهين اثـنين، وهذا يناقض العقيدة التي تتبنونها.. فأنتم تعتبرون الثلاثة واحدا.

قلت: لا بأس.. ولكن كيف سمى داود المسيح ربا؟

قال: إذا اعتبرنا اختلاف الترجمـات تفاسـير للكتـاب المقـدس، فإن الإشكال سيزول بسـهوله.. هـذه البشـارة هي الفقـرة الأولى من المزمـور رقم 110، ولفظهـا ــ كمـا في الترجمـة الكاثوليكيـة الحديثة ـ:(قال الرب لسيّدي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك

موطئا لقدميك)(1)

فما عبر عنه المسيح بلفظة ربي، هو في الحقيقة بمعنى سيدي.. ولذلك نجد أن الترجمات العربية المختلفة للعهد الجديد، خاصة القديمة منها كانت تستخدم لفظة السيد في مكان لفظة الرب، ولفظة المعلم في مكان لفظة رابِّي.

قلت: أنت تهرب إلى اختلاف الترجمات.

قال: لا بأس.. فلنبق على كلمة (ربي).. ولنذهب إلى الأناجيل لنرى استخدامات كلمة (الرب) فيها.. هل ترى الأناجيل تقصر هذه الكلمة على الله؟

أدركت ما يرمي إليه، فحاولت أن أتملص من الإجابة قائلا: أنت تريد أن نتشتت في بحار الكتاب المقدس.. ولن نفهم بذلك هذه البشارة، ولا غيرها.

قال: لن تفهم الكتاب المقدس إلا بالكتاب المقدس.. أجبني، فلي حق عليك في أن تجيبني عن سؤالي.

قلت: نعم.. الكتاب المقدس بعهديه يستعمل لفظة (الرب) بمعنى السيد والمعلم.

قال: بل ورد تفسيرها في الأناجيل بذلك، فقد جاء في إنجيل يوحنا [1 : 38]:(فقالا: ربي! الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟).. وجاء فيه أيضا: [20 : 16]:(قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلك و قالت له: ربوني! الذي تفسيره يا معلم)

قلت: ذلك صحيح.

قال: ليست الأناجيل فقط هي التي استخدمت هذه الكلمة بهذا المعنى.. بل إن القرآن الكريم ــ مع تشدده في نفي ذرائع الشرك ـ استخدم هذه اللفظة بهذا المعنى، فقد جاء فيه : يَا

1) العهد القديم، ص 1269.

صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً (يوسف: 41)، وجاء فيه : وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (يوسف:42)

قلت: فما المراد من تلك العبارة إذن؟

قال: إن ما يريده المسيح من عبارته تلك ـ إن سلمت لك من أن المراد منها هو المسيح ـ هو تذكير اليهود بمقامه العظيم قائلا لهم: كيف تعتبرون المسيح مجرد ابنٍ لداود، مع أن داود نفسه اعتبر المسيح الآتي المبشر به، والذي سيجعله الله دائنا لبني إسرائيل يوم الدينونة : ربًّاً له: أي سيدا له ومعلما؟!

قلت: فالنبوءة بهذا لا تنطبق على محمد.

قال: لا.. لقد كنت أوضح لك فقط سوء ما فهمته وفهمه قومك من اعتبار المسيح إلها.. أما انطباق البشارة على محمد.. فذلك مما لا شك فيه، بل إن النص يكون أكثر وضوحا بتطبيقه على محمد.

قلت: ولكن المسيح صرح باسم المسيح في البشارة، كما في لوقا، فقد ورد فيه: (كيف يُقال للمسيح أنه ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير:(قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك)، فداود نفسه يدعو المسيح ربا، فكيف يكون المسيح ابنه؟)(إنجيل لوقا:20 : 42)

قال: أنت تعلم أن اسم (المسيح) لم يختص به المسيح بن مريم وحده، وإنما هو وصف أطلق في الكتاب المقدس على هارون وداود وإشعياء وغيرهم..

وذلك لأن كلمة (مسيح)أصلها عبري (مشيح)، وتعني (من مسحه الله) أي جعله مسيحا، وكلفه بإبلاغ رسالة إلى الناس، و جعله رسولا.. أي أن معنى كلمة المسيح بالعبرية الرسول.

ألم تقـرأ مـا ورد في (المزمـور 89 :21) من قـول اللـه : (وجدت داود عبدي بدهن قدسي مسـحته)؟.. فـداود ـ حسـب هـذا النص ـ مسيح مسحه الله، ومثل ذلـك مـا في (المزمـور 18/50): (والصانع رحمة لمسيحه لداود)

ومثـل ذلـك مـا ورد في (سـفر إشـعياء 45:1): (يقـول الـرب لمسيحه إشعياء لكورش الذي امسكت بيمينه لادوس امامه امما)، فإشعياء، نبي الله إلى بني اسرائيل ـ حسـب هـذا النص ـ مسـيح أيضا.

و في (سفر اللاويين 6:20): (هـذا قربـان هـارون وبنيـه الـذي يقرّبونه للرب يوم مسحته) فهارون ـ حسـب هـذا النص ـ مسـيح أيضا.

بل إن هـذا الاسـم لم يطلـق على الأنبيـاء وحـدهم في الكتـاب المقدس.. بل نراه يطلق على الملوك:

فقد سمي كورش ملك فارس مسيحاً، كما في إشـعيا: (يقـول الرب لمسيحه لكورش) (إشعيا 1/45)

وشاول الملك سمي مسيحاً، إذ لمـا أراد أبيشـاي قتـل شـاول، وهو نائم نهاه داود (فقـال داود لأبيشـاي: لا تهلكـه فمن الـذي يمـد يده إلى مسيح الرب ويتبرّأ) (صموئيل (1) 26/7-9)

بـل سـمي الكهنـة مسـحاء، ففي سـفر المزامـير: (لا تمسـوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي)(المزمور 105/15)، واقرأ حديث سفر الملوك عن الكهنة المسحاء كما في (الملوك (2) 1/10)

فهذا اللقب الشريف ليس خاصاً بالمسيح، بل هو لقب يستحقه النبي القادم لما يؤتيه الله من الملك والظفر والبركـة الـتي فـاقت بركة الممسوحين بالزيت من ملوك بني إسرائيل.

أم أنـك تـرى أن الملـوك الظمـة، والكهنـة الخونـة، أحـق بهـذا الاسم من محمد؟

التفت إلي، فرآني صامتا، فقال: اسمع إلي.. وأجبـني.. ولا تفـر من الحقيقـة.. لقـد كنت مثلـك أفـر من الحقـائق بالجـدل إلى أن عرفت أن الحق لا مهرب منه.

أجبني: هل كان المسيح يدعى ابن داود أم لا؟

قلت: أجل.. فالمسيح ـ حسب متى ولوقا هـو من ذريـة داود ـ ولهذا كثـيراً مـا نـودي (يـا ابن داود)، كمـا في مـتى(1/1،ـ 9/27)، ولوقا (19/38)

قال: بورك فيك.. فهذا النص يفهم من هذا المنطلق.

قلت: لم أفهم.

قال: أجبني.. كيف يسمي الرجل ابنه، هل يسميه ابنـا، فيقـول له: (ابني)، أم يقول له: (سيدي)؟

قلت: في حال العاديـة يـدعوه: (ابـني) إلا إذا كـان سـيدا رفيـع الجاه، فقد يدعوه: (سيدي)

قال: أنت تجادل.. إن الابن يظل ابنا حتى لو صار سيدا..

استحييت من نفسي، فقلت: أجل.. ولكن ما الذي ترمي إليه؟

قال: لقد قلت لك: إن النص يفهم من هـذا.. فالمسـيح أراد أن يصحح للفريسيين خطأهم في تصورهم أن المسيح من ذريـة داود، فاستخدم معهم هذا الأسـلوب، حيث بـدأهم، فقـال: (مـاذا تظنـون في المسيح، ابن من هو؟)، فقالوا له: ابن داود، فقال لهم: (فكيف يدعوه داود بالروح رباً قـائلاً: قـال الـرب لـربي: اجلس عن يميـني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيـف يكون ابنه؟)(متى 22/41-45)

لقد كان جواب المسيح مسكتاً، فقد اعتبر أن القــادم ليس من ذرية داود بدليل أن داود جعله سيده، والأب لا يقول ذلك عن ابنه.

صمت، فقال: لا بأس.. سنترك هذا لنرى وجها آخـر من وجـوه دلالة هذه النبوءة.. ولنعد إلى حديث المسيح.

أجبني: هل ادعى المسيح أنه المسيح المنتظر؟

قلت: لقد عرف الجميع أن يسوع هو المسيح المنتظر.

قـال: لم أسـألك عن موقـف الجميـع.. سـألتك عن موقـف المسيح، فهل ادعى المسيح أو قال لتلاميـذه: إنـه المنتظـر.. فقـد يظن الناس جميعا شيئا في شخص هو منه براء.

قلت: الظاهر من النصوص عدم ادعـاء المسـيح لـذلك.. أنت لا تعرف المسيح.. لقد كان عظيم التواضع إلى حـد بعيـد.. حـتى أنـه كان يطلق على نفسه (ابن الإنسان)

قال: التواضع لا يلغي البيان.. أنا أعلم أنك تريد أن تفـر بقولـك هذا.. لكني سأورد لك من النصوص ما ينص على هـذا.. لقـد سـأل المسيح تلاميذه ذات يوم عما يقوله الناس عنه، ثم سألهم: (فقـال لهم: وأنتم من تقولون إني أنا؟)، فأجـاب بطـرس وقـال لـه: أنت المسيح، فـانتهرهم كي لا يقولـوا لأحـد عنـه، وابتـدأ يعلّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً، ويرفض من الشيوخ ورؤسـاء الكهنـة والكتبة ويقتل)(مرقس 8/29-31)

إن هذا النص يدل دلالة قاطعة على أن الذي ينتظره اليهـود لم يكن هو المسيح الذي كان بين أيديهم.

قلت: كيف فهمت ذلك من النص؟

قال: النص واضح.. لقد نهر المسيح تلاميذه، ونهاهم أن يقولـوا ذلك عنه، وأخبرهم بأنه سيتعرض للمؤامرة والقتل، وهو عكس مـا يتوقع من المسيح الظافر المنتصر الذي تنتظرون، والـذي يوقنـون أن من صـفاته الغلبـة والظفـر والديمومـة، لا الألم والمـوت، لـذا (أجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت: إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان، من هو هـذا ابن

الإنسان)(يوحنا 12/34)

وفي رواية لوقا تأكيد ذلـك، فقـد جـاء فيهـا: (فأجـاب بطـرس، وقال: مسيح الله، فانتهرهم، وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد، قـائلاً: إنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم)(لوقا 20/9-21)

قلت: ولماذا لا تفهم من ذلك أنه قصد الحذر من نشر ذلك بين اليهود؟

قال: لا.. لم يقصد المسيح ذلك.. بل كيف تقول ذلك، وقد أخبر المسيح تلاميذه عن تحقق وقوع المؤامرة والألم، وعليـه فلا فائـدة من إنكار حقيقته لو كان هو المسيح المنتظـر، لكنـه منعهم لأن مـا يقولونه ليس هو الحقيقة.

ومع ذلك.. فليس هذا هـو النص الوحيـد الـذي يفيـد ذلـك، لقـد حرص المسيح على نفي هذه الفكرة مرة بعد مرة، فقـد جـاء في يوحنا: (فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قـالوا: إن هـذا هـو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضـاً إلى الجبـل وحـده) (يوحنا 6/14-15)

أجبـني لمـاذا هـرب المسـيح؟.. إن كـان هـو المنتظـر، فلمـاذا هرب؟

صمت، فقال: هرب، لأنه ليس الملـك المنتظـر، وهم مصـرون على تمليكه لما يرونه من معجزاته، ولما يجدونه من شـوق وأمـل بالخلاص من ظلم الرومان.

ليس ذلك فقط، بل إن النصوص الدالة على هذا كثيرة:

فذات مرة قال فيلبس لصديقه نثنائيل:(وجدنا الـذي كتب عنـه موسـى في النـاموس والأنبيـاء يسـوع ابن يوسـف الـذي من الناصرة)، فجاء نثنائيل إلى المسيح وسأله، وقال لـه: يـا معلّم أنت ابن الله؟ أنت ملك إسرائيل؟ أجـاب يسـوع وقـال لـه: (هـل آمنت

لأني قلت لك: إني رأيتك تحت التينة، سوف تـرى أعظم من هـذا) (يوحنا 1/45-50)، فقد أجابه بسؤال، وأعلمـه أنـه سـيرى المزيـد من المعجزات، ولم يصرح له أنه الملك المنتظر.

وفي بلاط بيلاطس نفى أن يكون الملك المنتظـر لليهـود، كمـا زعموا وأشاعوا:(أجاب يسوع: مملكتي ليست من هـذا العـالم، لـو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهـدون لكي لا أسـلّم إلى اليهـود، ولكن الآن ليسـت مملكـتي من هنـا)(يوحنـا 18/36)، فمملكتـه روحانيـة، في الجنـة، وليسـت مملكـة اليهـود المنتظـرة، المملكة الزمانية المادية، التي يخشاها الرومان.

لذلك ثبتت براءته من هذه التهمة في بلاط بيلاطس الذي سأله قائلاً: (أنت ملك اليهود؟ فأجابـه وقـال: أنت تقـول، فقـال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع: إني لا أجـد علّـة في هـذا الإنسـان)(لوقـا 23/2-4)، فجوابه لا يمكن اعتباره بحـال من الأحـوال، فهـو يقـول له: أنت الذي تقول ذلك، ولست أنا.

ليس هذ فقط.. بل إن هناك علامـة أخـرى للمنتظـر لا تتحقـق في المسيح وردت بها الأناجيل، أرجو أن تجيبني عنها..

قلت: لقد وعدتك بأن أجيبك على كل ما تسألني عنه.

قال: هل كان المسيح معروفا لتلاميذه، ولليهود أم لا؟

قلت: بلى.. لقد كان معروفا بينهم، وقد ورد في يوحنا: (فنـادى يسوع وهو يعلّم في الهيكل قائلاً: تعرفونني، وتعرفون من أين أنـا، ومن نفسي لم آت، بل الذي أرسـلني هـو حـق، الـذي أنتم لسـتم تعرفونه، أنا أعرفه لأني منه وهو أرسـلني.. فـآمن بـه كثـيرون من الجمع)(يوحنا: 7/25-30)

قال: أكمـل النص.. مـا بالـك تقطعـه، مـا بالـك تقـرأ :﴿ فَوَيْـلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون:4)، وتنسى الصفة التي استحقوا به الويل.

أكملت قائلا :(.. وقالوا: ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟)

قال: لقد قطعت أهم جـزء في النص.. لقـد ذكـر المسـيح أنـه رسول من عند الله، وأنه ليس الذي ينتظرونه، فذاك لا يعرفونه.

وقد آمن به الذين كلمهم، وفهموا أنـه ليس المسـيح المنتظـر، كمـا ورد في يوحنـا: (فـآمن بـه كثـيرون من الجمـع وقـالوا: ألعـل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التي عملها هذا؟)(يوحنا 7/30-31)

بل ثمة من عرف أنه ليس المنتظر مستدلين بمعرفتهم بأصـل المسيح ونسبه وقومه، بينما المنتظر القادم غريب لا يعرفه اليهود، كما جاء في يوحنا: (قـال قـوم من أهـل أورشـليم: أليس هـذا هـو الذي يطلبون أن يقتلوه، وها هو يتكلم جهاراً، ولا يقولون لـه شـيئاً، ألعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً؟ ولكن هـذا نعلم من أين هو، وأمـا المسـيح فمـتى جـاء لا يعـرف أحـد من أين هـو) (يوحنا 7/25-27)، ذلك أن المسيح غريب عن بني إسرائيل.

قلت: عد بنا إلى بشارة داود.. أرانا تهنا عنها.

قـال: لا .. لم نتـه.. لقـد ورد في البشـارة الإشـارة إلى الملـك العظيم القادم الذي يأتي مع هذا النبي المبشر به، وقـد عـرفت أن المسيح لا يمكن أن يصبح ملكاً على كرسي داود وغيره.

قلت: لم؟

قـال: لأن الكتـاب المقـدس صـرح بـذلك.. فالمسـيح يـذكر أن مملكته ليست في هذا العالم، فقد قال لبيلاطس: (مملكتي ليست في هـذا العـالم)(يوحنـا 18/36)، وهـو يشـير بهـذا إلى مملكتـه الروحية، أو إلى مملكته الدنيوية بعد نزولـه إلى الأرض كمـا أخبرنـا بذلك نبينا، وهو في ذلك الحين لا يـنزل إلا ليقضـي على الخرافـات التي ارتبطت باسمه.

بالإضافة إلى هذا.. فإن المسيح من من ذرية الملك الفاسق يهوياقيم بن يوشيا.. أليس هو أحد أجداد المسيح؟

أدركت ما يرمي إليه، فطأطأت رأسي خجلا، وقلت: أجل.

قال: لا يمكنك أن تنكر ذلك، فقد ورد في سفر الأيام الأول: (بنو يوشيا: البكر يوحانان، الثاني يهوياقيم، الثالث صدقيا، الرابع شلّوم، وابنا يهوياقيم: يكنيا ابنه، وصدقيا ابنه)(الأيام (1) 3/14-15)، فيهوياقيم جد للمسيح حسب روايات الكتاب المقدس.. ولا يضر إسقاط متى له، فقد ذكر يكنيا حفيده، ثم تلاه بأبيه يوشيا.

قلت: أعلم هذا.. ولعل هذا غفلة من النساخ لا خطأ من متى.

قال: هو تحريف.. سواء كان من متى أو من غيره.. وهو تحريف له خطره، فليس الأمر متعلقا بجد من الأجداد.. بل متعلق بجد له علاقة بنبوءة من النبوءات.. أتركها لك لتذكرها.

أدركت ما يرمي إليه، لكني لم أجد بدا من ذكرها، فقلت: نعم.. لقد جاء في إرميا: (قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي داود، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً..)(إرميا 36/30)

قال: فقد نص هذا النص على أن الله حرم الملك على ذرية يهوياقيم، فكيف تزعمون أن المسيح من ذرية يكينيا ابن الفاسق يهوياقيم.. وكيف تزعمون أن الذي سيملك، ويحقق النبوءات هو المسيح؟!

سكت قليلا، ثم قال: دعنا من يهوياقيم.. ولنذهب إلى سيرة المسيح.. فهي أدل على حقيقة المسيح، وحقيقة دوره الذي أنيط به.

ألا ترى أن سيرة المسيح تصيح بملء فيها لتقول لكم: لست الملك المخلص الذي تنتظرونه؟

ألا ترى أن المسيح لم يملك على بني إسرائيل يوماً واحداً، وما حملت رسالته أي خلاص دنيوي لبني إسرائيل، كـذلك النـبي الـذي ينتظرونه، بل كثيراً ما هرب خوفاً من بطش اليهود.. فكيـف يكـون هو مخلصهم؟

ألم تعلم أن المسيح كان يدفع الجزيـة للرومـان، وقـد ورد في مـتى قولـه:(ولمـا جـاءوا إلى كفـر نـاحوم تقـدم الـذين يأخـذون الدرهمين إلى بطرس، وقالوا: أما يوفي معلمكم الدرهمين؟ قـال: بلى، فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً: ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملـوك الأرض الجبايـة أو الجزيـة أمن بـنيهم أم من الأجـانب؟ قال له بطرس: من الأجانب، قال لـه يسـوع: فـإذاً البنـون أحـرار، ولكن لئلا نعثرهم اذهب إلى البحر، وألـق صـنارة، والسـمكة الـتي تطلع أولاً خذها، ومتى فتحت فاها تجد أستاراً، فخذه وأعطهم عني وعنك)(متى 17/24-27).. فكيف تخضع الشعوب لمن هذا حاله؟

إن المسيح رفض أن يكون قاضياً بين اثـنين يختصـمان، فكيـف تزعمون له الملـك والسـلطان؟.. ألم يـرد في الإنجيـل المقـدس: (قال له واحد من الجمع: يا معلّم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له: يا إنسان من أقـامني عليكمـا قاضـياً أو مقسّـماً!؟)(لوقـا 12/13-14)؟

قلت: إن كل هذا يصب في كمالات المسيح.

قال: وأنا لم أقل غير ذلك.. لقد انتدب المسـيح لوظيفـة أداهـا أحسـن أداء، لقـد كـان خاتمـة أنبيـاء بـني إسـرائيل الممهـد لنـبي الإسلام.. فلذلك ارتبطت رسالته بهذا الجانب..

أما النبي المبشر به في بشارة داود، فهو نـبي ملـك، تـدين لـه الشعوب وتخضع.. فهو الذي نطقت بـه نبـوءة داود القائلـة: (تقلـد سيفك على فخذك أيهـا الجبـار، جلالـك وبهـاءك، وبجلالـك اقتحم.. اركب من أجل الحق والدعة والـبر، فتريـك يمينـك مخـاوف، نبلـك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون، كرسـيك

يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكـك) (المزمـور 45/1 - 6)

وهو نفس النبي الذي أخبر عنه يعقـوب، فقـال:(يـأتي شـيلوه، وله يكون خضوع شعوب)(التكوين 49/10)

التفت إلي، فرآني حائرا فيما أجيبه، فقال: لا تحسبني ـ يا أخي ـ أنقص قدر المسيح بقـولي هـذا.. ولكـني أذكـر الحقيقـة الجميلـة التي امتلأ بها المسيح.

لسـت أدري كيـف خطـر على بـالي أن أقـول لـه: ولكن.. ألم تسمع النبوءة التي ذكرها الملاك لمـريم، فقـد قـال لهـا: (ويعطيـه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية)(لوقا 1/33)؟

ضحك، وقال: بلى.. وبورك فيك فقـد ذكرتـني مـا كنت ناسـيا.. ولكنك في تذكيري كما قيل: يبحث عن حتفه بظلفه.

قلت: ما تقصد.. لقد أخبر الملاك مـريم بأنـه يعطيـه ملـك أبيـه داود.

قال: وذكرت البشارة أنه يملك على بيت يعقوب إلى الأبد.

قلت: فأنت تسلم لي إذن.

قال: بل أنت الذي تسلم لي.

قلت: لم أفهم.

قــال: قــارن بين البشــارتين: بشــارة الملاك، وبشــارة داود ويعقوب وغيرهما.

قلت: من أي ناحية؟

قال: لن أدعك في ارتباكك.. لقد أخبر الملاك مريم أن المسيح سـيملك على بيت يعقـوب فحسـب، فقـد قـال:(ويملـك على بيت

يعقــوب إلى الأبــد)، فغايــة مــا يمكن أن يملــك عليــه هــو شــعب إسرائيل.

بينما نصت النبوءات الأخرى على أن النبي الموعود (له يكــون خضوع شـعوب) (التكـوين 49/10)، و(شـعوب تحتـك يسـقطون) (المزمور 45/5)، والشعوب تدل على كل الشعوب، لا على شعب إسرائيل وحده.

قلت: ولكن ألا يمكن أن تكون جميـع هـذه البشـارات مرتبطـة بالمسيح في عودته الثانية؟

قال: لعلك لم تقرأ الكتاب المقدس.. أو لعلك لم تظفــر بمعلم يحل لك ألغازه؟

قلت: لا.. لقــد قرأتــه، ومن رجــال لا أرى لهم أمثــالا في هــذه البلاد.

تنفس الصعداء، ثم قال: نعم.. أعرفهم.. لكل منهم توأم يتحكم فيه.. ويلغي عقله بسببه.

اســمعني جيــدا لأذكــرك بمــا غفلت عنــه.. إن وعــد اللــه لبــني إســرائيل بالملــك القــادم على كرســي داود ــ كمــا ينص الكتــاب المقدس ـ وعد مشروط بطاعتهم لله وعملهم وفق مشـيئته، كمـا أخبرهم الله بقوله: (إن نقضتم عهدي.. فإن عهدي مـع داود عبـدي يُنقض، فلا يكون له ابن مالكاً على كرسيه)(إرميـا 33/20 ـ 21)، فهل تراهم نقضوا عهودهم.. أم تراهم حافظوا عليها؟

لم أدر بما أجيب، فقال: لا مناص لك من الإقرار بنقضهم لعهود الله.. ألستم تذكرون أنهم أرادوا صلب المسيح، بل ترون أنه صلب على أيديهم.. فهل يمكن أن يحافظ مثل هؤلاء على عهود الله؟

بل إن الكتاب المقدس.. والمزامـير بالـذات.. تنص على ذلـك، ألم تقرأ فيها: (لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبـد! لمـاذا يـدخن غضـبك على غنم مرعاك! اذكر جماعتك التي اقتنيتها منـذ القـدم وفـديتها)

(المزمور 1/74-2)؟

قلت: أسلم لك هذا.. ولكن ما تقول فيما جاء في قصة المــرأة السامرية التي أتت المسيح ورأت أعاجيبه وآياته، فأخبرتــه بإيمانهــا بمجيء المسيا، فكان جوابه لها أنه هو المسيا، ألم تقرأ ما ورد في يوحنا؟

قال: بلى.. قالت له المرأة: (أنـا أعلم أن مسـيا الـذي يقـال لـه المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء، قال لها يسوع: أنــا الذي أكلمك هو)(يوحنا 4/25-26)

قلت: هـا أنت تحفـظ النص.. فكيـف تفـر من مدلولـه؟.. لقـد اعترف المسيح بصراحه بأنه هو المسيا.

قال: لا شك في وقوع التحريف في هـذه العبـارة.. فهـذا النص يخالف ما عهدناه من المسيح، بدليل أن أحـداً من التلاميـذ لم يكن يسـمع حديثـه، وهـو يتحـدث مـع المـرأة، فكيـف عرفـوا موضـوع الحديث بينهما؟.. ألم تقرأ ما جاء في يوحنـا: (قـال لهـا يسـوع: أنـا الذي أكلمك هو، وعند ذلك جاء تلاميذه وكـانوا يتعجبـون أنـه يتكلم مع امرأة، ولكن لم يقـل أحـد: مـاذا تطلب؟ أو لمـاذا تتكلم معهـا) (يوحنـا 4/26-27)، فهم لم يسـمعوا حـديثهما، ولم يسـألوه عمـا جرى بينهما.

سكت قليلا، كأنه يسترجع شـيئا يحفظـه، ثم ابتسـمت أسـارير وجهه، وقال: لقد قرأت لك أول القصة، فاقرأ لي آخرها.

بدون شعور أخذت أردد: (فـتركت المـرأة جرتهـا، ومضـت إلى المدينة وقالت للناس: هلموا انظروا إنساناً قال لي كـل مـا فعلت، ألعل هذا هو المسيح؟)(يوحنا 4/28-29)

ابتسم، وقال: أرأيت لو أن المسيح أخبرهـا بأنـه المنتظـر؟ ألم تكن لتذهب لتقول لقومها: (إنه يزعم أنه المسيح)

قلت: ذلك ما قالت المرأة.

قال: لا.. لقد ذكـرت المـرأة شـكها في كونـه المسـيح بعـد أن رأت أعاجيبه، وهذا يحيل أن يكون قد أخبرها بذلك.

بل إن الظاهر من خلال إعجابها به أنه لو ذكر لهـا أنـه المسـيح لاتبعته من غير أن تتردد في ذلـك، فهي قـد ذهبت تبشـر باحتمـال كونه المسيح.

التفت إلي، فرآني غارقا في البحث عن مخرج لما أوقعني فيه، وأنا أقول في نفسـي: مـا أعظم قـدرة هـذا الحـداد على التمـاس المخارج..

فقــال: لا تتعب نفســك في البحث عن أي مخــرج.. لأني مــا آمنت حين آمنت إلا بعد أن اعتراني من الشكوك مـا لـو نـزل على الجبال لأذابها، ولكن الله بمنته خلصـني منهـا ببعض الصـالحين من العلماء أعطاهم الله من علم الكتاب مـا كشـف لي الشـبه، ورفـع كل حجاب بيني وبين أشعة شمس محمد.

قلت ساخرا: ألم يكن لك أخ تـوأم ينهـرك عن هـذا، ويـرد على هذا العالم شبهه.

قال: بلى.. كان لي أخ.. وهو لا يزال حيا.

قلت: فكيف تركك؟

قـال: لقـد سـلم هـو الآخـر.. ونحن الآن نعيش في طمأنينـة يحسدنا عليها الملوك.. إننا في عـالم النفس المطمئنـة الـتي قـال فيهـا ربنـا : يَـا أَيَّتُهَـا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِـيَةً مَرْضِيَّةً (الفجر: 27 ـ 28)

قلت: أتظن أني أسلم لك كما سلم أخوك؟

قال: أنا لا أطلب منك أن تسلم لي.. الحق أعظم من أن يسلم لأحد من الناس.. ثم أنا لا أقبل أن تسلم لي.. سـلم للحـق.. الحـق أعظم مني ومنـك.. ألم تسـمع المسـيح، وهـو يقـول: (إِنْ ثَبَتُّمْ فِي

كَلِمَتِي، كُنْتُمْ حَقّاً تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَـقُّ يُحَـرِّرُكُمْ)(يوحنـا: 8/31 ـ 32)؟

لم أجد ما أقول، فقال: قد يحجبك عن الحـق الـذي أذكـره مـا تراه من حالي.. تقول: هـذا حـداد لا علاقـة لـه إلا بالمطرقـة الـتي يطرق بها حديده، فكيف يتطفل على موائد الكتاب المقدس؟

لا بأس.. أنا أعذرك في هذا.. فـأكثر البشـر يعبـدون المظـاهر، ويسلمون للمظاهر.. ولكني سأخاطبك بما قد يخطر على نفسك.. اسمع ما يقول شارل جنيبر، وهو من هو علماء الكتـاب المقـدس.. لقد قال: (والنتيجة الأكيدة لدراسات البـاحثين، هي أن المسـيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله.. فتلك لغة لم يبدأ في اسـتخدامها سـوى المسـيحيين الـذين تـأثروا بالثقافة اليونانية)

ويقــول عــوض ســمعان: (إن المتفحصــين لعلاقــة الرســل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنســان ... كـانوا ينتظـرون المسـيّا، لكن المسـيّا بالنسـبة إلى أفكـارهم الـتي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سـوى رسـول ممتـاز يـأتي من عنـد الله)

وسأضيف إلى هذه الأقوال شـيئا لم أقصـد بـه إيـذاءك.. فـإن آذاك فاغفر لي.

قلت: وما ذاك؟

قال: لقد كنت قسا محترما ذا جـاه عـريض، وقـد أرسـلت إلى التبشـير في بعض البلاد.. وكـان لي من الـدنيا مـا يحسـدني عليـه الأغنياء والكبراء.. لكنني بعت ذلك كلـه، وآثـرت اللـه، واكتفيت بمـا تراه من بسيط الرزق.

قلت: فكيف تغير حالك؟

قال: هذا شيء ستكتشفه في المستقبل.. ولعلك ترى كيف ينتقل المرتدون من المسيحية من رجال الدين من الحياة الهنية الرغدة إلى شظف العيش.. فكل ما وهب لهم في ظل الكنيسة يسلب منهم.. ولا يبقى لهم شيء.. نعم.. الكنيسة معذورة في ذلك.. ولكن اعلم أن هذا من أعظم الحجب التي تحول بين الكثير من رجال الدين واعتناق الإسلام مع أنهم يعرفون محمدا أكثر مما يعرفون أبناءهم، كما قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:146).. واعتبرهم في آية أخرى من الذين خسروا أنفسهم، فقال :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:20)

التفت إلي، فرآني لا أزال على صمتي، فقال: فلنعد إلى البشارة.. لقد ذكرنا النصوص الكثيرة المخبرة عن عدم تحقق النبوءة في المسيح، وهي ربما تكفي الكثير، ولكنها قد تتطلب تعليلات معينة تزيد في عمقها.

ولا يمكن إجراء التعليلات إلا بعد معرفة الواقع الذي جاء فيه المسيح.. فأجبني.. هل كان اليهود في عهد المسيح أمة لها قوتها وعزتها، أم كانت مجرد مستعمرة يستضعفها غيرها؟

قلت: لقد كانوا مستضعفين.

قال: بل طال استضعافهم، فمنذ عام 63 ق. م وقعت القدس وفلسطين بيد الرومان الوثنيين، ليبدأ الاضطهاد الذي عانى منه بنو إسرائيل.

وفي ذلك الحين حنت قلوبهم ـــ كما تحن جميع قلوب المستضعفين ـ إلى مخلص يرد إليهم الملك الضائع والسؤدد الذي ضاع منهم.

وفي ذلك الحين بدأوا يرددون ما ورد في بشارات الأنبياء من

أخبـار النـبي الموعـود الـذي تستسـلم لـه الشـعوب.. لقـد كـانوا ينتظرون تحقق بشارة يعقوب وموسى وداود وغـيرهم من الأنبيـاء بالقادم المنتظر.

التفت إلي، وقال: هل مـا أقولـه صـحيح.. أم أنـك تـراه مجـرد رجم بالغيب؟

قلت: بل هو صحيح..

قال: ولا تملك إلا أن تقول ذلك.. فالكتـاب المقـدس يـدل على هـذا، ومن أمثلـة الـذين كـانوا يـترقبون الملـك المظفـر المنتظـر سمعان، الذي وصفه لوقا، فقال: (كان رجـل في أورشـليم اسـمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظـر تعزيـة إسـرائيل، والـروح القـدس كـان عليـه)(لوقـا 2/25)، فسـمعان هـذا أحـد منتظـري الخلاص.

ومنهم نثنائيل الـذي صـارح المسـيح بشـعوره وظنـه، كمـا في يوحنا: (أجاب نثنائيـل وقـال لـه: يـا معلّم أنت ابن اللـه؟ أنت ملـك إسرائيل؟ أجاب يسوع، وقال له: هل آمنت لأني قلت لك..)(يوحنـا 1/49-50)

والمـرأة السـامرية لمـا رأتـه أعاجيبـه أخبرتـه عن هـذا النـبي الموعود، فقالت: (أنا أعلم أن مسيّا ـ الذي يقال له المسيح ـ يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء) (يوحنا 4/25-30)

وأندرواس قال لأخيه سمعان مبشراً: (قـد وجـدنا مسِـيّا، الـذي تفسيره المسيح) (يوحنا 1/41)

ولما شاع هذا الخبر في بني إسرائيل خشي رؤساء الكهنـة من بطش الرومان إن عرفوا أن الموعود المنتظر العظيم المظفر قـد ظهر في شخص المسـيح، فسـارعوا إلى الإيقـاع بـه، متهمين إيـاه بإفساد الأمة وادعاء أنه المخلص المنتظـر، كمـا في يوحنـا:(فجمـع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعـاً، وقـالوا: مـاذا نصـنع، فـإن هـذا

الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع بـه، فيـأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمّتنـا؟ فقـال لهم واحـد منهم، وهـو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفـون شـيئاً، ولا تفكرون، إنه خير لنـا أن يمـوت إنسـان واحـد عن الشـعب، ولا تهلك الأمة كلها) (يوحنا 11/47-50)

وقـد ورد في لوقـا: (فقـالوا لـبيلاطس: إننـا وجـدنا هـذا يفسـد الأمة، ويمنـع أن تعطى جزيـة لقيصـر قـائلاً: إنـه هـو مسـيح ملـك، فسأله بيلاطس قائلاً: أنت ملك اليهود؟ فأجابـه وقـال: أنت تقـول، فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجمـوع: إني لا أجـد علّـة في هـذا الإنسان)(لوقا 23/2-4)، فقد ثبت لبيلاطس براءته مما اتهمـوه، إذ هو لم يدع أنه ملك اليهود المنتظر.

بل إن هذا الشـعور بالحاجـة إلى النـبي المحـرر لم يكن خاصـا بالمسيح.. بل سبق أن ظن شعب إسرائيل المتلهف لظهـور النـبي العظيم المظفر أن يوحنا المعمدان هو المسيح المنتظـر، كمـا في لوقا: (إذ كـان الشـعب ينتظـر، والجميـع يفكـرون في قلـوبهم عن يوحنا، لعله المسيح)(لوقا 3/15)

ولهذا فإن الجموع المتربصـة للخلاص لمـا رأت المسـيح قـالوا فيه ما قالوه من قبل عن يوحنا المعمدان (قالوا للمرأة: إننـا لسـنا بعد بسبب كلامـك نـؤمن، لأننـا نحن قـد سـمعنا ونعلم أن هـذا هـو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم)(يوحنا 4/42)

التفت إلي، فرآني غارقا فيما أسمع، فطرق بمطرقته قليلا، ثم قال بعد أن تنفس الصعداء: كـان هـذا هـو الشـعور العـام.. فرحـة بالمخلص.. ولهفة للخلاص.. فلهـذا راحـوا يؤولـون جميـع بشـارات الأنبياء لتنطبق عليه، ولو من باب التكلف.

حاول أن تضع نفسك بدلهم.. إن كل من يكون في تلـك الحـال قد يقع في نفس الشعور.. فمـرارة الاستضـعاف تجعلهم يتعلقـون ولو بقشة.

لقد حصلت الصدمة للشعب المستضعف، ولأولئك المنتظرين المتلهفين، عندما سمعوا بصلب المسيح.

لقد حزنوا حزنا لم يمكنهم مقاومته لتخلف الخلاص المنشود في شخص المسيح، وقد ورد في الأسفار المقدسة ما يدل على هذا، فقد ذكرت أن المسيح بعد القيامة تعرض لتلميذين، وهو متنكر (فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به، وأنتما ماشيان عابسين، فأجاب أحدهما ـ الذي اسمه كليوباس ـ وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم، ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام، فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت، وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك) (لوقا 24/17-21)

وزادت الحسرة عندما سأل التلاميذ المسيح بعد القيامة، فقالوا:(يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه)(أعمال 1/6-7)، أي أن هذا ليس هو وقت الملك المنتظر، وهو يدل على أن الخلاص الذي كان يتنظره الإسرائيليون والذي وعدت به الأنبياء ليس كما تفهمون، لأنه لو كان كذلك، لقال لهم: لقد تحقق الخلاص بصلبي، وقد طهرتم من خطاياكم.

إن هذا النص يثبت انتظار بني إسرائيل للخلاص، ويثبت أن هذا الخلاص لم يتحقق كما أرادوا.

قلت: لقد تحقق الخلاص على يد المسيح.. لقد طهرنا بصلبه من الخطيئة.

قال: ذلك موضوع آخر.. أو قل تلك حيلة أوهمكم بها بولس ومن نحا نحوه.. لقد تلاعبوا بالنصوص الواضحة الصريحة ليربطوكم بأوهام كثيرة لا حقيقة لها.

أردت أن أتكلم، فقال: لا بـأس.. لن نتنـاقش في هـذا الآن.. أو لن أتنـاقش معـك في هـذه المسـألة أبـدا.. ولكن سـأدع ذلـك لإخلاصـك.. فلـو صـدقت، فـإن اللـه سـيدلك على من يرفـع هـذه الغشاوة عن عينيك.

قلت: لقد حاولت بكل الطرق أن تبرهن لي أن المسيح لم يدع أنه الملك المنتظر، وأن كل الدلائل لا تدل عليه.. فهل ادعى محمد أنه هو المنتظر، وهل كانت الدلائل بجانبه؟

قـال: أجـل.. لقـد صـرحت النصـوص الكثـيرة بأنـه هـو النـبي الموعود المنتظـر، واسـمح لي أن أرتـل لـك بعض كلام ربي الـذي يدل على ذلك.

لقد أخبر الله تعالى أنه أخـذ المواثيـق على الأنبيـاء ليـؤمن بـه، قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْـرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَـالَ فَاشْـهَدُوا وَأَنَـا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (آل عمران:81)

وقد قال رجل من آل محمد ﷺ يفسر هذه الآية، وهو علي: (ما بعث الله نبياً آدم فمن دونه إلا أخذ عليـه الميثـاق: لئن بعث محمـد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وليتبعنه)

بل إن القرآن الكـريم ذكـر مـا في كتبهم من الصـفات الـتي لا تنطبق إلا عليـه، قـال تعـالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيـلِ يَـأْمُرُهُمْ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـائِثَ وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَـانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُـوا بِـهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّورَ الَّذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ (لأعراف:157)

وأخبر عن بعض ما ورد عنه من نبوءات في التـوراة والإنجيـل،

فقال :﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(الفتح:29)

نعم.. لم يذكر القرآن الكريم كل ما ورد عن محمد ﷺ من نبوءات في هذه الكتب تاركا ذلك للبحث والاجتهاد، ولكنه أخبر أن هذه النبوءات من الوضوح والدقة ما تجعل العالم، بل الدارس للكتب يضطر للتسليم اضطرارا، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة:121)

كانت له قراءة مميزة للقرآن الكريم تجعل الجسد ينهد ويرتعش ارتعاشة لذيذة لا يمكن وصفها.

البشارة الثانية:

سكت عن القراءة، وقال: أتدري ما الذي صرف اليهود، وصرف قومك الذين سلموا لليهود عن تطبيق هذه البشارات على محمد؟

سكت، فقال: إنهم يتصورون الله كما يتصورون هتلر، أو كما يتصورون كل عنصري.

انتفضت غاضبا، وقلت: ما الذي تقول؟.. لقد كنت مؤدبا في حوارك، فكيف تحولت إلى السخرية والاستهزاء.

قال: أنا لا أسخر ولا أستهزئ.. ولكني أنبهك، والتنبيه قد يحمل ألما.. ولكن الأمل لا يتحقق ـ أحيانا كثيرة ـ إلا ببعض الألم.

قلت: فما تقصد؟

قال: لقد تصور الإسرائيليون، وأنتم تبعا لهم أن النبوة حكر على بني إسرائيل.. وأن الله لن يخرج أطباء يداوون العالم، ولا شموسا تضيء ظلماته إلا من ذلك الشعب.

إن النبوة ــ يا أخي ــ أعظم من أن يحتكرها أي شعب من الشعوب.. وإن الله أرحم من أن يخص شعبا بمئات الأنبياء، ويترك سائر الأمم تعيش في الجهالة.

طرق بمطرقته، ثم قال: لقد كان هذا من أكبر ما دعاني إلى الإسلام، فالقرآن يحمل احتراما كبيرا لكل شعوب العالم، بل يخبر أن كل هذه الشعوب كان فيها صالحون وأنبياء، لا كما تعتقدون من انحصار فضل الله في بيت إسرائيل.

لقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر: 24).. فكل الأمم نالتها رحمة الله وفضله.. فلا تحجروا على الله فضله، ولا تضيقوا ما وسع الله من رحمته.

التفت إلي، وقال: لعلك تحسب أننا ابتعدنا عن بشارة داود..

صمت، فقال: لا.. لم نبتعد.. هناك بشارة أخرى تشير إلى هذا.. وكأنها تصحح الأخطاء التي وقعت فيما فصلنا فيه من بشارة.. وستكون خاتمة جلوسي معك هذه البشارة.. ولن يشتد عليك تفسيرها وتطبيقها..

لقد قال داود في بشارته الثانية: (الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا) (المزمور 118/22 ـ 23)

ولأعينك على فهمها وتطبيقها، أجبني: هل ورد في الكتاب المقدس ما يدل على أن الأمر سينتقل عنهم.

قلت: لقد ورد من ذلك الكثير.

قال: سأرتل لك من ذلك قول إشعيا على لسان الوحي:

(أصـغيتُ إلى الـذين لم يسـألوا، وُجِـدت من الـذين لم يطلبـوني، قلت: ها أنذا ها أنذا لأمـةٍ لم تسـمَّ باسـمي.. بسـطت يـدي طـول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غـير صـالح وراء أفكـاره، شعب يغيظني بوجهي دائماً) (إشعيا 65/1 - 3)

فهذا النص يذكر انتقال النبوة والأمر عن الأمة القاسية العاصية إلى أمـة لم تطلب اللـه قبـل، ولم تسـم باسـم اللـه.. وهي الأمـة الأمية التي لم ينزل عليها أي كتاب.

بل إن حزقيال يؤكد رفـع الملـك والشـريعة من بـني إسـرائيل ودفعه لأمة مهملة، فيقول:(إني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعـة، ورفعت الشجرة الوضيعة، وأيبسـت الشـجرة الخضـراء، وأفـرخت الشجرة اليابسة، أنا الرب تكلمت وفعلت)(حزقيال 17/32)

وهو يقول: (أنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الـذي قـد جـاء يومـه في زمـان إثم النهايـة، هكـذا قـال السـيد الـرب: انـزعِ العمامة وارفعِ التاج، هذه لا تلك، ارفعِ الوضيع، وضعِ الرفيع، منقلباً، منقلبـاً، منقلبـاً أجعلـه، هـذا لا يكـون حـتى يـأتي الـذي لـه الحكم، فأعطيه إياه)(حزقيال 21/25 ـ 27)

وقد استمر الأمر بأنبياء إسرائيل يحذرون من زوال نعمة النبوة التي نعم بها بنو إسـرائيل حـتى جـاء يوحنـا المعمـدان الـذي قـال محذرا بني إسرائيل من الغضب الآتي الذي سيسلطه اللــه عليهم: (والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شـجرة لا تصـنع ثمراً جيداً تقطـع وتلقى في النـار، أنـا أعمـدكم بمـاء التوبـة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمـل حـذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار)(متى 3/10-11)

لقد كـان المسـيح هـو الفرصـة الأخـيرة لبـني إسـرائيل ليثبتـوا أهليتهم للاصـطفاء لكنهم ضـيعوها، فقـد وضـع الفـأس على أصـل الشجرة، فلما كفروا بـه وحـاولوا قتلـه قطعت الشـجرة الخضـراء ويبست ودفعت للنار، نار الغضب الإلهي والضلال، وأزهرت شجرة

أخرى كانت يابسة.

لقد أيبس الله شجرة بـني إسـرائيل وأحرقهـا، وأفـرخ شـجرة أخرى كانت يابسة لم تظهر فيها النبوات من لدن إسماعيل.

طرق بمطرقته بعض الطرقات، ثم قـال: ليس داود وحـده هـو الـذي نطـق بهـذه البشـارة.. لقـد ضـرب المسـيح للتلاميـذ مثـل الكرامين، ثم قال: (الحجر الذي رفضه البناؤون هو قـد صـار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينـزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره) (متى 21/42 ـ 43)

إن المسـيح يصـرح بمن يسـتحق هـذه البشـارة.. وقـد قـال لتلاميـذه بعـد أن قص عليهم مثلاً من أمثـال الملكـوت، وهـو مثـل الزرع:(فانظروا كيف تسمعون، لأن من له سيعطى، ومن ليس لـه فالذي يظنه له يؤخذ منه)(لوقا 8/18)

قلت: ولكن من أدراك أن هـذه النبـوة ترتبـط بمحمـد وبقـوم محمـد.. أليس من الممكن أن يتحقـق ذلـك في أمـة أخـرى أكـثر حضارة، وأعرق مدنية؟

قال: لقد صرح الكتـاب المقـدس بصـفات الأمـة البديلـة الـتي ستخلف بني إسرائيل، كما جاء في التثنية: (فرأى الــرب ورذل من الغيظ بنيـه وبناتـه، وقـال: أحجب وجهي عنهم وانظـر مـاذا تكـون آخـرتهم، إنهم جيـل متقلب، أولاد لا أمانـة فيهم، هم أغـاروني بمـا ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغـيرهم بمـا ليس شـعباً، بأمـة غبية أغيظهم)(التثنية 32/19-21)

فالأمة المصطفاة، هي الأمة التي كانت مرذولة، وكانت جاهلــة أو غبية محتقـرة.. ولا يصـدق ذلـك إلا على العـرب، بـل قـد صـرح القرآن الكريم بهذا، فقال تعالى: لِيَغِيــظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ (الفتح: 29 (الفتح: 29)

وصرح بذلك أعظم تصريح، فقال : هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (الجمعة:2)

قال ذلـك، ثم انصـرف إلى مطرقتـه يطرقهـا، وعينـاه تمتلئـان بالدموع..

البشارة الثالثة:

رآني صـامتا، فقـال: سـأقول لـك شـيئا لم أكتشـفه إلا هـذا الصباح.. لقد كنت أقرأ الكتاب المقدس في هذا الموضع.

أعطاني الكتاب المقدس، وهو مفتوح في محل معين، ثم قال: خذ، واقرأ.. فسترى محمدا في هذا النص.

أخذت أقرأ ما طلب مني: (فاض قلـبي بكلام صـالح، متكلم أنـا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر: أنت أبـرع جمـالاً من بـني البشر انسكبت النعمـة على شـفتيك لـذلك باركـك اللـه إلى الأبـد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالـك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والـبر، فتريـك يمينـك مخـاوف، نَبُلُـك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوبٌ تحتك يسقطون. كرسـيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت الـبر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك إلهك بدهن الابتهـاج أكـثر من رفقائك... بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير. اسمعي يا بنت وانظـري وأميلي أذنـك انسـي شـعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي لـه.. عوضـاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض أذكـر اسـمك في كـل دور فـدور. من أجـل ذلـك تحمـدك الشـعوب إلى الـدهر والأبد)(المزمور 45/1 – 17)

ما وصلت إلى هذا الموضع حتى أمرني بإغلاق الكتـاب، وقـال: هل رأيت البشارة بمحمد في هذا المزمور؟

قلت: لا.. مــا رأيت شــيئا.. وإن كــان يمكن أن أرى شــيئا، فلا يمكن أن أرى غير المسيح.

قال: أنتم تتصورون محمدا والمسيح يتزاحمان.. لا.. هذا خطأ.. محمــد والمســيح أخــوان نبيــان كريمــان.. وكــون البشــارة ترتبــط بأحدهما لا تعني أي إضعاف لقدر الآخر.. لأن هــدف البشــارات هــو الحض على اتباع المبشر به.

ومــع ذلــك.. فلنتصــور أنــه المســيح.. إن البشــارة لا يمكن أن تنطبق عليه، لقد ورد فيها (شعوبٌ تحتك يسقطون).. فأي شــعوب سقطت تحت المسيح، وأنتم الذين قلتم عنه إنه (كشاة ســيق إلى الذبح لم يفتح فاه)

لقد ورد فيها (أنت أبرع جمــالاً من بــني البشــر)، وأنتم تقولــون عن المسيح (لا صورة له ولا جمال، فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه) (إشعيا 52:2)

قلت: فكيف رأيت هذه البشارة تنطبق على محمد؟

قال: لقد تزوج محمد امرأة من اليهود اسمها صــفية بنت حــيى بن أخطب وهي من بني اسرائيل، وقد مــات أبوهــا وشــعبها كفــارا بعد أن خانوا محمدا.

قلت: وما علاقة ذلك بهذه النبوءة؟

قال: لقد رأيت داود في هذا النص، وهو يوصي صــفية بمحمــد، فهو يأمرها بأن تنسى شعبها (بنى إسرائيل) وبيت أبيها، وأن تخضع لزوجها.

وقد حصل ذلك.. فقد نسيت السيدة صفية شــعبها وبيت أبيهــا، وأصبحت أما للمؤمنين، وقد قال لها محمد ﷺ:(قولي لعائشة: (بل من أعلى مني نسبا.. أبي موسى، وعمي هــارون، وزوجي محمــد) (1)

1) رواه ابن سعد.

***

طرق بمطرقتـه قليلا، ثم قـال: أنتم تقولـون بـأن المسـيح من نسل داود.. وتقولون بأن بشارات داود لا تنطبق إلا على المسيح؟

قلت: أجل..

قال: ولكنكم تحملون صورة مشوهة عن داود.. صورة لا يمكن لأحد أن يرضاها لنفسه، ولا لمن يحب.

سأفتح لـك الكتـاب المقـدس لتقـرأ لي بعض مـا تذكرونـه عن داود.. بل وتتعبدون بتلاوته.

فتح الكتاب المقدس، وأعطـاني لأقـرأه عليـه.. قـرأت: (وكـان في وقت المسـاء ان داود قـام عن سـريره وتمشـى على سـطح بيت الملك فرأى من على السـطح امـرأة تسـتحمّ وكـانت المـرأة جميلة المنظـر جـدا فأرسـل داود وسـأل عن المـرأة فقـال واحـد أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثّي فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت اليـه فاضـطجع معهـا وهي مطهّـرة من طمثهـا.ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخـبرت داود وقـالت اني حبلى فأرسل داود إلى يوآب يقول ارسل اليّ اوريا الحثي.فأرسـل يوآب اوريا إلى داود فأتى اوريا اليه فسـأل داود عن سـلامة يـوآب وسلامة الشعب ونجـاح الحـرب وقـال داود لاوريـا انـزل إلى بيتـك واغسل رجليك فخرج اوريا من بيت الملـك وخـرجت وراءه حصـة من عند الملك) (صموئيل الثاني 11 /2)

سكت، فقال: واصل القراءة..

واصـلت، وقـرأت: (فقـال اوريـا لـداود ان التـابوت واسـرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وانا آتي الى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الامر)(صموئيل الثاني 11 /11)

قال: واصل..

واصلت: (ودعاه داود فأكل امامه وشرب وأسكره.وخـرج عنـد المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيـد سـيده والى بيتـه لم يـنزل وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يـوآب وأرسـله بيـد اوريـا وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت وكـان في محاصـرة يـوآب المدينـة انـه جعل اوريا في الموضع الذي علم ان رجال البأس فيه فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشـعب من عبيـد داود ومـات اوريا الحثّي أيضا)(صموئيل الثاني 11 /13)

قال: اقرأ خطاب الله لداود بعد هذا..

قرأت: (لماذا احتقرت كلام الـرب لتعمـل الشـر في عينيـه.قـد قتلت اوريا الحثّي بالسيف وأخـذت امرأتـه لـك امـرأة وايـاه قتلت بسـيف بـني عمـون والآن لا يفـارق السـيف بيتـك إلى الابـد لأنـك احتقرتني وأخذت امرأة اوريا الحثّي لتكـون لـك امـرأة هكـذا قـال الرب هاأنذا اقيم عليك الشر من بيتك وآخـذ نسـاءك امـام عينيـك وأعطيهن لقريبك فيضـطجع مـع نسـائك في عين هـذه الشـمس) (صموئيل الثاني 12 /9)

قال: حسبك.. ألا ترى أنكم تحملون صورة مشوهة عن داود..

لقـد رجعت إلى كتـاب المسـلمين المقـدس.. الكتـاب الـذي تحتقرونه.. بل تزعمون أنه لم يأت بجديد.. فرأيت داود فيه شخصا آخر.. مختلف تماما عن داود الذي ترسـمونه في صـفحات الكتـاب المقدس..

إن داود في القــرآن الكــريم رجــل أواب رقيــق القلب عظيم الإيمان.. وسأقرأ لـك من القـرآن الكـريم مـا يـترك لعقلـك حريـة المقارنة بين هذا النبي كما سجله أنبياؤكم وكتـابكم، وكمـا هـو في كتاب ربنا.

فتح القرآن الكريم على موضع محدد، وراح يقرأ بخشـوع تهـتز له الجبال قولـه تعـالى: فَهَزَمُـوهُمْ بِـإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَـلَ دَاوُودُ جَـالُوتَ

وَآتَـاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـهُ مِمَّا يَشَـاءُ وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَـدَتْ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَى الْعَـالَمِينَ ﴾ (البقرة: 251)

ثم قال: هذا أول موضـع في المصـحف ذكـر فيـه داوود.. وقـد ذكر معه هذا الوصف الطيب الملك والحكمة والعلم.. وفـوق ذلـك الثبات.. فلم يثبت مع طالوت إلا القليل.

فتح موضعا آخر، وراح يقـرأ :﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَــدْ فَضَّــلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَــا دَاوُدَ زَبُــوراً﴾ (الاسراء:55) انظر كيف ذكر الله داود عند ذكر مـا فضـل اللـه بـه أنبياءه.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَــانِ فِي الْحَـرْثِ إِذْ نَفَشَـتْ فِيـهِ غَنَمُ الْقَـوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَـا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَـا حُكْمـاً وَعِلْمـاً وَسَـخَّرْنَا مَـعَ دَاوُودَ الْجِبَـالَ يُسَـبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِـنَكُمْ مِنْ بَأْسِـكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء:78 ـ 80)

انظر الفضل العظيم الذي وهبه الله لداود وابنه سليمان.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَـا دَاوُودَ وَسُـلَيْمَانَ عِلْمـاً وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل: 15) انظر الشكر الذي امتلأ به قلب داود وابنه.

فتح موضعا آخر، وراح يقرأ :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَـدِّرْ فِي السَّـرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(سبأ:11)

انظر عناية الله بعبده وتعلميه له.

فتح موضعا آخـر، وراح يقـرأ :﴿ اصْـبِرْ عَلَى مَـا يَقُولُـونَ وَاذْكُـرْ

عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (ص: 18 ـ 26)

انظر الإنابة والرجوع إلى الله.

كنت أعرف ما ذكر المفسرون في هذه الآيات، فقلت: إن القرآن يصرح بما في كتبنا.. ألم ترجع إلى كتب المفسرين؟

قال: لا.. كتب المفسرين ليست قرآنا.. كما أن شروح الكتاب المقدس ليست كتبا مقدسة.. ثم إن الأساطير التي سربها قومنا إلى كتب المسلمين هي التي ملأتها بذلك اللغو.. أما القرآن الكريم فهو لا يذكر إلا الكمال والجمال والطهارة.

فتلك الآيات الكريمة لم تذكر أي موقف مشين لداود، بل نرى السياق يشير إلى هذه الحادثة باعتبارها موضع قدوة، ومن دلائل تكريم الله لداود.

فالآيات التي نصت على القصة سبقت بقوله تعالى: اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ

وهي آيـات تـدعو إلى ذكـر داود، ومـا من اللـه بـه عليـه من ألطافه، وهي ألطاف لا يسـتحقها إلا الطـاهرون المخلصـون لا من ينسب إليهم ما ذكـره المفسـرون، وكأنـه تفسـير لمجمـل القـرآن الكريم، أو هو بالأحرى تحريف لما ورد في القرآن الكريم.

ثم نجد آيات القصة تختم بقولـه تعـالى :﴿ يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِـلُّونَ عَن سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَـا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾، وهو ما يدل على أن القصة لا تعدو حكما من الأحكام التي قد يكون داود أخطأ فيها، وهو خطأ من جنس أخطـاء الصديقين (وحسنات الأبرار سيئات المقربين)

ولذلك فإن تفسيرها الصحيح هـو قراءتهـا، وهي تـدل على أن داود النبي الملك، الذي كان إذا دخل المحراب للعبادة والخلـوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس يفاجأ بشخصين يتسـوران المحراب المغلق عليه، فيصيبه الفزع منهم، فيبادرانـه بقولهمـا: (لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض)

وبدأ أحدهما فعرض شكواه التي عبر عنها بقوله: (إنّ هـذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجـة واحـدة، فقـال: اجعلهـا لي وفي ملكي وكفالتي وشدد علي في القول وأغلظ)

وبمجـرد سـماع داود لهـذه الشـكوى المـؤثرة من الـذي يبـدوا مظلوما مستضعفا، اندفع للحكم قبل سماع الخصـم، فقـال: (لقـد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الأقوياء المخالطين بعضـهم بعضـا يبغي بعضـهم على بعض. إلا الـذين آمنـوا وعملـوا الصالحات وقليل ما هم)

وبعد انتهاء داود من عـرض الحكم، انتبـه إلى خطئـه في عـدم سماع الخصـم الثـاني، وعلم أن مـا حصـل لـه فتنة[1] ينبغي عليـه

1) هذا ما نراه، ولا حاجة إلى اعتبار الحكمين من الملائكـة، كمـا ذهب إلى ذلـك أكـثر المفسـرين، ومنهم سـيد قطب الـذي قـال: ويبـدو أنـه عنـد هـذه المرحلـة اختفى عنـه الرجلان: فقد كانا ملكين جاءا للامتحان ! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر النـاس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم. وقد اختارا أن يعرضا عليـه القضية في صورة صارخة مثيرة. (انظر: الظلال: 3018)

تدارك خطئه فيها بالاستغفار.

وهذه القصة بهذا العـرض القـرآني المبسـط تشـبه مـا حصـل لمحمد ﷺ من العتاب الإلهي له في شأن عبـد اللـه بن أم مكتـوم، أو العتـاب الإلهي في شـأن الأسـرى وغـيرهم، وهي مواقـف تـدل على كمال الرسل أكثر من دلالتها على نقصهم.

طرق بمطرقته عدة طرقات، ثم قـال: أتـدري لم رمى اليهـود نبي الله داود بهـذا.. القـرآن الكـريم يوضـح ذلـك.. لقـد ورد فيـه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَـرٍ فَعَلُـوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(المائـدة: 78 ـ 79) لقـد انتقم اليهـود من داود شر انتقام.. ثم تبعتموهم أنتم.. فـرحتم تنتقمـون من غـير أن تعرفوا لم تنتقمون.

صمت داود، ثم راح يطرق بمطرقته بقوة.. وكأنه يضرب أعناق الذين شوهوا داود، وصورة داود..

تركته في تلك الحال.. وانصرفت بحيرة جديدة.. وببصـيص من النور اهتديت به بعد ذلك إلى أشعة محمد ﷺ.

بشارة سليمان

في اليوم الخامس خرجت طالبا النزهة والاستجمام، فقصـدت حديقة تضم أصنافا من الطيور والحيوانات.. فأهل القرية ـ كما لاحظت من خلال سلوكهم ـ محبون للحيوانات محترمون لها.

في الحديقة لفت انتباهي رجل في منتهى الهيبة والوقار، بل يظهر من خلال أمور كثيرة أن له رئاسة ما يمارسها، ولكنه مع ذلك يتجول على حيوانات الحديقة، ويتفقدها واحدا واحدا، وكأنها رعية من رعيته، يحرص عليها، ويعتني بها.

ومما زاد عجبي من الرجل، ومن الحديقة، ومن أهل القرية أنهم جعلوا جناحا خاصا بالنمل.. وهذا ما لم أره في أي حديقة من حدائق الدنيا.

رأيت الرجل يسير نحو هذا الجناح، وهو يحمل معه ألوانا من الطعام، تتبعته، فإذا به يلقي السلام على النمل، ثم يرمي الطعام إليهن.

احترت في سلوكه، وفي شخصه، وفي حقيقته.. وقد كانت هذه حبالا كثيرة دعتني إلى التعرف عليه.

اقتربت منه، وسلمت عليه، وسألته: أراك تحن على النمل.

قال: أجل.. أنا سليمان.. جعل الله سليمان بابي إلى الهداية.. فأنا أسير على قدمه.

قلت: أي سليمان ذلك الذي كان بابك؟.. وكيف تسير على قدمه؟

قال: ألا تعرف سليمان النبي؟

قلت: بلى.. ومن لا يعرف سليمان؟

قال: فما تعرف عنه؟

قلت: أعرف عنه أشياء كثيرة لا حاجة لذكرها هنا.

قال: لا.. أنت تفر بقولك هـذا.. أنت تحمـل صـورة خاطئـة عن سليمان النبي، فلذلك تستحيي من ذكرها.

قلت: لست أدري لم تحرص على الحديث عن سليمان.. وماذا يفيدك الحديث عنه.

قال: لا تقل هذا.. لقـد رزقـني اللـه محبـة عظيمـة لسـليمان.. فلذلك ترى حياتي كلها تسير على نهجه.

قلت: لم أفهم..

قال: لقد كان سليمان نبيا ملكـا.. وأنـا بحمـد اللـه عمـدة هـذه القرية.. وقد كان سـليمان يتفقـد رعيتـه ويحـرص عليهـا، وهـا أنت تراني أتفقد رعيتي، وأحرص عليها، وأقدم الطعام لها.

ضـحكت، وقلت: أأنت عمـدة قريـة النمـل.. أم عمـدة قريـة البشر؟

قـال: أنـا عمـدة القريـة جميعـا ببشـرها ونملهـا وكـل طيورهـا وحيواناتها.. وهذا اليوم مخصـص لتفقـد الحيوانـات والاهتمـام بهـا، أليسوا إخوانا لنا ائتمننا الله عليهم؟

قلت: وما علاقة ذلك بسليمان؟

قال: لقد آتى الله سليمان النبي حبـا عظيمـا وتواضـعا عظيمـا أمام كل الحيوانات.. ألم تسمع قصته مع النمل؟

قلت: وهل له قصة مع النمل؟

قال: أجل.. لقد قصها الله علينا، فقال :﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُـلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَــالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَـكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (النمل:18 ـ 19)

ألا ترى كيف امتلأ سليمان بالتواضع لهذه النملة.

قلت: ولكني لم أر سليمان يتفقد النمل كما تتفقده.

قال: لقد أشار القرآن الكريم إلى تفقده لرعيته من الحيوانات، فقــال : وَتَفَقَّدَ الطَّيْـرَ فَقَــالَ مَــا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُـدَ أَمْ كَـانَ مِنَ الْغَـائِبِينَ (النمـل:20)، فقـد شـعر سـليمان بغيبـة الهدهـد، فـراح يبحث عنه.

قلت: والنمل!؟

قال: القرآن الكـريم يـذكر الحقـائق المجملـة، ويـدع التفصـيل للعقول.. أم أنك تريد أن تجعل من الرسالة الخاتمة قصة لسليمان وحيوانات سليمان؟

حركت رأسي بالموافقة، وقلت: أجـل.. صـحيح هـذا.. إن حيـاة سليمان تستدعي أسفارا ضخمة.

قال: هذا هو سليمان في قرآننا ملـك رحيم أواب امتلأ بالإيمـان والرحمة، فوهبه اللـه من الفضـل العظيم مـا جعلـه قمـة من قمم الهداية وشمسا من شموسـها.. قـال اللـه عنـه : وَوَرِثَ سُـلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُـلِّ شَـيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (النمـل:16)، وقـال عنـه : وَوَهَبْنَـا لِـدَاوُدَ سُـلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْـدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (صّ:30)، وقــال عنــه : فَلَمَّا جَـاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَـالٍ فَمَـا آتَـانِيَ اللَّهُ خَيْـرٌ مِمَّا آتَـاكُمْ بَـلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (النمل:36)

كان يقرأ خاشـعا بصـوت جميـل، فقلت: لقـد ذكرتـني قراءتـك برجل التقيت به أمس.. كان حـدادا، وكـان صـاحب صـوت جميـل،

وكان ذا علم بالكتاب.

ابتسم، وقال: هل التقيته؟

قلت: ما به؟.. أو من يكون الرجل؟

قال: ذلك والدي.. إنـه نشـيط جـدا.. إنـه لا يمضـي دقيقـة من حياته في غير العمل الصالح.. حتى إنه لا يطـرق بمطرقتـه طرقـة إلا صحبها بذكر الله وترتيل آياته.

قلت: فأنت ولد عاق إذن؟

قال: معاذ الله.. كيف يكون سليمان عاقا لداود؟

قلت: فأنت عمدة البلدة كما تذكر، فكيف تـترك أبـاك يمـارس الحدادة؟

قال: هو يحب أن يأكل من عمل يده.. هو يحب داود.. وقد كان داود يعمل بيبده مع أنه كان ملكا.. إن العمل باليد شـرف للمـؤمن لا إهانة له.

ومع ذلك.. فقد سبقني إلى حكم هذه القرية.. بل سلم حكمهـا لي برضا أهـل القريـة زاعمـا أن لـدي من القـدرات التنظيميـة مـا ليس له.

صمت، فقال: وماذا تحمل أنت عن سليمان؟

لم أدر ما أقول، فقال:أنت تحمل صورة مشوهة عن سليمان.. وأنت معـذور في ذلـك.. فالكتـاب المقـدس الـذي شـوه بتحريـف صورة النبيين هو الذي حملك على ذلك.

قلت: كف عن هذا.. أتسخر من كتابي؟

قـال: معـاذ اللـه أن أسـخر من شـيء.. ولكن أجبـني: ألسـت وقومك تعتقدون أن سـليمان ارتـد في آخـر عمـره.. وهـو الـوقت الذي تتوجه فيه القلوب إلى الله.. مع أن جزاء المرتد في الشريعة

الموسوية هـو الـرجم حـتى لـو كـان المرتـد نبيـا ذا معجـزات كمـا مصرح بذلك الباب الثالث عشر، والسابع عشر من سفر الاستثناء، بل لا يعلم من موضع من مواضع التوراة، أنه يقبل توبة المرتد، ولو كان توبة المرتد مقبولة، لما أمر موسى بقتل عبـدة العجـل، حـتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على خطأ عبادته.

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدون أنه بنى المعابد العاليـة للأصنام في الجبل قدام أورشليم، وهذه المعابد كانت باقيـة مئـتي سنة حتى نجسها، وكسر الأصنام يوسـنا بن آمـون ملـك يهـوذا في عهده، بعد موت سليمان بأزيد من ثلثمائة وثلاثين سـنة.. لا يمكنـك أن تخـالفني في ذلـك، فقـد جـاء ذلـك صـريحا في البـاب الثـالث والعشرين من سفر الملوك الثاني.

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدو أنه تزوج نساء من سائر الشعوب، التي منع الله من الـزواج منهن، كمـا في البـاب السـابع من الاستثناء: (ولا تجعل معهم زيجة فلا تعط ابنتك لابنـه، ولا تتخـذ ابنته لابنك)

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل انتم تعتقدون أنه تـزوج ألـف امـرأة، وقـد كـانت كـثرة الأزواج محرمـة على من يكـون سـلطان بـني إسرائيل في الآية السابعة عشر من الباب السابع عشـر من سـفر الاستثناء: (ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه)

قلت: صدقت في هذا..

قال: ليس ذلك فقط.. بل أنتم تعتقدون أن نسـاءه كن يبخـرن ويذبحن للأوثان، مع أنه ورد في الباب الثاني والعشـرين من سـفر الخروج: (من يذبح للأوثان فليقتل)، فكان قتلهن واجباً.

بل أنتم تعتقدون أن هؤلاء النسوة أغـوين قلبـه، فكـان رجمهن واجبـاً على مـا هـو مصـرح بـه في البـاب الثـالث عشـر من سـفر الاستثناء، وهو ما أجرى عليهم الحدود إلى آخر حياته.

قلت: صدقت في كل هذا.. ولكن الله تواب رحيم.

قال: كل هذه كبائر لابد لها من توبة.. فهل ثبتت توبـة سـليمان في كتبكم؟

صمت، فقال: لقد قرأت الكتـاب المقـدس مـرات لا تحصـى.. ولم أظفر بشيء.. بـل لـو تـاب لهـدم المعابـد الـتي بناهـا، وكسـر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم تلك النساء المغويات.. على أن توبته ما كانت نافعة لأن حكم المرتـد في التـوراة ليس إلا الرجم.

صمت، فقال: أتفرس فيك أنك رجل دين.

قلت: لا حاجة للتفرس، فثيابي تدل علي، وتنم عني.

قال: أخرج كتابا مقدسا من جيبه، وقال: اقرأ ما ورد في البـاب الحادي عشر من سفر الملوك الأول.

فتحت الكتاب، فقرأت: (وكان سـليمان الملـك قـد أحب نسـاء كثيرة غريبة، وابنة فرعون، ونساء من بنات الموابـيين، ومن بنـات عمـــون، ومن بنـــات أدوم، ومن بنـــات الصـــيدانيين، ومن بنـــات الحيثانيين من الشعوب الذين قال الـرب لبـني إسـرائيل لا تـدخلوا إليهم، ولا يـــدخلوا إليكم لئلا يميلـــوا قلـــوبكم إلى آلهتكم، وهـــؤلاء التصق بهم سليمان بحب شـديد وصـار لـه سـبعمائة امـرأة حـرة، وثلثمائة سرية، وأغوت نسـاءه قلبـه فلمـا كـان عنـد كـبر سـليمان أغوت نساءه إلى آلهة أخر، ولم يكن قلبه سليماً للّه ربه مثـل قلب داود أبيه وتبع سليمان عستروت إله الصيدانيين وملكوم صـنم بـني عمون وارتكب سـليمان القبح أمـام الـرب ولم يتم أن يتبـع الـرب مثل داود أبيه ثم نصب سـليمان نصـبة لكـاموش صـنم مـواب في

الجبل الذي قدام أورشليم، ولملكوم وثن بني عمون وكـذلك صـنع لجميع نسائه الغرباء، وهن يبخرن، ويـذبحن لآلهتهن فغضـب الـرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب إله إسرائيل الذي ظهـر لـه مرتين ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغربـاء، ولم يحفـظ مـا أمره به الرب فقال الـرب لسـليمان: إنـك فعلت هـذا الفعـل، ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن، أشق شقاً ملكك، وأصيره إلى عبدك(سفر الملوك الأول :11/ 1 ـ 11)

بعد أن أنهيت القراءة، قال: كل مـا قرأتـه كـذب وتخليـط على نبي عظيم.. ولن تجد تبرئة لهذا النبي إلا في القرآن الكريم، فاللــه تعالى يقول عنه : وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُـوا الشَّـيَاطِينُ عَلَى مُلْـكِ سُـلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَـرُوا (البقـرة: 102)، ويقـول عنه : وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَـا عَلَى كُرْسِـيِّهِ جَسَـداً ثُمَّ أَنَـابَ قَـالَ رَبِّ اغْفِـــرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكـــاً لا يَنْبَغِي لِأَحَـــدٍ مِنْ بَعْـــدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (صّ:34 ـ 35)

قرأ هذا، ثم جلس يتأمل النمل، ويرمي الطعام إليهن.

جلست لجلوسه، وقلت: لقد ذكـرت لي أن سـليمان هـو بابـك إلى الهداية.

قال: أجل.. لقد كنت على دينك.. لقد كنت مسـيحيا، كمـا كـان أبي..أما أبي، فقد استنار بشـعاع داود ليصـل إلى شـمس محمـد.. وأمـا أنـا، فاسـتنرت بشـعاع سـليمان لأصـل إلى تلـك الشـمس العظيمة التي استنارت بها الكائنات.

قلت: وبأي أشعة سليمان استنرت؟

قـال: بأشـعة كثـيرة.. منهـا مـا ورد في المزامـير من قولـه: (ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامـه تجثـو أهـل البريـة، وأعـداؤه يلحسـون الـتراب، ملـوك ترشـيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبإ يقـدمون هديـة، ويسـجد

له كل الملوك، كـل الأمم تتعبـد لـه، لأنـه ينجي الفقـير المسـتغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسـكين والبـائس ويخلص أنفس الفقراء، من الظلم والخطف يفـدي أنفسـهم، ويكـرم دمهم في عينيـه، ويعيش ويعطيـه من ذهب شـبا، ويصـلّي لأجلـه دائمـاً، اليوم كله يباركـه، تكـون حفنـة بـر في الأرض في رؤوس الجبـال، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثـل عشـب الأرض يكون اسمه إلى الدهر، قدام الشمس يمتد اسـمه، ويتبـاركون بـه، كل أمم الأرض يطوّبونه، مبـارك الـرب اللـه إلـه إسـرائيل الصـانع العجائب وحده، ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده، آمين ثم آمين)(المزمور 72/8-19)

قلت: هذه النبوءة تتحدث عن المسيح..

قال: وما دليلك على ذلك.. لقد قال قرآننا : قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقرة: 111)

قلت: دليـل واضـح لا يمكن الشـك في قوتـه.. لقـد ورد في النبوءة: (ملوك يقدمون هدية له).. وهذا لا يصدق إلا على المسيح.

قال: لقد زعمتم أن الملوك صلبوه.. فكيـف تـرون أنهم قـدموا له هدية، أم أن الصليب هو هديتهم له؟

قلت: إن هذه النبوءة تتحدث عن أولئك المجوس الذين قـدموا هدية للمسيح بعد مولده.

قال: وهل كانوا ملوكا؟

صمت، فقال: أنتم تتعلقون بقشة.. إن هذه البشارة ينطق كـل حرف منها بمحمد.. بل هي تكاد تصرح باسمه.

قلت: لا أرى اسمه في البشارة.

قال: وهل رأيت اسم المسيح حين حملت البشارة عليه؟

صمت، فقال: إن كنت تبحث عن الحقيقــة.. فهلم نبحث عنهــا، ونقارن مدى انطباق كل عبارة من عبارات البشارة على محمــد أو المسيح.

لقد كـان لكلامـه حلاوة تأسـر القلـوب، فلـذلك لم أملـك إلا أن أقبل العرض الذي عرضه علي.

العالمية:

قال: فلنبدأ بما ورد في البشـارة من قولـه:(ويملـك من البحـر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثو أهل البرية).. ألا ترى أن هذه البشارة تتعلق بنبي صاحب رسالة عالمية؟

قلت: أجل.. وقد كان المسـيح كـذلك.. ألا تـرى المسـيحية تعم بقاع الأرض؟

قال: دعنا من الواقع.. ولنـذهب إلى الكتـاب المقـدس ليخبرنـا بالحقيقة..

قلت: أي حقيقة؟

قال: حقيقـة المسـيحية.. هـل هي ديانـة عالميـة، أم هي ديانـة مختصة بشعب إسرائيل؟

قلت: ما تقصد؟

قال: أنت تفهم قصـدي.. أجبـني: هـل أرسـل المسـيح للنـاس كافة، أم أرسل لبني إسرائيل خاصة؟

لم أجـد مـا أقـول، فقـد كـانت النصـوص الكثـيرة في الكتـاب المقدس تؤيد الرجـل فيمـا يـذهب إليـه، لكـني قلت: المسـيح هـو شمس الحقيقة التي تضيء العالم أجمع..

قال: أنت تفر من الحقائق إلى الأشعار.. ولـذلك سـأنوب عنـك في الإجابة.

لقد بحثت في الأناجيـل الـتي هي المصـدر الأول للتعـرف على دعوة المسيح، فدلتني على أن دعوة المسيح قاصـرة على شـعب اليهـود فقـط، بـل إن البشـارة بمجيئـة قبـل مولـده تشـير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط.. أليس ذلك صـحيحا، أم تـراني وصلت إلى نتائج خاطئة؟

لم أجد ما أقول، فقال: لك الحق.. هذا كلام مجمـل.. ولا ينبغي الاكتفاء بالمجمل.. أنت تبحث عن التفاصيل.

لقد بدأت بحثي بإنجيل متى، وكان أول ما رأيت فيـه مـا حكـاه مـتى عن اللــه من قولــه:(وأنت يــا بيت لحم أرض يهــوذا لســت الصغرى بين رؤسـاء يهـوذا، لأن منـك يخـرج مـدبر يـرعى شـعبي إسرائيل)(متى:2 : 6)

أليس في قوله:(يرعى شعبي إسرائيل) إشارة واضحة على أن دعوة المسيح ستكون لشعب اليهود فقط؟

قلت: ليس بالضــرورة.. فــدخول شــعب إســرائيل في دعــوة المسيح لا يلغي دخول غيرهم.

قـال: ولكن النصـوص تخصـص شـعب إسـرائيل فقـط بـدعوة المسـيح.. وقــد كـان في إمكانهـا أن تقـول: (يخلص الإنســان) أو (يخلص العالمين) لتشمل إسرائيل وغيرهم من الشعوب.

لا بأس.. لقد جاءت نصوص أخرى أكثر صراحة:

لما جاء الملاك إلي مريم العذراء، وبشرها بولادة يسوع أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب، كمـا في لوقـا: (فقـال لهـا الملاك : لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عنـد اللـه، وهـا أنت سـتحبلين أبناً وتسمينه يسوع.. ويعطيه الـرب كرسـي داود أبيـه ويملـك على بيت يعقوب إلى الأبد)(لوقا 1 : 30)

ولما جاء الملاك الذي ظهر ليوسف النجار، قال له: (فَسَتَلِدُ ابْناً، وَأَنْتَ تُسَمِّيهِ يَسُوعَ، لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ)(إنجيـل

متى:1 : 21)

إن قول الملاك: (يخلص شعبه) دليل على أن دعوة المسيح خاصة ببني إسرائيل.

ولما اختار المسيح اثنى عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه ومساعديه في نشر دعوته كان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم، وأخبرهم أن دينونتهم خاصة بشعب إسرائيل، كما جاء في إنجيل متى أثناء نقله للمحاورة بين المسيح وبين أحد تلاميذه، وهو بطرس، فقد جاء فيها: (فأجاب بطرس حيئذ، وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟ فقال يسوع: الحق أقول لكم، إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر)(متى 19 : 27)

فالمسيح يخبرهم أنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط، ولم يذكر لهم أنهم يدينون شعوب العالم، وفي هذا إشارة إلى أن رسالته وهم من بعده قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من أسباط الاثنى عشر.

وعندما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بكلام يستفاد منه أن رسالته خاصة بشعب اليهود فقط، فقد قال:(يا أورشليم يا أورشليم.. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا)(متى 37 : 23)

قلت: كل ما ذكرته يدل على أن المسيح أرسل إلى شعب إسرائيل.. ولكن ليس هناك نص ينفي إرساله إلى غيرهم.

قال: لا.. هناك نصوص كثيرة تكاد تصرح بذلك.. إن المسيح عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية في أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل إنه حذرهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، وقد ذكر إنجيل متى (10 :

5) ذلك، فقال: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ليس ذلك فقط.. بل إن المسيح لما بدأ الدعوة إلى الله أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم، لذلك تجده يقول في متى (15 ـ 24):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ألا ترى أن (إلا) أداة للحصر، وهي تدل على انحصار رسالة المسيح ضمن الشعب الاسرائيلي؟

قلت: ولكن.. ألم تقرأ ما ورد في إنجيل (متى: 38):(اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم)

قال: إن هذا النص معارض بكل النصوص التي سبق ذكرها.. ولهذا ذهب المحققون إلى أن هذه العبارة إلحاقية بإنجيل متى، لأنها لم تذكر في بقية الأناجيل.

ألا ترى من الغرابة أن يختص متى بهذه الرواية دون غيره؟

لقد اتفقت الاناجيل الثلاثة على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكباً على جحش، فهل كان ركوبه على جحش أهم من عالمية الرسالة!؟

بل إن الكثير من النصوص في إنجيل متى يشير إلى أن رسالة المسيح مختصة بإسرائيل، فقد ورد في إنجيل متى (2 ـ 1):(وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ ؟))

وينقل متى أن التهمة التي وجهت للمسيح هي أنه ملك اليهود: (فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي، فَسَأَلَهُ الْوَالِي: (أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟) فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: (أَنْتَ تَقُولُ) (متى 27: 11)

قلت: فقد ورد في إنجيل يوحنا مـا يـدل على عمـوم تخليصـه، ألم تقرأ: (ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظــيرة، وينبغي أن آتي بتلـك)(يوحنـا: 16:10).. وجـاء في نفس الإنجيـل (32:12): (وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع)

قال: من قصد بالخراف الذين من الحظائر الأخرى؟

قلت: قصد بهم كل من يؤمن به من جميع الأمم؟

قال: لا.. إن مقصد المسيح واضح.. إنه يقصد ما ورد في إنجيل متى (24:15):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

قلت: ولكن خراف إسرائيل من حضيرته.

قـال: لا.. لقـد كـان كـل سـبط من إسـرائيل يشـكل حضـيرة خاصة.. فلهذا كان قصده من سائر الحظائر، أي الأسـباط الإحـدى عشر الأخرى.

قلت: وما تقول فيما جاء في نفس الإنجيل (32:12): (وأنـا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع)

قال: هل سيجذب المسيح إليه جميـع النـاس من آمن بـه ومن لم يؤمن؟

قلت:لا.

قال: إذن من قصد المسيح بالجميع ؟

قلت: أي أن جميع الأمم ستتبعه.

قـال: لا.. هـذا النص يفهم على ضـوء النصـوص السـابقة.. لأن كلام المسـيح جميعـا يتعلـق ببـني إسـرائيل.. فلا يخـرج كلامـه عن أصله إلا بدليل قوي صريح.

صـمت قليلا، ثم أضـاف: فنبـوءة سـليمان لا تنطبـق في هـذا الجانب على المسيح.

قلت: فهل تنطبق على محمد؟

قال: أجل.. بل إنها لا تنطبق إلا عليه، فنصوص كتابه المقـدس، وحياته، وأقواله كلها تدل على أن نبوته عامة للعالمين.

إن رسـالة محمـد تخـاطب كـل الأمم، وكـل الأجنـاس، وكـل الشعوب، وكل الطبقات.. هي ليست خاصة بشعب إسرائيل الـذي راح يزعم الخيرة لنفسه، ويرمي سائر الخلق في أتون الرذالة.

إن القـرآن الكـريم يقـرر هـذه الحقيقـة رادا بهـا على اليهـود والنصارى، فيقول: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَـاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِـذُنُوبِكُمْ بَـلْ أَنْتُمْ بَشَـرٌ مِمَّنْ خَلَـقَ يَغْفِـرُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَنْ يَشَـاءُ وَلِلَّهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا وَإِلَيْـهِ الْمَصِيرُ (المائدة:18)

قلت: ربما قال اليهود هذا.. أما نحن فلا نقوله.

قال: ألستم تحملون عنصرية بغيضة تجاه الأجناس الأخرى؟

قلت: لا..

قال: فبماذا تفسر ما ورد في الإنجيل من أن امرأة مؤمنــة من كنعان[1]، وهم سكان فلسطين قبل مجيء بـني إسـرائيل، جـاءت المسيح، وأنها ظلّت تتوسل إليـه، ولكنـه لم يُلبّ طلبهـا إلا بعـد أن أهدرت كرامتها، وقورنت بالكلاب، ورضيت.

أأترك لك قراءة النص.. أم أقرؤه أنا؟

صمت، فقال: لا بأس.. سأقرأه أنا لأنال أجر قراءته.. لقـد جـاء في إنجيـل مـتى، وهـو الإنجيـل الـذين تسـتندون إليـه في نسـبة العالميـة للمسـيحية:(ثم غـادر يسـوع تلـك المنطقـة، وذهب إلى نـواحي صـور وصـيدا، فـإذا امـرأة كنعانيـة من تلـك النـواحي، قـد

1) وفي رواية مخالفة،أن المؤمنـة من اليونـان من أصـل سـوري فـنيقي (فنيقيـا هي لبنان أو ساحل سوريه)

تقدمت إليه صارخة: (ارحمني ياسيد، ياابن داود! ابنتي معذبة جدا، يسكنها شيطان) لكنه لم يجبها بكلمة، فجاء تلاميذه يلحون عليه قائلين: (اقض لها حاجتها. فهي تصرخ في إثرنا!)، فأجاب: (ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل!)، ولكن المرأة اقتربت إليه، وسجدت له، وقالت: (أعني ياسيد!)، فأجاب: (ليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح لجراء الكلاب!)، فقالت: (صحيح ياسيد؛ ولكن جراء الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أصحابها!)(متى 15: 23 ـ 27)

قال: ولكن المسيح أجاب المرأة.. فقد ورد في (متى: 28): (فأجابها يسوع:(أيتها المرأة، عظيم إيمانك! فليكن لك ما تطلبين!) فشفيت ابنتها من تلك الساعة)

قلت: أرأيت لو أن شخصا لم يلب طلبك البسيط بالنسبة له إلا بعد أن أهان كرامتك، واحتقرك، بل سماك كلبا، ثم لم يلبه إلا بعد إلحاح شديد، بل بعد سجودك له.. أتعتبر مثل هذا إنسانا محترما لا يحمل أي عنصرية.

سكت، فقال: ومع ذلك أنتم تسمونه إلها.. هل الإله هو الذي يفضل شعبا على شعب.. وأمة على أمة؟

سكت، فقال: إننا نجد هذه العنصرية المقيتة تفوح من آيات الكتاب المقدس، ألم تقرأ ما جاء في إنجيل يوحنا: (ورأى يسوع نثنائيل قادما نحوه فقال عنه: (هذا إسرائيلي أصيل لا شك فيه!) (يوحنا:ا/47)

لست أدري كيف تذكرت قائد المئة الرومي والذي جاء المسيح إليه بدلا من أن يذهب هو بنفسه إلى المسيح، فقلت: ولكن.. ألم تقرأ ما ورد في (لوقا 7:ـ 1 ـ 10):(وبعدما أتم إلقاء أقواله كلها في مسامع الشعب، دخل بلدة كفرناحوم. وكان عند قائد مئة عبد مريض قد أشرف على الموت، وكان عزيزا عليه. فلما سمع بيسوع، أرسل إليه شيوخ اليهود، متوسلا إليه أن يأتي وينقذ عبده.

ولما أدركوا يسوع، طلبوا إليه بإلحاح قائلين: (إنه يستحق أن تمنحه طلبه، فهو يحب أمتنا، وقد بنى لنا المجمع). فرافقهم يسوع. ولكن ما إن أصبح على مقربة من البيت، حتى أرسل إليه قائد المئة بعض أصدقائه، يقول له: (ياسيد، لا تكلف نفسك، لأني لا أستحق أن تدخل تحت سقف بيتي. ولذلك لا أعتبر نفسي أهلا لأن ألاقيك. إنما قل كلمة، فيشفى خادمي: فأنا أيضا رجل موضوع تحت سلطة أعلى مني، ولي جنود تحت إمرتي، أقول لأحدهم: اذهب! فيذهب؛ ولغيره: تعال! فيأتي؛ ولعبدي: افعل هذا! فيفعل). فلما سمع يسوع ذلك، تعجب منه، ثم التفت إلى الجمع الذي يتبعه، وقال: (أقول لكم: لم أجد حتى في إسرائيل إيمانا عظيما كهذا!) ولما رجع المرسلون إلى البيت، وجدوا العبد المريض قد تعافى)

قال: بلى.. قرأت ذلك.

قلت: فهل ترى في هذا أي مظهر من مظاهر العنصرية؟

قال: فرق كبير بين المرأة الكنعانية البسيطة، وهذا القائد.. إن كتبة الإنجيل رغم رفضهم لضعفاء الأمم حتى وإن آمنوا،لا نجدهم يحتقرون أولي النفوذ والقوة، كملة اليهود من قبلهم الذين كانوا على مدى تاريخهم ترتعد فرائصهم من أولي البأس والسلطان.. حتى إنهم ينافقونهم، ويخدمونهم، ويسجدون لهم.

ألم تقرأ ما قاله بولس، وهو ينافق السلطة الوثنية الغالبة في عصره:(على كل نفس أن تخضع للسلطات الحاكمة. فلا سلطة إلا من عند الله، والسلطات القائمة مرتبة من قبل الله. حتى إن من يقاوم السلطة، يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيجلبون العقاب على أنفسهم. فإن الحكام لا يخافهم من يفعل الصلاح بل من يفعل الشر. أفترغب إذن في أن تكون غير خائف من السلطة؟ اعمل ما هو صالح، فتكون ممدوحا عندها، لأنها خادمة الله لك لأجل الخير. أما إن كنت تعمل الشر فخف، لأن السلطة لا تحمل السيف عبثا، إذ إنها خادمة الله، وهي التي تنتقم لغضبه ممن يفعل الشر. ولذلك، فمن الضروري أن تخضعوا، لا اتقاء للغضب فقط،

بل مراعاة للضمير أيضا. فلهذا السبب تدفعون الضرائب أيضا، لأن رجال السلطة هم خـدام للـه يواظبـون على هـذا العمـل بعينـه. 7 فأدوا لكل واحد حقه: الضريبة لصاحب الضـريبة والجزيـة لصـاحب الجزية، والاحـترام لصـاحب الاحـترام، والإكـرام لصـاحب الإكـرام) (روميه 13/1 ـ 7)

ومن قبلـه قـال المسـيح كمـا في (مـتى 22/21):(أعطـوا مـا للقيصر للقيصر، وما لله لله)

وليس هذا المقت والاحتقار للشعوب المستضعفة جديـدا.. بـل هو قديم قدم الكتاب المقدس:

ألستم تقرأون في (المزامير: 82/6ـ7):(أنـا قلت: (إنكم آلهـة، وجميعكم بنو العلي. لكنكم ستموتون كالبشر)؟

ألسـتم تقـرأون في (التكـوين: 9/ـ 25 ـ 26): (ليكن كنعـان ملعونا، وليكن عبد العبيد لإخوته)، ثم قال: (تبـارك اللـه إلـه سـام. وليكن كنعان عبدا له، ليوسع الله ليـافث فيسـكن في خيـام سـام. وليكن كنعان عبدا له)، رغم أن الذي شاهد عورة أبيه هو حام والـد كنعان؟

ألستم تقرأون في (تكوين 21/ـ 10)(فقالت لإبر اهيم: (اطـرد هذه الجارية وابنها، فإن ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحق)، فقد جعل اليهود إسماعيل عم إسرائيل ابن جارية، وجعلـوا إسـحاق أبـا إسرائيل ابن حرة، وجعلوه هو ابن أبيه الوحيـد، متجـاهلين أسـبقية من جعلوه ابن الأمة؟

ألسـتم تقـرأون في (صـموئيل: 1/ـ 43): (فقـال الفلسـطيني لداود: (ألعلي كلب حتى تأتي لمحاربتي بعصي؟)؟

ألستم تقرأون في (مزامـير: 60/8):(مـوآب مرحضـتي، وعلى أدوم ألقي حذائي)؟

ألسـتم تقـرأون في (تثنيـة 20/ـ 10ـ 15): (وحين تتقـدمون

لمحاربـة مدينـة فادعوهـا للصـلح أولا. فـإن أجـابتكم إلى الصـلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيـدا لكم. وإن أبت الصلح وحـاربتكم فحاصـروها فـإذا أسـقطها الـرب إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السـيف. وأمـا النسـاء والأطفـال والبهـائم، وكـل مـا في المدينـة من أسـلاب، فاغنموهـا لأنفسـكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم. هكـذا تفعلـون بكل المدن النائية عنكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا) ؟

ألستم تقرأون في (صموئيل 1/ 15 ـ 3):(فاذهب الآن وهاجم عمـاليق.. لا تعـف عن أحـد منهم بـل اقتلهم جميعـا رجـالا ونسـاء، وأطفالا ورضعا)؟

ألستم تقرأون في (إشعياء 61/ـ 5 ـ 6):(ويقـوم الغربـاء على رعاية قطعانكم، وأبناء الأجـانب يكونـون لكم حراثـا وكـرامين. أمـا أنتم فتــدعون كهنــة الــرب،.. فتــأكلون ثــروة الأمم وتتعظمــون بغناهم)؟

ألستم تقرأون سفر يشـوع.. ذلـك السـفر الـذي يفـوح بـروائح العنصرية التي لا تقل عن عنصرية هتلر.. بـل تزيـد عليهـا.. سـأقرأ لك شيئا أبتغي بذلك الأجر.. أليست قراءة الكتب المقدسـة تقربنـا إلى الله وإلى المسيح !؟

بدأ يقرأ: (ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشـيوخ حـتى البقـر والغنم والحمـير. ثم أحرق الإسـرائيليون المدينـة بالنـار بكـل مـا فيهـا واسـتحيا يشـوع راحاب الزانية)(يشوع 6/ 21)

وورد فيه: (رجع المحاربون الإسرائيليون إلى عـاي وقتلـوا كـل من فيها. 25فكان جميع من قتل في ذلك اليوم من رجـال ونسـاء اثني عشر ألفا، وهم جميع أهل عـاي. 26.. حـتى تم القضـاء على جميع أهل عاي) (يشوع 8/ 24)

أأزيدك أم تكتفي بهذا؟

سكت، فقال: كيف تقارن هذا بما ورد في القـرآن الكـريم عن رسالة محمد ﷺ وأنها رحمة للعالمين، قال تعالى:﴿ وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَـالَمِينَ﴾ (الانبيـاء:107).. إن هـذه الآيـة صـريحة في التوجه العالمي لرسالة محمد ﷺ.

فليس في كـل النصـوص المقدسـة الإسـلامية: (إنمـا أرسـلت لخراف إسماعيل الضالة).. بـل إن فيهـا :﴿ قُـلْ يَـا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُـؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (لأعراف:158)

وفيها:﴿ تَبَـارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَى عَبْـدِهِ لِيَكُـونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيراً﴾ (الفرقان:1)

وفيها :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 90)

وفيها :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (صّ:87)

وفيها :﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم:52)

ولهذا أثنى الله على أمة الإسلام في كتابه حين خاطبها فقـال : ﴿ كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110)

فاللـه برحمتـه أخـرج هـذه الأمـة إلى النـاس، وتـولى رعايتهـا، لتخرج الناس من الظلمـات إلى النـور بعـد أن رغب بنـو إسـرائيل عن تولي هذه المهمة.

النصرة:

ثم التفت إلي، وقال: أرى أن الجزء الأول من البشـارة ينطبـق انطباقا تاما على محمد ﷺ، فهلم بنا إلى الجزء الثاني.

لم أدر إلا وأنا أردد من غير شعور: (وأعداؤه يلحسـون الـتراب،

ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبإ يقـدمون هدية، ويسجد له كل الملوك، كل الأمم تتعبد له)

قال: أنتم تستدلون بهذا الجزء على جعل النبوءة في المسيح.

قلت: أجـل.. فقـد ورد في الكتـاب المقـدس ذكـر سـجود المجوس له، كما في (متى: 2:ـ 1 ـ 2):(وبعدما ولد يسوع في بيت لحم الواقعة في منطقة اليهودية على عهد الملك هيرودس، جاء إلى أورشليم بعض المجوس القادمين من الشرق، يسألون: (أين هو المولود ملك اليهود؟ فقد رأينا نجمه طالعا في الشرق، فجئنا لنسجد له)

وفي (متى: 2:ـ 11 ـ 12):(ودخلوا البيت فوجدوا الصبي مع أمه مريم. فجثوا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا، ذهبا وبخورا ومرا. ثم أوحي إليهم في حلم ألا يرجعوا إلى هيرودس، فانصرفوا إلى بلادهم في طريق أخرى)

قال: ألا ترى أن هذا هو التكريم الوحيد الذي حصل للمسيح في حياته؟

صمت، فقال: من قال لك بأن هؤلاء المجوس أعداء له.. لقد نصت البشارة على أن أعداء هذا الموعود يلحسون التراب.

قلت: أجل..

قال: فهل تحقق هذا في المسيح؟

صمت، فقال: لم يتحقق.. إن المسيح ـ بحسب الإنجيل ــ نال الكثير من الهوان، بل إن أعداءه تسلطوا عليه، فصلبوه.

لست أدري كيف قلت من غير أن أشعر: أنا مقر بأن هذه البشارة لم تتحقق في المسيح.. فهل تحققت في محمد؟

انتفض قائلا: هل ترى الشمس؟

قلت: وكيف لا أراها؟

قال: فهل يمكن أن يجادل أحد في الشمس؟

قلت: لا.. إلا إذا كان مغرما بالمخالفة، مشتهيا للجدل.

قال: فكذلك ما أمد الله به نبيـه من نصـر ومنعـة وحمايـة رغم كل المخاطر التي حاقت به..

لقد كان أعـداء محمـد ﷺ من الكـثرة والقـوة مـا لا يقـارن بـه أعداء المسيح، ومع ذلك نصر الله نبيه إلى أن أكمل دعوتـه، ونـزل عليه ما ثبت كمالها.

بل إن هذه الانتصارات جاءت كنبـوءات غيبيـة امتلأ بهـا القـرآن الكريم، وكأنه يتحـدى كـل القـوى الـتي واجهت محمـدا ﷺ من أن تفعل شيئا في مواجهته:

فالله تعالى يقول لرسـوله وللمؤمـنين:﴿ وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَــى لَهُمْ وَلَيُبَـدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْـدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55)

فقـد وعـد اللـه المؤمـنين في هـذه الآيـة بجعـل الخلفـاء منهم وتمكين الدين المرضي لهم، وتبديل خوفهم بـالأمن، فـوفى وعـده في مدة قليلة.. بل إنه في حياة الرسـول ﷺ اسـتطاع المسـلمون أن يفتحوا مكة، وخيبر والبحرين، ومملكة اليمن، وأكثر ديار العرب.

بل إن الله تعالى أخبر بأن هذا الدين سيظهر على الـدين كلـه، قال تعالى:﴿ هُـوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى وَدِينِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة:33)

وبشـره بأنـه سـيأتي اليـوم الـذي يـدخل النـاس فيـه دين اللـه

أفواجا، فقال :﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَـدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (النصــر: 1 ـ 3)

بل إن القرآن الكـريم يتحـدى الأعـداء بالغلبـة، فيقـول :﴿ قُـلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَـتُغْلَبُونَ وَتُحْشَـرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَـادُ قَـدْ كَـانَ لَكُمْ آيَـةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَـا فِئَةٌ تُقَاتِـلُ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَأُخْـرَى كَـافِرَةٌ يَـرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْـرِهِ مَنْ يَشَـاءُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:12 ـ 13)

أخبرني يا صاحبي.. هل ترى في كتابكم المقدس أي وعد بمثل هذا النصر؟

قلت: ولكن المسيحية انتصـرت، وخضـع الرومـان.. وانتشـرت في العالم، وهي الآن من أكثر الديانات في العالم انتشارا.

قال: نعم هي انتشرت.. ولكنها لم تنتشر بالطريقة التي انتشـر بها الإسلام.. لقد كانت بين أمـرين: المحافظـة على صـفائها الـذي جاء به المسـيح، أو تحولهـا إلى مـزيج من الـديانات لترضـي أذواق الرومـان والشـعوب الـتي دخلت فيهـا.. ولكنهـا للأسـف اختـارت الثاني.. فحصل لها ما حصل من التحريف.

ومع ذلك.. فالبشارة التي جاء بها سـليمان لا ترتبـط بهـذا، لقـد أخبرت بأن الله سيكفي هـذا المبشـر أعـداءه، وسينصـره عليهم.. فهل حصل للمسيح؟

قلت: حصل في عالم الروح..

قال: لا.. البشارة تشمل الروح والجسد.

قلت: أنت تعرف بأن المسيح أوذي كثيرا.

قال: أنا أعرف ذلـك.. وأعـرف أن كثـيرا من الأنبيـاء قتلـوا في ذات الله، وهذا شرف لهم.. ولكني أبحث عن سر النبوءة.. النبوءة

لغز يحتاج إلى عقل يفكك مفرداته وتراكيبه ليعرف المراد منه.. ولا علاقة لها بكمال التصرف أو نقصانه.. فنحن لا ننقص من قدر المسيح إن قلنا: إن النبوءة لا تنطبق عليه.. كما لا ننقص من قدر محمد إن قلنا بأن الكثير من النبوءات لا ينطبق عليه، وإنما ينطبق على المسيح أو غير المسيح.

قلت: فهل حصل لمحمد هذه الكفاية التي ذكرتها؟

قال: نعم.. حصلت له في حياته، وبعد مماته(1).. واسمح لي أن أسوق لك من النصوص ما يثبت ذلك.. وكلها تحقيق لنبوءة قرآنية تقول :﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر:95)، وتحقيق لنبوءة أخرى تقول :﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:67).. فهل أنت مستعد لسماعي.

قلت: لا بأس.. تكلم بما شئت.

قال: أما في حياته ﷺ فقد رويت الأخبار الكثيرة ــ التي يفيد في مجموعها التواتر ـ عن عناية الله بنبيه وحفظه له وانتقامه من أعدائه:

ومن ذلك أن أبا لهب وابنه عتبة تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد، ولأوذينّه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فنفذ وعيده، فقال النبي ﷺ:(اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك)

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه، فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال:(اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك) قال: يا بني، والله ما آمن عليك دعاءه!

فساروا حتى نزلوا بالشراة، وهي أرضٌ كثيرة الأسد، فقال أبو

---

1) انظر الأدلة الكثيرة المثبتة لهذا في رسالة (معجزات حسية) من هذه السلسلة، وسنكتفي هنا ببعض النماذج من باب الضرورة الفنية.

لهب: إنكم قد عرفتم كبر سـني وحقي، وإن هـذا الرجـل قـد دعـا على ابني دعوة، والله ما آمنهـا عليـه، فـاجمعوا متـاعكم إلى هـذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها، ثم افرشـوا حولهـا، ففعلنـا، فجـاء الأسد فشمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشمَّ وجهه، ثم هزمه هزمة ففسخ رأسـه!! فقـال أبـو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت من دعوة محمد.

والله يكفي نبيه كيف شاء، وبما شاء:

فقد يقذف الله الخوف في قلب من يتعرض له بـالأذى ليحـول ذلك بينـه وبين مـا أراد، وقـد روي من ذلـك أن غـورث بن الحـرث قال: لأقتلن محمدًا، فقال له أصحابه: كيف تقتله؟ قـال: أقـول لـه أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به. فأتاه فقال: يا محمد أعطني سيفك أشمّه، فأعطاه إياه فرعـدت يـده، فسـقط السـيف، فقـال رسول الله ﷺ:(حال الله بينك وبين ما تريد)

ومن ذلك ما يروى أن أبا جهل قال لقومه: (واللات والعزى لئن رأيت محمـدًا يصـلي لأطـأن على رقبتـه، ولأعفـرن وجهـه في التراب)، فأتى رسول الله ﷺ، وهـو يصـلي ليطـأ على رقبتـه، فمـا فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديـه، فقيـل: مالـك؟ فقال: (إن بيني وبينه خندقًا من نار وهولاً وأجنحـة)، فقـال رسـول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا)

ويروي ابن عباس أن رجالاً من قريش اجتمعـوا في الحجـر، ثم تعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف أن لو قد رأوا محمدًا لقد قمنا إليه مقام رجل واحد، فقتلناه قبل أن نفارقـه، فـأقبلت ابنتـه فاطمـة تبكي حـتى دخلت على النـبي ﷺ، فقـالت: (هـؤلاء الملأ من قومـك لقـد تعاهـدوا لـو قـد رأوك قـاموا إليـك فقتلوك، فليس منهم رجل واحـد إلا قـد عـرف نصـيبه من دمـك)، فقال: (يا بنية آتيني بوضوء)، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قـالوا: هـاهو ذا، وخفضـوا أبصـارهمن وسـقطت أذقـانهم في صدورهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم منهم إليـه رجـل، فأقبـل

النبي ﷺ حتى قام على رؤوسهم، وأخذ قبضة من التراب ثم قـال: (شاهت الوجوه)، ثم حصـبهم بهـا فمـا أصـاب رجلاً منهم من ذلـك الحصا حصاةٌ إلى قتل يوم بدر كافرًا.

وقد يوفر الله من أسباب الهلاك التي تبدو طبيعية ما ينصـر بـه نبيه، ويهلك به أعداءه، ومن ذلك مـا يـروى عن عـامر بن الطفيـل وأربد بن قيس اللذين تآمرا على النبي ﷺ..

واسمع القصة..

لقد كان عامر بن الطفيل شيطان نجد الذي غدر بأصـحاب بـئر معونة ومعه شيطان مثله هـو أربـد بن قيس، قـد اتفقـا على قتـل النبي ﷺ غـدراً وغيلـة، بحيث يشـغل عـامر بن الطفيـل بالحـديث، ويأتي أربد بن قيس من خلفه ويطعنه بالخنجر، ولكن الله عز وجل حبس يد أربد وشلها، ونجـا اللـه رسـوله من غـدر الكـافرين، وفى طريق عودتهما أرسل الله على أربد بن قيس وجمله الـذى يركبـه صاعقة من السماء فأحرقته، أما عـامر بن الطفيـل فأصـيب بغـدة في عنقه فصار يخور مثل البعير المنحور حتى هلك.

ومن ذلك ما حصل لعقبة بن أبي معيط الذي وضـع رجلـه على عنق النبي ﷺ فقطعت عنقه.

لقد جاء والرسول ﷺ ساجد خلف المقام بالكعبة، فوضع رجلـه على عنق الرسـول، وغمزهـا فمـا رفعهـا حـتى كـادت تخـرج عينـا الرسول من مكانها، ثم جـاء مـرة أخـرى بسـلا شـاة، فألقـاه على كتف الرسول ﷺ، وهو ساجد، فجاءت فاطمـة فطرحتـه عن كتـف أبيها.

فكـان عاقبتـه أن يقـع أسـيراً في غـزوة بـدر، ويؤخـذ من بين الأسرى، وتضرب عنقه، ثم يلقى في قليب بدر.. وهكذا كان جــزاء من سولت له نفسـه وضـع قدمـه على العنـق المبـارك الشـريف، تقطع عنقه، ويلقى في المزابل.

ومن ذلك أن يخرق الله له السنن الكونية ليحفظه، ويعصمه، ومما يروى في ذلك المرأة التي جاءت النبي ﷺ، بشاة مشوية دست فيها سمًا كثيرًا، فلما لاك النبي ﷺ منها مضغة لم يسغها، وقال: (إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم)، ثم دعا باليهودية فاعترفت.

ومن ذلك أن يقذف الله الهدى في قلب من آذاه، فيتوب، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من ماله وولده ووالده والناس أجمعين.. ومما يروى في ذلك قصة أبي سفيان بن الحارث أخي النبي ﷺ من الرضاع، فقد كان يألف النبي ﷺ أيام الصبا وكان له تربًا، فلما بُعث النبي ﷺ عاداه أبو سفيان عداوةً لم يعادها أحدًا قط، وهجا رسول الله ﷺ وهجا أصحابه.. ثم شاء الله أن يكفي رسوله ﷺ لسان أبي سفيان وهجاءه، لا بإهلاكه وإنما بهدايته

حدث أبو سفيان عن نفسه، قال: ثم إن الله ألقى في قلبي الإسلام، فسرت وزوجي وولدي حتى نزلنا بالأبواء، فتنكرت وخرجت حتى صرت تلقاء وجه النبي ﷺ، فلما ملأ عينيه مني أعرض عنّي بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى.

قالوا: فما زال أبو سفيان يتبعُهُ، لا ينزلُ منزلاً إلا وهو على بابه ومع ابني جعفر وهو لا يكلمه، حتى قال أبو سفيان: والله ليأذنن لي رسول له أو لآخذن بيد ابني هذا حتى نموت عطشًا أو جوعًا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما فدخلا عليه.

بل إن رسول الله ﷺ كان يتحدى أعداءه، فيخرج بين أظهرهم من غير أن يروه، ومما يروى في ذلك أن أبا جهل، قال لأصحابه: إن محمدًا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا، فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جِنَانٌ خير من جنان الأرْدُن وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تُعَذَّبون بها. وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك، وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، فجعل يَذُرّها على رؤوسهم، ويقرأ

﴿ يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾(يس:1 ـ 2):

الرحمة:

التفت إلي، وقال: أرى أن الجزء الثاني من البشارة ينطبق انطباقا تاما على محمد ﷺ، فهلم بنا إلى الجزء الثالث.

لم أدر إلا وأنا أردد من غير شعور: (لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء، من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، ويصلّي لأجله دائماً، اليوم كله يباركه، تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال، تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض)

قال: أنتم تستدلون بهذا الجزء على جعل النبوءة في المسيح.

قلت: أجل.. فقد ورد في الكتاب المقدس النصوص الكثيرة من رحمة المسيح..

قال: وورد فيه النصوص الكثيرة من قسوته.

انتفضت غاضبا، وقلت: ما تقول يا رجل؟

قال: أنا لا أقول.. بل الكتاب المقدس هو الذي يقول.. أنا لست سوى قارئ للكتاب المقدس لا مؤلفا له.

قلت: فأين ترى قسوة المسيح؟

قال: أنت تعلم المواقف التي ألصقتموها بها.. والتي نبرئه منها.

قلت: لا أذكر أي موقف.

قال: سأقرأ لك ما قد يذكرك.. وسأكتفي بموقفين تتجلى فيهما رحمة المسيح بالمرأة المستضعفة.

أخذ الكتاب المقدس، وراح يقرأ: (ثم غادر يسوع تلك المنطقة، وذهب إلى نـواحي صـور وصـيدا، فـإذا امـرأة كنعانيـة من تلـك النواحي، قـد تقـدمت إليـه صـارخة: (ارحمـني ياسـيد، يـاابن داود! ابنتي معذبة جـدا، يسـكنها شـيطان) لكنـه لم يجبهـا بكلمـة، فجـاء تلاميذه يلحـون عليـه قـائلين: (اقض لهـا حاجتهـا. فهي تصـرخ في إثرنـا!)، فأجـاب: (مـا أرسـلت إلا إلى الخـراف الضـالة، إلى بيت إسرائيل!)، ولكن المرأة اقتربت إليه، وسجدت له، وقالت: (أعـني ياسيد!)، فأجاب: (ليس من الصواب أن يؤخذ خـبز البـنين ويطـرح لجراء الكلاب!)، فقالت: (صحيح ياسـيد؛ ولكن جـراء الكلاب تأكـل من الفتات الذي يسقط من موائد أصحابها!)(متى 15: 23 ـ 27)

هذا هو الموقف الأول..

أما الموقف الثاني، فإهانتـه لأمـه وسـط الحضـور، وقولـه لهـا: (مالي ولك يا امرأة) (يوحنا:2 : 4)؟

أهكذا تكون الرحمة بالأم؟

صمت، فقال: أما محمد.. فقد وصفه ربه بأنه ـ أساسا ـ رحمـة للعالمين، فقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (الانبيـاء: 107)

قلت: أي رحمة تزعمها لمن نزل عليه الأمر بالجهاد والقتال؟

قال: إن الجهاد الذي يضحي فيه المؤمن بنفسه وماله من أجـل نصرة المستضعف أعظم مظهر من مظاهر الرحمة، لقد علل الله الأمر بالجهاد بالرحمة، فقال : وَمَـا لَكُمْ لا تُقَـاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْـعَفِينَ مِنَ الرِّجَـالِ وَالنِّسَـاءِ وَالْوِلْـدَانِ الَّذِينَ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّـاً وَاجْعَـلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (النساء:75)

فقد علل الله قتال المستكبرين بنصرة المستضعفين..

أجبني..

أرأيت لو كنت تسير في الطريق، وكانت امرأة لا تعرفها تسير في نفس الطريق.. فتعرض لها بعضهم بسوء، أكنت تتركها لهم؟

قلت: لا.. بل أنهرهم عنها.

قال: فإن لم يستجيبوا؟

قلت: استعمل كل الوسائل.

قال: فإن لم يستجيبوا إلا لصوت القوة.

قلت: حينذاك لا بد من استعمالها إن كانت لدي طاقة.

قال: فقد أمرنا ديننا بالإعداد لهذه القوة حتى نستعملها في حال الحاجة، وهي التي نسميها الجهاد..

أجبني.. ألم يخبر المسيح بشرعية الجهاد.. ألم يمارس النبيون الذين تنقلون أخبارهم في الكتاب المقدس الجهاد في حياتهم ضد أعدائهم.

ثم أخبرني.. أيهما أكثر رحمة قوله تعالى: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ(البقرة:190 ـ 191)

وقوله تعالى: وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (النساء:75)

وقوله تعالى: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ

فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (النساء: 90)

وقوله تعالى: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَـراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَـا يَعْمَلُـونَ مُحِيـطٌ (لأنفـال: 47)

وقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَـا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (لأنفال:61)

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْـدِيكُمْ مِنَ الْأَسْـرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (لأنفال:70)

وقوله تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ اسْـتَجَارَكَ فَـأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (التوبة:6)

أهذه النصوص التي تفوح بالرحمة والأدب مع كونها تتحدث عن القتـال.. أو مـا ورد في الكتـاب المقـدس من الحـديث عن هـذه الناحية بالذات..

ولنبـدأ بمـا يقـول سـفر حزقيـال [9 : ـ 5] من قـول الـرب: (اعـبروا في المدينـة خلفـه واقتلـوا. لا تـترأف عيـونكم ولا تعفـوا. أهلكوا الشيخ والشاب والعذراء والطفـل والنسـاء. ولكن لا تقربـوا من أي إنسان عليه السمة، وابتدئوا من قدسي). فابتـدأوا يهلكـون الرجـال والشـيوخ الموجـودين أمـام الهيكـل. وقـال لهم: (نجسـوا الهيكل واملأوا ساحاته بالقتلى، ثم اخرجوا). فانـدفعوا إلى المدينـة وشرعوا يقتلون)

ألا تعلم يا صاحبي أن الكتاب المقدس هو الكتـاب الوحيـد على وجه الأرض الذي يأمر بقتل الأطفال؟

ليس هذا فقط، لقد جـاء في سـفر يشـوع [6 : ـ 16]:(قـال يشـوع للشـعب: اهتفـوا، لأن الـرب قـد وهبكم المدينـة. واجعلـوا

المدينة وكل ما فيها محرما للرب،.... أما كل غنائم الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد، فتخصص للرب وتحفظ فى خزانته. فهتف الشعب، ونفخ الكهنة في الأبواق. وكان هتاف الشعب لدى سماعهم صوت نفخ الأبواق عظيما، فانهار السور في موضعه. فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير)

انظر الرحمة التي يحملها الكتاب المقدس للرجال والنساء والأطفال حتى البقر والغنم والحمير..

وفي سفر هوشع [13 ـ 16] يقول الرب: (تجازى السامرة لأنها تمردت على إلهها. بالسيف يسقطون. تحطم أطفالهم، والحوامل تشق)

وفي سفر إشعيا [13 ـ 16] يقول الرب: (وتحطم أطفالهم أمام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نساؤهم)

أين هذا الأوامر الاجرامية المثبتة في كتابكم المقدس من وصية محمد ﷺ للمقاتلين حينما كان يقول لهم: (انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)

وكان يقول لهم: (سيروا باسم الله، وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا)

قلت: أنت تحدثني بما في أسفار الأنبياء.. لا بكلام المسيح..وتقارن بينها وبين ما جاء به محمد.

قال: لقد أبقى المسيح ـ كما تذكرون ـ أسفار الأنبياء كما هي، بل أخبر أنه لم يأت لينقض الناموس.. أي أن كل ما ذكر هنا أقره المسيح.

ومع ذلك، فأنتم تروون قوله: (لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاما على الأرض. ما جئت لأرسي سلاما، بـل سـيفا فـإني جئت لأجعـل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مـع أمهـا، والكنـة مـع حماتهـا. وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته)(إنجيل متى :10)

ليس ذلك فقط.. فللرحمة مجالاتها المختلفة التي جاء الإسـلام جميعا لرعايتها.. فهو رحمة للمعوزين، وللقاصرين، وللمستضعفين، وللمذنبين، وللرجال، وللنسـاء، وللأطفـال، وللكائنـات.. إن محمـدا ودين محمد رحمة محضة.. فـإن كنت صـادقا، فسـيقيض اللـه لـك من يدلك على رحمة محمد ودين محمد(1).

الخلود:

نظر إلي، وقـال: أظن أن هـذا الجـزء لا ينطبـق على أحـد في العالم كما ينطبق على محمد.. فلنبحث في جزء آخر.

لم أدر إلا وأنا أقرأ: (يكـون اسـمه إلى الـدهر، قـدام الشـمس يمتد اسمه، ويتباركون به، كل أمم الأرض يطوّبونـه، مبـارك الـرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده، ومبـارك اسـم مجـده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده، آمين ثم آمين)

قـال: إن هـذا الجـزء من البشـارة يتحـدث عن خلـود دين هـذا المبشر به.

قلت: بلى.. وقد تحقق ذلك في المسيحية.

قـال: إن أردنـا الخلـود مجـرد البقـاء.. فقـد تحقـق ذلـك في المسيحية واليهودية وكل الديانات.

قلت: وهل الخلود يعني شيئا آخر غير البقاء؟

قـال: نعم.. الخلـود الصـحيح هـو الـذي يجتمـع فيـه البقـاء مـع الصفاء.. فالبقاء الظاهر وحده لا يعني شيئا.

---

1) انظر في هذه السلسلة الجزء المسمى (رحمة للعالمين)، ففيه التفاصـيل الكثـيرة المثبتة لذلك.

قلت: لم أفهم ما الذي تريد قوله؟

قال: لا يمكنني الآن أن أفسر لك ذلك.. فهو يحتاج علوما كثيرة لا يكفي هذا المجلس لذكرها.. ولكني سأكفتي بذكر خلاصة لك.. وستجد من يبين لك مدى صدقها.

قلت: ما هي؟

قال: لا يوجد دين في الأرض لا يزال غضا طريا كما أنزل إلا دين محمد.. ولا يوجد كتاب مقدس يقرأ بنفس الحروف والكلمات التي أنزل بها إلا كتاب محمد.. ولا توجد سيرة نبي تحمل نموذجا كاملا للإنسان الكامل غير سيرة محمد.. ولا توجد تعاليم في أي دين من الأديان يمكنها أن تبني المدينة الفاضلة، والمجتمع الفاضل إلا تعاليم محمد..

قلت: حسبك.. أراك ترسل الأحكام هكذا جزافا.. فإن كل حكم من هذه الأحكام يستدعي الأسفار الضخمة لإثباته(1).

قال: ولذلك قلت لك: إنني لا أستطيع أن أذكر لك في هذا المحل كل ما يمكنه أن يثبت لك خلود هذا الدين..

قلت: لا بأس لن أطالبك الآن بإثبات ذلك.. ولكن ألا ترى أن المسيحية قد حصل لها من الخلود ما حصل لدين محمد؟

قال: أي مسيحية تلك التي حصل لها هذا الخلود؟

قلت: المسيحية واحدة.. الدين الذي جاء به المسيح.

قال: إن أردت ذلك.. فالمسيحية لم تبق إلا فترة قصيرة في حياة بعض الصادقين الذين ظلوا مخلصين للمسيح ولما جاء به المسيح.. وتلك الثلة القليلة الباقية سرعان ما انضمت إلى محمد بمجرد مجيئه، بل كانت تتلهف لمجيئه.

---

1) انظر تفاصيل الأدلة المثبتة لهذا في رسالة (ثمار من شجرة النبوة) من هذه السلسلة، فصل (صمود).

قلت: وسائر المسيحية؟

قال: لقد وقعوا بين مطرقة بولس، وسنديان أباطرة الرومان.

قلت: لم أفهم ما الذي تريده؟

قال: كما أني لم أستطع أن أبين لك في هذا المحل سر خلــود الإسلام.. فلن أستطيع أن أثبت لك سر خلود المسيحية.. ولكن إن كنت صادقا، فسيقض الله لك من يعلمك ما فعل بولس، وما فعــل الأباطرة بالمسيح ودين المسيح.

قلت: لقد انتهينا من الحديث عن هذه النبوءة، فهل أتركـك مـع رعيتك.. لقد شغلتك عنها.

قال: لا.. لا عليك إنها تحب مثل هذه الأحاديث، وتأنس لها، إنهـا تحب محمـدا وتحن لـه.. ألم تسـمع بحـنين الجـذع لمحمـد؟.. ألم تسمع بمحبة جبل أحد لمحمد؟

صمت، فقال: ربما لم تكفك تلـك البشـارة الـتي ذكرتهـا لـك.. لدي أخت لها.. سأذكرها لـك لعلـك تنـال منهـا بصيصـا يهـديك إلى شمس محمد.

في كتاب نشيد الأناشيد، وفي الجزء الخامس منه نـرى وصــفا لرجل يذكر اليهود أنــه سـليمان، بينمـا تـذكرون أنتم أنــه المسـيح، والمتكلم في النص مجهول لكنه يبدو لنا أنه أنثى.

اليهــود يرجحــون أن المتكلم هــو زوجــة ســليمان المســماة شولميث، و أنها تصـف سـليمان نفسـه، وأنتم تـذكرون أن لـديكم أدلة قوية على أن الخطاب هو للمسيح.

فإن كان هذا صـحيحاً فإننـا أمـام نبـوءة تتعلـق بموعـود يـأتي.. فلنبحث عن الأوصاف التي ذكرت لنرى على من تنطبق: هل على سليمان، كما يقول اليهود.. أو على المسيح، كمـا تقولـون أنتم.. أو على غيرهما.. وربما يكون محمدا..

لقد أحضرت معي الجـزء الخـامس من نشـيد الأناشـيد.. خـذه واقرأ علي..

أخذت الكتاب المقدس، ورحت أقرأ هذا الحوار:

(بَنَـاتُ أُورُشَـلِيمَ): بِمَ يَفُـوقُ حَبِيبُـكِ الْمُحِبِّينَ أَيَّتُهَـا الْجَمِيلَـةُ بَيْنَ النِّسَاءِ؟ بِمَ يَفُوقُ حَبِيبُكِ الْمُحِبِّينَ حَتَّى تَسْتَحْلِفِينَا هَكَذَا؟

(الْمَحْبُوبَةُ): حَبِيبِي أَبيَضٌ وَ أَزْهَرُ (متورد)، عَلَمٌ بَيْنَ عَشَـرَةِ آلاَفٍ. رَأْسُهُ ذَهَبٌ خَالِصٌ وَغَدَائِرُهُ مُتَمَوِّجَـةٌ حَالِكَـةُ السَّـوَادِ كَلَـوْنِ الْغُـرَابِ. عَيْنَـاهُ حَمَامَتَـانِ عِنْـدَ مَجَـارِي الْمِيَـاهِ، مَغْسُـولَتَانِ مُسْـتَقِرَّتَانِ فِي مَوْضِعِهِمَا. خَـدَّاهُ كَخَمِيلَـةِ طِيبٍ (تَفُوحَـانِ عِطْـرَاً) كَـالزُّهُوْرِ الحُلْـوَة، وَشَفَتَاهُ كَالسُّوْسَنِ تَقْطُرَانِ مُـرّاً (صـمغ ذكي الرائحـة) شَـذِيّاً. يَـدَاهُ حَلْقَتَـانِ مِنْ ذَهَبٍ مُـدَوَّرَتَانِ وَمُرَصَّـعَتَانِ بِالزَّبَرْجَـدِ، وَجِسْـمُهُ عَـاجٌ مَصْقُولٌ مُغَشًّى بِالْيَاقُوتِ. سَاقَاهُ عَمُودَا رُخَامٍ قَائِمَتَانِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ، طَلْعَتُهُ كَلُبْنَانَ، كَأَبْهَى أَشْـجَارِ الأَرْزِ. فَمُـهُ عَـذْبٌ، نعم: إِنَّهُ مَحَمَد. هَذَا هُوَ حَبِيبِي وَهَذَا هُوَ صَدِيْقِي يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ(1)!

انفضت غاضبا، وقلت: هذا كتاب محرف.. لا يوجـد في الكتـاب المقدس اسم محمد.. فكيف أثبت هنا؟

قال: صدقت.. أنت تقصد المقطع رقم 16.. هذا النص ترجمـة حرفية للنص العبري.. أما كلمة محمد.. فتركناها في هذه الترجمـة كما هي من غير أن نتصرف في ترجمتها باعتبارها علما.. الأعلام لا تترجم في جميع لغات العالم ما عـدا في الكتـاب المقـدس خاصـة إذا تعلق الأمر بمحمد.

إن هذا المقطع يحتوي على الكلمة العبرية مَحَمَد **מחמד** فهـل هي مصادفة أن يكون إسم الشخص الذي نتبأ عنه كاسم نبينا؟

---

1) عبارة (يا بنات أورشليم) هي أيضا ترجمة غير صحيحة ففى الأصل العبرى نجد كلمة ابن أو بن (בנ) برقم (1121) والجمع منها بنى وبنو وهذه الكلمة تقال للذكور من الأولاد، مثلها مثل العربية تماما.. فمن أين جاءت كلمة البنات. (انظر: نبي أرض الجنوب)

الكلمـة العبريـة (محمـد) מחמד تتـألف من الحـروف العبريـة الأربعـة (ميم حيت ميم داليت)، وهي نفس الأحـرف العربيـة (ميم حاء ميم دال)، والفرق الوحيد بين مَحَمَد מחמד ومُحُمَّد מחמד هو التشكيل.. وهذا التشكيل لم يخترعـه اليهـود إلا في القـرن الثـامن الميلادي، أي بعد حوالي مئة سنة من بدء الإسلام (2).

زيادة على هذا، فإن كلمة مُحُمَّد في العربية والعبرية لها معـنى واحد هو صيغة التفضيل من الرجل المحمود، أما كلمة مَحَمَـد فـإن لهـا حسـب قـاموس (بن يهـودا) أربعـة معـان، وهي: (المحبـوب، المُشـتهَى، النفيس، المحمّـد).. وبـالطبع فـإن المـترجمين للكتـاب المقدس يميلون لاختيار أول ثلاث كلمات لإبعاد القارئ عن الكلمـة الحقيقية.

التفت إلي، وقـال: هـا هـو اسـم النـبي الموعـود في الكتـاب المقدس.. فابحثوا عمن ينطبق عليه هذا الاسـم.. ولن تجـدوا غـير محمد رسول الله.

قال ذلك، ثم انصرف إلى حيواناته يطعمها، ويتفقدها.

أما أنا، فانصرفت بحيرة جديدة، وببصيص من النور اهتديت بــه بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

מַחֲמָד Mahamad (mahmad)

2) هذا هو الفرق بين كلمة مَحَمَد

מֻחַמָד Muhammad

و كلمة مُحُمَّد

والتشكيل لم يكن موجوداً في العبرية القديمة، وإضافة التشكيل للغة العبريـة إنمـا تم في القرن الثـامن الميلادي، فمن المحتمل أن يكـون الحاخـام الـذي قـام بتشـكيل نشـيد الأناشيد قـد أخطـأ في هـذه الكلمـة، أو أنـه تعمـد ذلـك ليمعن في إبعـاد قـارئي الكتـاب المقدس عن الإسلام الذي كان قد انتشر قبل قرن من إضافة التشكيل للغة العبرية.

بشارة إشعيا

في اليــوم الســادس خــرجت من غرفــتي، وأنــا لا أدري أين سأذهب، ولا من سيلاقيني.. لم أبتعد قليلا، حتى وجــدت رجلا تبــدو عليه المهابة، ولكن وجهه مملوء هما وغضبا.

تقــدمت منــه، وقلت: مــا بــال وجهــك قــد كســي بثيــاب الهم والغضب، أفلا كسوته بثياب الفرح والسكينة؟

قال: وأين الفرح والسكينة؟.. ألا ترى قومي وقومك؟

قلت: ما بالهم؟

قال: ضيعوا وصايا الرب.. وامتلأوا بعبودية الشياطين..

قلت: فهلا صحت فيهم، وأنكرت عليهم؟

قــال: لقــد صــحت فيهم كمــا صــاح إشــعيا في بــني إســرائيل.. لكنهم لم يسمعوا لي.. ولم يستجيبوا لي.

قلت: فهلا عــدلت من التشــديد إلى التيســير، ومن الإنــذار إلى التبشير؟

قال: لقد بشرتهم بكل ما بشر به النــبي إشــعيا.. ولكــني أراهم يلوون أعناقهم، ويصمون آذانهم، ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوني، ولا يسمعوا إشعيا الذي ينطق بلساني.

قلت: أرى أن لك مع إشعيا صلة.. فما سر اهتمامك به؟

قال: لقد كان النور الذي سرت خلفه حتى وصلت إلى شــمس محمد.

قلت: ما تقول يا رجل؟

قال: أنا إشعيا..

قلت: لا أريد اسمك، بل أريد سر علاقتك بإشعيا.

قـال: لقـد كنت من اليهـود.. وكنت أكـثر من قـراءة الكتـاب المقدس بعقلي، لا بما يمليه علي قومي.. فهداني الكتاب المقدس إلى المسيح.. ثم عدت وقرأته من جديد.. وكان أحب الأسـفار إلى نفسي سفر إشعيا.. فاهتديت به إلى النور الذي جاء به محمد.

قلت: لقد كان إشعياء أعظم أنبياء اليهود، وهو صاحب الإنجيـل الخامس كما يرى قومي.. فهل كان هـذا النـبي مبشـرا بمحمـد؟.. نحن لا نراه مبشرا إلا بالمسيح.

قال: بل قل إنه كان مؤرخا لمحمد.. لقد كـانت بشـارته أعظم بشـارة.. وكـانت من الوضـوح بحيث لا تحتـاج أي جهـد عقلي لتفسيرها.

قلت: أنا مسيحي.. بل رجل دين مسـيحي.. ولكـني لا أرى في سفر إشعيا ما تراه.. أنا لا أرى فيه أي بشارة بمحمد.

قال: فاسمع لي.. وتـأدب بين يـدي.. وسـأحدثك بمـا حـدث بـه إشعيا.. لتنهل من منبعه الصافي بعض أشعة شمس محمد.

قلت: اقرأ.. أنا أحب سماع الكتاب المقدس.

بدأ يقرأ بخشوع جعلني أطير إلى ذلك الزمن الذي كان يتحدث فيه إشعيا.. لقد كان في صـوته من القـوة والجمـال والجاذبيـة مـا جعلني أستشعر بأن لهذا الرجل علاقة بإشعيا أكبر من العلاقة التي وصفها لي..

لقد خطر على بالي أنه إشعيا نفسه عاد إلى الدنيا.. ليعيـد إلى سمعي بشارته بمحمد.. ويفسر لي منها ما حاول رجـال الـدين أن يحجبوه عني.

قرأ من سفر (إشعيا 21/ـ 6 – 17): (قال لي السـيد: اذهب أقم الحارس، ليخبر بمـا يـرى، فـرأى ركابـاً أزواج فرسـان، ركـاب

حمير، ركاب جمال، فأصغى إصغاء شديداً، ثم صرخ كأسد: أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً في النهار، وأنا واقف على المحرس كل الليالي، وهوذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان.فأجاب وقال: سقطت، سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض.

يا دياستي وبني بيدري، ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به، وحي من جهة دومة. صرخ إلي صارخ من سعير: يا حارس ما من الليل، يا حارس ما من الليل. قال الحارس: أتى صباح وأيضا ليل، إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالوا، وحي من جهة العرب: ستبيتين في صحاري بلاد العرب يا قوافل الددانيين، فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن وطيس المعركة. لأنه هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وتكون بقية الرماةالأبطال من أبناء قيدار، قلة. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم)

قلت: لقد قرأت هذه النبوءة كثيرة.. لكني لم أتصور أبدا أنها تبشر بمحمد.. فما الذي جعلك تخص بها محمدا؟

قال: أجبني أولا.. إن في هذا النص أسماء لأعلام من بلدان وأشخاص، وهي تيسر تطبيق البشارة.

قلت: ما تقصد بذلك؟

قال: أرأيت لو أن رجلا ذكر لك لغزا، ثم قربه بذكر ما يرتبط به من أسماء أماكن وأشخاص.. ألا يكون بذلك قد يسر لك حل لغزه؟

قلت: أجل..

قال: فهكذا فعل إشعيا.. إن التحريف قد يمس المعاني، ولكنه لا يطيق مس الأسماء.

قلت: فصل لي هذا الإجمال الذي ذكرته.

هجرة النبي:

قـال: لقـد ورد في البشـارة ذكـر لقوافـل الـددانيين(1)، وهي تنسـب هـذه القوافـل إلى وددان، وهي قـرب المدينـة النبويـة المنورة، وهي المدينة التي هاجر إليها محمد.

وفيها يأمر أشعيا أهل تيماء أن يقدموا الشراب والطعام لهارب يهرب من أمام السيوف، ومجيئ الأمر بعد الإخبار عن الوحي الذي يكـون من جهـة بلاد العـرب قرينـة بـأن الهـارب هـو صـاحب ذلـك الوحي الذي يأمر الله أهـل تيمـاء بمناصـرته: (هـاتوا مـاءً لملاقـاة العطشان، يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه)

ألا تعلم أين تقع أرض تيماء(2)؟

قلت: لا.. قرأتها في الكتاب المقدس لكنني لم أهتم بها.. لعلهـا في الشام، فهي المنطقة الجغرافية للكتاب المقدس.

---

1) الديدانيون (דדנים) هى صيغة جمع لكلمة ديدان (דדן) وتنطق فى العبرية ديدانيم، والديدانيون هم سكان منطقة ديدان، وهم العرب القدماء المنحدرين من نسل نوح ﷺ كما ورد فى سفر التكوين (10 : 6 ـ 7)، وأنهم ينتمون أيضا إلى إبراهيم ﷺ من خلال زوجته قطورا (تك 25 : 3). وقد ورد ذكر هؤلاء العرب الديدانيين فى الوثائق الكلدانية والأشورية.

وتقع منطقة ديدان العربية طبقا للخرائط المسيحية الواردة فى الأطالس الكتابية فى جوار منطقة المدينة المنورة، وإن ذهب البعض إلى تحريك مكانها إلى الشمال كما يفعلون دائما، وقالوا بأن ديدان أو دادان هى مدينة العلا فى السعودية حاليا. (انظر: نبي أرض الجنوب)

2).. تيماء (תימא) هو اسم للمنطقة الشمالية الغربية لجزيرة العرب حيث استوطن فيها نسل تيما ابن إسماعيل ﷺ وهذا المكان هو نفسه المكان المسمى بأرض تيماء أو صحراء تيماء الواقعة فى النصف الشمالى الغربى للجزيرة العربية (Teima)، ومن المعلوم بداهة عند الجغرافيين أنَّ المدينة المنورة تقع فى أرض تيماء.

وقد جاء ذكر تيماء فى الوثائق الأكادية والبابلية، وقد وصفتها الوثائق البابلية القديمة بأنها أرض النخيل (Grant of specified palm land) ونجد مثل ذلك الوصف فى قصة إسلام الصحابى الجليل سلمان الفارسى على لسان راهب نصرانى حين أشار لسلمان عن مكان مبعث النبىّ المترقب ظهوره فقال له : (أرض بين حرتين ذات نخل...) فجاء سلمان إلى موطن بعثة النبىّ المترقب ظهوره بيثرب، كما أنه من المعروف فى المراجع العربية القديمة أنَّ تيماء هى وادى القرى من أعمال المدينة المنورة. (انظر: نبي أرض الجنوب)

قال: لا.. إنها مدينة تقع شمال المدينـة، وسـميت كـذلك نسـبة إلى تيما بن إسماعيل، وقد كان يسكنها اليهود لأنهم كانوا يتوقعـون ظهور النبي، وكانوا يقولون لأهل المدينة:(إن نبيا يظهر فينـا نقتلكم به قتل إرم وعاد)

قلت: فـأنت تـرى أن هـذا النص خطـاب لأولئـك اليهـود الـذين استوطنوا تيماء؟

قال: أجل.. أهل يثرب من اليهود الذين هم من أهـل تيمـاء هم المخاطبون في هذا النص.

قلت: أتدري متى خاطب إشعياء اليهود بهذا النص؟

قال: نعم لقد نطـق إشـعيا بهـذا النص في النصـف الأخـير من القرن الثامن قبل الميلاد.

قلت: ولكن من تذكر أنهم خوطبوا بهذا النص لم يولـدوا إلا في القرن السابع من الميلاد، وهو القرن الذي نزل فيه محمـد منطقـة المدينة.

قال: أليست هـذه نبـوءة؟.. بـل هي نبـوءة تكـاد تـؤرخ لهجـرة محمد ﷺ من مكة إلى المدينة.. إن نص النبـوءة يخـبر أن الهـارب هرب ومعه آخرون.. لقد جاء فيها: (فـإنهم من أمـام السـيوف قـد هربوا)

ثم يذكر الوحي الخراب الذي يحـل بمجـد قيـدار بعـد سـنة من هذه الحادثة، ممـا يـدل على أن الهـروب كـان منهم، وأن عقـابهم كان بسبب تلك الحادثة.. لقد جاء في البشارة: (فإنه هكذا قال لي السيد الله : في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار تقل)

ألا تعلم من هو قيدار(1) الذي نصت عليه البشارة؟

---

1) **قيدار** (קדך) معناه الداكن اللون أو أسمر البشرة، وهو اسم علم لأحد أبناء إسماعيل عليه السلام المذكورين فى نصّ التكوين (25 : 13 ـ 14) وهم : (نبايوت بكر

قلت: لقــد ذكــر الكتــاب المقــدس هــذا الاســم.. ففي (ســفر التكــوين 25 :13-18):(وهــذه اســماء بــني اســماعيل باســمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكــر إســماعيل وقيــدار وأدبئيــل ومبســام ومشماع ودومة ومسّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمــة، هــؤلاء هم بنو إسماعيل، وهذه اســماؤهم بــديارهم وحصــونهم اثنــا عشــر رئيســا حســب قبــائلهم، وهــذه ســنو حيــاة اســماعيل، مئــة وســبع وثلاثون سنة.واسلم روحه ومــات وانضــمّ الى قومــه، وســكنوا من حويلة الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو أشور. أمام جميع إخوته نزل)

قال: فــأنت تــرى أن هــذا النص يخــبر أن بــني اســماعيل كــانوا يسكنون في جزيرة العرب.

قلت: أجل..

قال: وقد كان بنو قيدار الذين نصت عليهم البشــارة هم قومــه ﷺ، والذين هرب من بين أيديهم.. لقد كانت مكة الــتي هــاجر منهــا

إسماعيل، و**قيدار**، وأدبئيل، ومِبْسام ومِشماع. و**دومة**، و**مِسَّا**، وحداد، و**تيما**، ويطور، ونافيش، وقِدْمِة)، وكل منهم زعيم لقبيلة من قبائل العرب القاطنة فى المنطقة الواقعة بين حويلة وشور فى اتجاه آشور.

وتطلق أيضا كلمة **قيدار** على العرب القاطنين بمنطقة **فاران بَكَّة**. وتشير إليهم الموسوعات الكتابية بأنهم عرب الشمال تمييزا لهم عن عرب الجنوب اليمنىّ، فيقال عنهم القيداريون. ومنهم جاءت **قبيلة قريش** الشهيرة.

وهناك اعتراف صريح فى الموسوعات الكتابية المسيحية بدين العرب القدماء الذى ورثوه عن آبائهم إبراهيم وإسماعيل وقيدار، وهذا الدين يُطلق عليه الباحثون المسيحيون الغربيون اسم (Pre-Islamic) أى **الإسلام الأوّلى** والذى يُسميه القرآن بدين الإسلام بدون أول أو آخر.

وهم يعترفون بأنَّ هذا الدين الإسلامى الأولى كان له وجود بين عرب الشمال القيداريين فى الفترة الواقعة بين سنة 1200 ق م وإلى توقيت ظهور رسالة الإسلام من مكة المكرمة.

وقد وردت اشارات تاريخية عن بنى قيدار ـ القيداريون ـ فى التراث الأشورى المكتشف حديثا، تثبت أنه كان للقيداريين قوة ورهبة يعمل لها المناوئون على تفاديها (وثائق أشور بانيبال 632 ـ 668 ق م). وهناك أيضا بعض الوثائق المصرية المكتوبة بالآرامية فى القرن الخامس قبل الميلاد تشير إلى الملك العربى جشيم (Geshem) والذى تقول عنه موسوعة زندرفان الكتابية أنه هو المذكور فى سفر نحميا (2 : 19 ؛ 6 : 1 ـ 6) وهو ملك بنى قيدار. (انظر: نبي أرض الجنوب)

محمد ﷺ هي أرض بني قيدار قريش، الذين كانوا قد عينوا من كل بطن من بطونهم شاباً جلداً ليجتمعوا لقتل محمد ﷺ ليلة هجرتـه.. فجـاء الشـباب ومعهم أسـلحتهم، فخـرج الرسـول مهـاجراً هاربـاً، فتعقبته قريش بسيوفها وقسيها.

إن البشارة تنص على ذلك بكل صراحة ووضوح.. اسمع معي.. (فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمـام السـيف المسـلول، ومن أمام القوس المشدودة)

إن شـئت أن تتأكـد من ذلـك فـاذهب إلى الكتب الكثـيرة ذات الأسانيد الصحيحة التي أرخت لحياة محمد ﷺ..

اذهب إلى سيرة ابن هشام.. واسـمع لمـا يقـول ابن إسـحق.. والذي اتفق معه على نقل ذلك الكثير من العدول..

لقد ذكر كما ذكر غيره أنه لما رأت قـريش أن رسـول اللـه ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلـدهم، ورأوا خـروج أصحابه من المهـاجرين إليهم عرفـوا أنهم قـد نزلـوا دارا، وأصـابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسـول اللـه ﷺ إليهم وعرفـوا أنهم قـد أجمـع لحـربهم، فـاجتمعوا لـه في دارالنـدوة ــ وهي دار قصـي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ـ يتشاورون فيهـا مـا يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

وقد ذكر ابن إسحاق ناقلا عن عن عبد اللـه بن عبـاس صـاحب محمد ﷺ أنهم لما أجمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا في دار النــدوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الـذي اتعـدوا له، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليـه بتلـة، فوقـف على باب الدار، فلما رأوه واقفا على بابها قالوا: من الشيخ، قـال: شـيخ من أهـل نجـد سـمع بالـذي اتعـدتم لـه فحضـر معكم ليسـمع مـا تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحاً، قالوا: أجل.. فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قـريش.. فقـال بعضـهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا واللـه مـا نأمنـه على

الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا.

فقال قائل منهم: احبسـوه في الحديـد، وأغلقـوا عليـه بابـا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الـذين كـانوا قبلـه زهـيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم.

فقـال الشـيخ النجـدي: لا واللـه مـا هـذا لكم بـرأي، واللـه لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمـره من وراء البـاب الـذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هـذا لكم بـرأي فـانظروا في غيره.

فتشاوروا ثم قال قائـل منهم: نخرجـه من بين أظهرنـا، فننفيـه من بلادنا فإذا أخرج عنا فو الله مـا نبـالي أين ذهب، ولا حيث وقـع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسـن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، واللـه لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حـتى يطأكم بهم في بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعـل بكم مـا أراد.. دبروا فيه رأيا غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام ـ وهو أعدى أعداء محمد ـ : واللـه إن لي فيه لريا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسـيباً وسـيطاً فينـا، ثم نعطي كـل فـتى منهم سـيفاً صـارماً، ثم يعمـدوا إليـه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلـوه، فنسـتريح منـه، فـإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنـو عبـد منـاف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فقلناه لهم.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل.. هذا الرأي الــذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

وقد أوردت الأخبار بأسانيد الثقاة أن جبريل ﷺ أتى محمـدا ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.. فلمــا كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبــون عليه، فلما رأى رسول اللـه ﷺ مكـانهم قـال لعلي بن أبي طـالب: (نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضـر)، فنم فيــه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم.

فلما أجتمعوا لما دبروه، وفيهم أبو جهل، فقال وهم على بابــه: إن محمدا يزعم أنكم إن تـابعتموه على أمـره كنتم ملـوك العـرب والعجم، ثم بعثتم من من بعـد مـوتكم، فجعلت لكم جنـان كضـنان الأردن وإن لم تفعلوا كان لـه فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعـد مـوتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها.

فخرج عليهم رسول الله ﷺ ـ وهم يتحدثون بمثل ذلك ــ فأخــذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: (أنا أقول ذلك أنت أحدهم)، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونـه فجعـل ينـثر ذلـك الـتراب على رؤوسهم، وهو يتلو آيات من سورة يس.

ولم يكتفوا بهذا التدبير، بل تعقبوه ﷺ ليقتلوه.. والروايات بذلك متواترة لا شك في ثبوتها.. بل إن القرآن الكريم أثبت ذلـك.. فقــد جاء فيه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (لأنفال:30)

ثم التفت إلي، وقال: إن شئت أن تتأكـد من هـذا، فـاذهب إلى الأسفار الكثيرة الممتلئة بالأسانيد الموثوقة لتخبرك بصدقه.

قلت: أنا لا أكذب ما ذكر من ذلـك في السـيرة.. ولكـني أشـك في انطباق ذلك على محمد.

قال: هو ذا التاريخ أمامك.. فهل هناك نبي هـاجر من مكـة إلى

المدينة، واستقبله أهل تيماء غير محمد؟

وهل نزل وحي في بلاد العرب غير القرآن؟

نصر النبي:

قال: ثم إن النبوءة تنص على أبناء قيدار الذين هم قوم محمد ﷺ قد نزلت بهم العقوبة الإلهية بعد مدة وجيزة من هجرة محمد ﷺ.. لقد ورد في النبوءة: (كما قال لي الله : في مدة سنة كسنة الأجير، يفنى كل مجد قيدار، وبقية عدد قسي أبطال بني قيدار)

لقد حصل كل ما أخبرت به هذه النبوءة، فبعد سنة ونيف من هجرة محمد ﷺ وقعت غزوة بدر.. وكانت هزيمة نكراء أذهبت مجد قريش، وقتلت كثيرا من أبطالهم الذين بارزوا محمدا ﷺ الحرب..

اقرأ ما في التاريخ الموثق بأدق الأسانيد ليخبرك بذلك.. بل قد أرخ الكتاب المقدس.. عهد الله الأخير للبشرية لذلك، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران:123)

بل إن الله تعالى يسمي واقعة بدر بيوم الفرقان، لتفريقها بين الحق والباطل، كما قال تعالى:﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (الأنفال:41 ـ 42)

وقد تنبأ القرآن الكريم بهذه الهزيمة المنكرة التي فرقت الحق عن الباطل، قبل ذلك، في الفترة التي كان فيها المسلمون مضطهدين، فقد نزل حينها قوله تعالى:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ

الدُّبُرَ (القمر:45)

التفت إلي، وقال: اذهب إلى الأسانيد.. فهي تخبرك بكل ذلــك، وبأكثر من ذلك.. ثم عد إلى البشارة لتسمع إشعيا يصـيح في يهـود تيمــاء، ليؤكــد لهم وقــوع هــذه النبــوءة، ويقــول: (لأن الــرب إلــه إسرائيل قد تكلم)

ثم اذهب إلى التــاريخ.. وابحث هــل حصــلت أي هزيمــة لبــني قيدار على يد نبي غير هذه الهزيمة.

إن هذه البشارة نص صريح لا يمكن انطباقه إلا على محمد ﷺ، بل لا يمكن انطباقه إلا على حادث هجرته، ومحل هجرته..

ولــو شــئت أن تــذهب لكتب التــاريخ لتبحث عن ســر هجــرة الإسرائيليين لتلك المنطقة لوجـدت انتظـارهم للنـبي الموعـود هـو السر الأكبر لذلك.. وقد نص القرآن الكريم على ذلك، فقال تعالى: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَـا مَعَهُمْ وَكَـانُوا مِنْ قَبْـلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَـرُوا بِـهِ فَلَعْنَـةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقرة:89)

إن هـذه الآيـة تنص على أن اليهـود كـانوا من قبـل مجيء هـذا الرســول بهــذا الكتــاب يستنصــرون بمجيئــه على أعــدائهم من المشــركين إذا قــاتلوهم، وقــد نقــل لنــا المؤرخــون ــ بالأســانيد الصـحيحة ــ أقـوالهم الدالـة على ذلـك.. فقـد كـانوا يقولـون: إنـه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وقد نقل بعضهم شهادة عنه في ذلك، فقال: فينا واللــه، وفيهم ـ يعني في الأنصاروفي اليهود الـذين كـانوا جـيرانهم ــ نـزلت هـذه الآية ـ يقصد الاية السابقة ـ

ثم ذكر شهادته في ذلك، فقال: كنـا قـد علونـاهم (1) دهـرًا في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهـل كتـاب، فكـانوا يقولـون: (إن

1) انتصرنا عليهم.

نبيًا من الأنبياء يبعث الآن نتبعه، قد أظل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم)، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه كفروا به.. فذلك قوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (النساء : 155)

وقد ذكر المؤرخون بعض المحاجة التي أقامها أهل المدينة على جيرانهم من اليهود، فذكروا أن معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن مَعْرُور، قالا: (يامعشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفُونه لنا بصفته)، فقال سَلام بن مِشْكم أخو بني النضير: (ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله في ذلك من قولهم : وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (البقرة:89)[1]

وجدت الفرصة سانحة لأرد عليه، فقلت: فهاهم أحبار اليهود، وهم علماء بالكتاب لم يجدوه كما في كتبهم.. ولو وجدوه كذلك لاتبعوه.

قال: ألا تعرف اليهود؟.. أنتم تذكرون في كتبكم أن المسيح مبشر به في كتب الأنبياء التي يتداولها اليهود.. فهل رأيت أحدا من رجال الدين اليهودي اتبع المسيح؟

إنكم تذكرون أن أول من وقف في وجهه هم أولئك الرجال الذين كانوا رعاة الكتاب المقدس.. فهل يستدل أحد من الناس بتكذيبهم على تكذيب المسيح؟

ومع ذلك.. فإن محمدا ﷺ قد اتبعه كثير من كبار رجال الدين اليهود بعد أن عاينوا صدق العلامات التي وردت في كتبهم.

ارجع إلى كتب التاريخ لتخبرك بذلك.. وساقص عليك منها ما

---

1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (1/547) وتفسير الطبري (2/233).

قد يقنعك:

لقد رووا بأسانيد موثوقة حديث إسلام عبد الله بن سـلام، وقـد كان حبراً عالماً من علماء اليهود.. اسمع إليه، وهو يحدث بحديثــه.. قال: لما سـمعت برسـول اللـه ﷺ عـرفت صـفته واسـمه وزمانـه الذي كنا نتوكـف لـه، فكنت مسـراً لـذلك صـامتاً عليـه حـتى قـدم رسول الله ﷺ المدينة فلمـا نـزل بقبـاء في بـني عمـرو بن عـوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلـة لي أعمـل فيهـا، وعمتي خالـدة ابنـة الحـارث جالسـة، فلمـا سـمعت الخـبر بقـدوم رسـول اللـه ﷺ كـبرت فقـالت لي عمـتي حين سـمعت تكبـيري: (خيبك الله.. والله لو كنت سـمعت بموسـى بن عمـران قادمـا مـا زدت) قال: فقلت لها: (أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمــران، وعلى دينـه، بعث بمـا بعث بـه) فقـالت: (أي بن أخي.. أهـو النـبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس السـاعة) قـال: فقلت لهـا: (نعم) قـال فقـالت:(فـذاك إذا) قـال: ثم خـرجت إلى رسـول اللـه ﷺ ،فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

ألا تـرى في هـذه الروايـة كيـف تحـدثت عمتـه عن هـذا النـبي المزمع أن يرسـل.. إن هـذا يـدل على أنـه حـديث شـائع معـروف بينهم.

نفس القصة تخبرك عن تعنت اليهود.. اسمع إليه، وهو يخــبرك عن موقف قومه من اليهود.. قـال: وكتمت إسـلامي من يهـود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسـول اللـه إن يهـود قـوم بهت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبـني عنهم، ثم تسـألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلمـوا بإسـلامي، فـإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني)، قال: فأدخلني رسـول اللـه ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: (أي رجل الحصــين بن سـلام فيكم ؟) قــالوا: (ســيدنا وابن ســيدنا وحبرنــا وعالمنا) قال: فلما فرغـوا من قـولهم، خـرجت عليهم، فقلت لهم: (يا معشر يهـود.. اتقـوا اللـه، واقبلـوا مـا جـاءكم بـه، فواللـه إنكم

لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسـمه وصـفته، فـإني أشـهد أنـه رسـول اللـه ﷺ، وأومن بـه وأصـدقه وأعرفه)، فقالوا: كذبت، ثم واقعوا بي، قـال: فقلت لرسـول اللـه ﷺ:(ألم أخبرك يـا رسـول اللـه أنهم قـوم بهت، أهـل غـدر وكـذب وفجـور)، قـال: فـأظهرت إسـلامي وإسـلام أهـل بيـتي، وأسـلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها.

ليس هذا فقط.. هناك الكثير ممن نصر محمـدا، أو أسـلم على يديه بسبب هذه البشارات.. فهذا مخيريق.. وقد كان حـبراً عالمـا.. وكان رجلاً غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمـه، وغلب عليـه إلـف دينـه، فلم يـزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحـد يـوم السـبت، قـال: (يـا معشـر يهـود.. واللـه إنكم لتعلمـون أن نصـر محمـد عليكم لحـق) قالوا: (إن اليوم يوم السبت)، قال: (لا سبت لكم)، ثم أخذ سلاحه، فخـرج حـتى أتى رسـول اللـه ﷺ بأحـد، وعهـد إليـه من وراءه من قومه، إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمـد ﷺ يصـنع فيهـا مـا أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ يقول: (مخيريق خير يهود)، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صـدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

وتنقل لنا صفية، وهي اليهوديـة الـتي تزوجهـا رسـول اللـه ﷺ، معرفة اليهود بصدقه ﷺ، ووقوف الكبر والحسد بينهم وبني اتباعه، فقالت: كنت أحب ولد أبي إليـه، وإلى عمي أبي ياسـر.. م ألقهمـا قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غـدا عليـه أبي حـيي بن أخطب وعمي أبـو ياسـر بن أخطب مغلسـين، فلم يرجعـا حـتى كانـا مـع غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين سـاقطين يمشـيان الهويـنى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحـد منهمـا مع ما بهما من الغم.. وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حـيي بن أخطب: (أهو هو ؟)، قال: (نعم والله) قـال: (أتعرفـه وتثبتـه ؟) قال: (نعم)، قال: (فما في نفسك منه ؟) قـال: (عداوتـه واللـه مـا

بقيت)

وينقل لنا سلمة بن سلامة، وكـان من أهـل بـدر، شـهادته على ذلك، فيقول: كان لنا جار يهودي في بني عبد الأشهل، فخرج علينـا يومًا من بيته قبل مبعث رسـول اللـه ﷺ بيسـير، حـتى وقـف على مجلس بني عبد الأشهل..وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنًّا على بردة مضـطجعًا فيهـا بفنـاءٍ أصـلي، فـذكر البعث والقيامـة والحسـنات والميزان والجنة والنـار، قـال ذلـك لأهـل شـرك أصـحاب أوثـان لا يرون بعثًا كائنًا بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان، ترى هذا كائنـا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيهـا جنـة ونـار، يجـزون فيهـا بأعمالهم؟ فقال: نعم، والذي يحلف به، لود أن لـه بحظـه من تلـك النار أعظم تنور في الـدنيا يحمونـه، ثم يدخلونـه إيـاه، فيطبـق بـه عليه، وأن ينجو من تلك النار غدًا. قالوا لـه: ويحـك ومـا آيـة ذلـك؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيـده نحـو مكـة واليمن، قالوا: ومـتى نـراه؟.. فنظـر إليّ وأنـا من أحـدثهم سـنًّا، فقـال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: (فوالله ما ذهب الليـل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ، وهو بين أظهرنا، فآمنا بـه وكفـر به بغيًا وحسدًا)، فقلنا: ويلك يا فلان، ألست بالذي قلت لنـا؟ قـال: بلى وليس به(1).

لقد وقف الحسد حائلا بينهم وبين محمد ﷺ كمـا وقـف ــ قبـل ذلك ـ حائلا بينهم وبين المسـيح.. فلا تكونـوا كـاليهود.. وابحثـوا عن محمد ﷺ في أسفار الأنبياء.. وفي أسفار التاريخ.

قلت: لقد ذكرت أسماء أعلام كثيرة لا أجادلك فيهـا.. ولكن من أخبرك أنها تتنبأ عن بلاد العرب.. ألا يمكن أن تكون هـذه النبـوءات عن الهند والصين.. إن ذلك يستدعي بحثا آخر أوسع.

ابتسم، وقال: ألم تقرأ الكتاب المقدس؟

قلت: بلى.. أنا رجل دين.. ألا ترى ثيابي؟

1) رواه أحمد.

قال: ألم تقرأ قوله في النبوءة: (وحي من جهة العرب) وقولـه فيها:(سَتَبِيتِينَ فِي صَحَارِي بِلاَدِ الْعَرَبِ يَا قَوَافِلَ الدَّدَانِيِّينَ)؟

استحييت من سؤالي.. لقد كان نص البشارة واضحا لا يحتمل أي تأويل، سألت نفسي عن سر ترك اليهود لهذه البشارة مع وضوحها، فقال ـ وكأنه قرأ ما في نفسي ــ : ألا تقولون بأنه لا يمكن أن تتم جريمة كاملة؟

قلت: ما تقصد؟

قال: إن المجرم عادة يترك خلفه ما يدل على جريمته.. هذا في الجرائم البسيطة.. فكيف بالجريمة العظمى التي تريد أن تحجب أعظم شمس أطلت على البشر؟

إن الله حفظ من نصوص الكتاب المقدس ما يحفظ هذه النبوءات لتبقى حجة على العالمين.

ثم، التفت إلي، وقال: عادة قومك أن يلصقوا كل البشارات بالمسيح، فكيف تعاملوا مع هذه البشارة؟

صمت، فقال: لقد كنت مسيحيا.. لقد رأيتهم لا يجرؤون على الاقتراب منها.. بل رأيتهم لو استطاعوا أن يحذفوها من الكتاب المقدس لفعلوا.

صمت قليلا، ثم قال: سأترك هذه البشارة لعقلك.. ولكل ما تملك من أدوات البحث لتتحقق مما ورد فيها.. وسأنتقل بك إلى بشارة أخرى من بشارات إشعيا العظيم.

وسأترك قراءتها لك.. خذ الكتاب المقدس.. واقرأ لي من سفر إشعياء (42 : 1- 25)

أعطاني الكتاب المقدس، ففتحت الكتاب على الموضع الذي حدده لي، فقرأت: (هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا

يرفـع ولا يسـمع في الشـارع صـوته، قصـبة مرضوضـة لا يقصـف وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحـق، لا يكـل ولا ينكسـر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائـر شـريعته، هكـذا يقـول الله الرب خالق السموات وناشرها باسـط الأرض ونتائجهـا معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحـا.. أنـا الـرب قـد دعوتـك بالبر فامسك بيدك واحفظـك واجعلـك عهـدا للشـعب ونـورا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة.. أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخـبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها.. غنوا للرب أغنية جديدة تسـبيحه من أقصى الارض أيها المنحدرون في البحر وملـؤه والجزائـر وسـكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيـدار لتـترنم سـكان سـالع من رؤوس الجبـال ليهتفـوا ليعطـوا الـرب مجـدا ويخـبروا بتسـبيحه في الجزائـر الـرب كالجبـار يخـرج كرجـل حـروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صمت منذ الدهر سكت تجلـدت كالوالـدة أصـيح أنفخ وأنخـر معـا أخـرب الجبـال والآكـام وأجفف كل عشـبها وأجعـل الأنهـار يبسـا وأنشـف الآجـام وأسـير العمي في طريــق لم يعرفوهـا في مسـالك لم يـدروها أمشـيهم أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتـركهم قـد ارتـدوا إلى الـوراء يخـزى خزيـا المتكلـون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتنّ آلهتنا أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظـروا لتبصـروا من هـو أعمى إلا عبـدي وأصـم كرسـولي الذي أرسله من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب نـاظر كثـيرا ولا تلاحظ.مفتـوح الأذنين ولا يسـمع الـرب قـد سـرّ من أجـل بـره يعظّم الشريعة ويكرمها)

ما وصلت إلى هذا الموضع، حتى قال لي: حسبك.

التفت إليه، فـإذا بعينـاه تكـادان تفيضـان من الـدمع، قلت: مـا الذي يبكيك؟

قال: لقد كانت هذه البشارة هي طريقي إلى محمد.. ذات يوم من أيــام اللــه لا أزال أذكــره جيــدا.. كنت فــارغ القلب من كــل سلطان.. لم يكن لي أخ توأم كما كان لسائر النـاس.. ولم تكن لي معشـوقة تملأ قلـبي كمـا كـان لأكـثر الشـباب.. ولم يكن لي ولـد أنشغل برزقه كما كان أكثر الآباء..

جلسـت في ذلـك اليـوم في مـرج من المـروج.. وكـان معي الكتاب المقدس، وفتحته على هـذا النص.. وحينهـا لم يخطـر على بالي إلا محمد.. كنت أسمع به.. ولكني الحجب كـانت تحـول بيـني وبينه.. وفي تلك اللحظة قرأت محمـدا في كـل كلمـة من كلمـات إشعيا.. لقد كانت كلمات إشعيا هي الحـروف الـتي رسـمت اسـم محمـد في عقلي وقلـبي.. ومن ذلـك اليـوم وأنـا أمتلئ بأشـواق لا تستطيع كتب الدنيا جميعا أن تصفها.

كان يتحدث بروحانية عميقة.. أشعر بلـذتها، ولكـني لا أسـتطيع تفسيرها، سألته: حدثني عن البشارة، وما قرأت منها.

قال: إن هذه البشارة تتحدث عنه.. تتحدث عن شمس محمد.. إن كل حرف يصفه وصفا دقيقا لا يصدق إلا عليه.

قلت: فحدثني عن هذه البشارة كما حدثتني عن غيرها.

قال: يتكلم الله تعالى في هـذه النبـوءة ــ على لسـان إشـعيا ـ عن صـفات العبـد الرسـول الـذي سيرسـله من ديـار قيـدار بن اسماعيل في جزيرة العرب ليجعله نورا للعالم.. فهو رسول صادق يوحى إليه من الله، سيأتي بشريعة جديـدة غـير شـريعة موسـى.. وسيحفظه الله من أعدائه.. وسيأمر اللـه عبـاده حينئـذ بـالحج إلى بيته.. وبالأذان في كل مكان.. وسـيأمره بالجهـاد.. وسينصـره اللـه على عابدي الأوثان.. وسيخرج بالناس من الظلمات إلى النور.. ثم يتكلم الحق سبحانه وتعالى بصفات لاتنطبق إلا على عبـد ورسـوله محمدا.. فيذكر أنه كان غافلا وضالا فهداه اللـه، وهـذا العبـد يكـرم شريعة الله ولذلك فإن الله يحبه..

قلت: أكل هذا تنص عليه البشارة؟

قال: أجل ..

قلت: أنا وقومي لا نلاحظ ذلك.

قال: فاقرأوا الكتاب المقدس بعين الحقيقة لا بعين الهوى.. وسيكون دليلكم إلى محمد.

قلت: فاقرأ لي أنت ما قرأت.. أو فسر لي ما فهمت.

رسالة النبي:

قال: أول النبوءة :(هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرّت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للامم)

إن هذا الوصف مع ما بعده لا ينطبق إلا على محمد ﷺ، فهو عبد لله الذي سيختاره، وهو عنه راض.. ليخرج به الأمم من الظلمات إلى النور.

قلت: ولكن لم لا نقول بانطباق هذا النص على المسيح؟

قال: المسيح ومحمد أخوان.. ولكن هذا النص لا ينطبق إلا على محمد ﷺ.. ألستم تعتبرون المسيح ابنا لله، أو مساويا لله؟.. أما هذا الموصوف هنا، فهو عبد الله ومختاره ليس إلها، ولا ابن إله؟

ثم.. ألست تقرأ في الكتاب المقدس أن المسيح أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضالة.. أما هذا النبي، فهو يصرح من أول يوم بأن رسالته عامة للبشر جميعا؟

لقد قال الله عن رسالته :﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة:16)، وقال عنها :﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدِ (ابراهيم:1)

قلت: ولكن كل الأنبياء كانت هذه وظيفتهم؟

قال: أجل.. ولكن الفرق بينهم وبين محمد ﷺ في هذا يتمثل في عموم رسالته، وخصوص رسائلهم، لقد ذكر الله عموم إخراج محمد للبشر جميعا من الظلمات إلى النور، لكنه لما ذكر موسى ؈ قال : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآياتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (ابراهيم:5)

سمت النبي:

قلت: فقد ورد في وصفه:(لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته) وهذا ينطبق على المسيح، فقد كان هينا لينا سهلا.

قال: وينطبق على محمد ﷺ بأسانيد أصرح وأوثق وأكثر، فقد اتفق أصحابه الكثيرون الذين لازموه على وصف كلامه ﷺ وسكوته وضحكه وبكائه.. فذكروا أنه (أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ويسبي الأرواح ويشهد له بذلك أعداؤه، وكان إذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام، بل هديه فيه أكمل الهدي..وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه، وكان إذا سلم سلم ثلاثا، وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام، فصل لا فضول ولا تقصير، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، وإذا كره الشيء عرف في وجهه، ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا، وكان جل ضحكه التبسم، بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه، وكان يضحك مما يضحك منه وهو مما

يتعجب من مثله، ويستغرب وقوعه ويستندر)[1]

ومثل هذا كان بكاؤه ﷺ، فقد (كـان من جنس ضـحكه، لم يكن بشهيق ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تـدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز)

ومما يدلك على انطباق هـذا الوصـف على رسـول اللـه ﷺ أن أهل الكتاب ذكروا هذه الصفات عنـه في كتبهم، وأقـروا بانطباقهـا عليه، وقد روي من ذلك عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبـد اللـه بن عمـرو فقلت: أخـبرني عن صـفة رسـول اللـه ﷺ في التـوراة. قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة كصفته في القـرآن: (يـا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشـرًا ونـذيرًا وحـرزًا للأمـيين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صـخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السـيئة، ولكن يعفـو ويصـفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بـأن يقولـوا: لا إلـه إلا اللـه ويفتح به قلوبا غُلفا، وآذانًا صمًا، وأعينًا عميًا)[2]

بل إن رسول الله ﷺ وصف حديثه، فقال: (إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به، وإذا سـمعتم الحـديث عـني تنكـره قلـوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنـا أبعـدكم منه)[3]

ووصفه علي، وهو أحد أصحابه وآل بيته، فقال: (إذا حـدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا، فظنوا به الـذي هـو أهـدى، والـذي هـو أهنـا، والذي هو أنجي، والذي هو أتقى)

هذا عن صفة محمد، أما المسيح فأنتم تروون عنـه في (مـتى:

---

1) زاد المعـاد: 1/174، انظـر التفاصـيل الكثـيرة المرتبطـة بهـذا في رسـالة (النـبي الإنسان) من هذه السلسلة.

2) رواه البخاري.

3) رواه أحمد.

27/46):(ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني) وفي (متى: 27/50):(فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح)، وفي (لوقا:23/46): (ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي)

ثبات النبي:

قلت: فقد ورد في البشارة قوله: (قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته)

قال: وهذا لا ينطبق إلى على محمد ﷺ.. فقد كان له من الثبات ما يزعزع الجبال.. لقد حاول أعداؤه الكثيرون ثنيه عن دعوته بكل الوسائل، فلم يتزحزح، ولم ينثن.

اذهب إلى الكتب الكثيرة ذات الأسانيد العالية لتخبرك عن ثباته في وجه كل الأعاصير التي اعترضته[1]:

لقد استعمل أعداؤه وسيلة الأذى له ولأصحابه، فلم يجدهم ذلك شيئا.. ولقد امتد بهم الأذى حتى ألقوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد بين يدي الله في البيت الحرام.

وحُوصِر ﷺ في شعب أبي طالب مع بني هاشم وبني المطلب حتى سُمع صوت صبيانهم ونسائهم يتضاغون جوعاً وطعامهم الأوراق والجلود.. فما صده ذلك عن دينه.

وعندما رأت قريش صلابته مع أنواع الأذى التي كانت تكيلها له جربت أساليب أخرى، فأرسلت عتبة بن ربيعة ـ وهو رجل رزين هادىء ـ فذهب إلى رسول الله ﷺ يقول: (يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك

1) انظر رسالة (معجزات حسية) من هذه السلسلة.

تقبل بعضها:

إن كنت إنما تريد بهذا الأمـر مـالاً جمعنـا لـك من أموالنـا حـتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الـذي يأتيـك رئياً تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك، طلبنـا لـك الطب، وبـذلنا فيـه أموالنا حتى تبرأ)

فلما فرغ من قوله تلا رسول الله ﷺ عليه صدر سورة فصِّـلت من قوله تعـالى: حم تَنزِيـلٌ مِنْ الرَّحْمَـانِ الـرَّحِيمِ. كِتَـابٌ فُصِّـلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا فَـأَعْرَضَ أَكْثَـرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَـا وَقْـرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ قُلْ إِنَّمَا أَنَـا بَشَـرٌ مِثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوه ُوَوَيْلٌ لِلْمُشْـرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَهُمْ بِـالْآخِرَةِ هُمْ كَـافِرُونَ (فصـلت:1 ـ 7) حتى وصل إلى قوله تعالى: فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُـلْ أَنْـذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (فصلت:13)

ما إن سمع عتبـة إلى هـذه الآيـات حـتى وضـع يـده على جنبـه وقام كأن الصواعق ستلاحقه، وعاد إلى قريش يقترح عليها أن تدع محمداً وشأنه!!

وأرسلوا وفدا إلى أبي طالب، يقولون له: (يا أبا طـالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلَّل آباءنا، فإمـا أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليـه من خلافـه)، فقـال لهم أبـو طـالب قـولاً جميلاً، وردَّهم ردّاً رفيقـاً فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ بمـا هـو عليـه، ثم استشـرى الأمـر بينـه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا، وأكـثرت قـريش ذكـر رسـول الله ﷺ، وتآمروا فيه فمشَوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقـالوا: (يـا أبا طالب إن لك فينا سِنّاً وشرفاً، وإنـا قـد اسـتنهيناك أن تنهي ابن

أخيك فلم تفعل، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك؛ إلى أن يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا عنه)

وعندما ذكر أبو طالب لرسول الله ﷺ ما ذكروا له قال له: (يا عماه، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)، ثم بكى رسول الله ﷺ وقام، فلما ولّى ناداه عمه أبو طالب فأقبل عليه وقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً، وأنشد:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسَّد في التراب دفينا

وهكذا خفقت كل وسائل قريش في إعاقة دعوة النبي ﷺ.

وظل الأمر هكذا إلى نهاية دعوته ﷺ يخطط له أعداؤه بكل ما أوتوا من مكر، فيواجههم بكل ما أوتي من ثبات.. وكان الله ينصره عليهم في كل حين، وفي كل محل.

أما المسيح عليه السلام، فأنتم تروون شكواه إلى ربه وهربه وخوفه، وأنتم ـ بعد ذلك ـ تعلمون أن أتباعه تفرقوا عنه، بل لم يزل أمر المسيحية مغلوباً حتى زمن قسطنطين الوثني الذي لم يرض عن المسيحية، ولم يقم بنشرها إلا بعد أن أرضت ميوله الوثنية التي ورثها من أسلافه.

بينما لم يخضع محمد ﷺ إلى أي مساومات في حياته جميعا.. بل آثر التضحية في سبيل نقاء دعوته وصفائها.

شريعة النبي:

لم أدر إلا وأنا أقول: لقد جاء في البشارة: (وتنتظر الجزائر شريعته، هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا)

قـال: وهـذا الجـزء من البشـارة لا ينطبـق إلا على محمـد ﷺ.. فهي تخبر عن أمرين كلاهما لا ينطبقان على المســيح، ولا على أي نبي بعد إشعيا.

أما الأول، فهو عن عموم شريعته جميع الأرض، وهذا لا ينطبــق على رسالة أي رسول من الرسل.

والثاني، أنه يأتي بشريعة جديـدة، كمـا ورد في نفس البشـارة: (غنوا للرب أغنية جديدة) وهذا لا ينطبق إلا على محمــد ﷺ.. فكــل الأنبياء الذين تلوا موسـى جـاءوا بشـريعة موسـى، حـتى المسـيح، فأنتم تروون قوله:(لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بــل لأكمــل)(مـتى 17:5).. فشـريعة المسـيح كـانت شريعة موسى عينها.

أما بولس ـ الذين تزعمون تجديده لشريعة موسى ـ فإنــه، وإن أبطل الشريعة الموسوية إلا أنه لم يثبت للمسيح شريعة غيرها، بل عوض أتباعه بالنعمة فقط.

أما محمد ﷺ، فقد جاء بالشريعة الكاملة الخاتمة التي تعبر عن مراضي الله في كل الشئون، وقد قال تعالى مخبرا عن اكتمالها : ﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَـوْهُمْ وَاخْشَـوْنِ الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة: 3)

وأخبر عن شمول هذه الشريعة كل تفاصـيل الحيـاة وفروعهـا، فقال :﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ﴾ (الأنعام:162)

وأخــبر تعـالى أن هــذه الشــريعة مهيمنــة على ســائر الشــرائع وناسخة لها، فقال :﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِـعْ أَهْـوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِـرْعَةً وَمِنْهَاجـاً وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى

اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (المائدة:48)

ولهذا أخبر أنه لا يقبل إلا الإسلام، فقال تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران:85)

الإنقاذ:

لم أدر إلا وأنا أقرأ: (أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة)

قال: وهذا الجزء لا ينطبق إلا على رسول الله ﷺ.. فهي الدعوة الوحيدة من دعوات الأنبياء التي حققت ذلك النصر الذي لم يحققه أي نبي من الأنبياء..

لقد امتدت دعوة محمد ﷺ في فترة قصيرة إلى أكثر بقاع الأرض، لتفك أسر المأسورين، وتحرر الشعوب المستضعفة بالقوة والتضحية.. لقد ورد في القرآن الكريم الدعوة الصريحة إلى هذا، فقد ورد فيه قوله تعالى: وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً (النساء:75)

إن هذه الاية تكاد تنطق بما نطقت به تلك البشارة.. إنها تخبر عن غرض مهم من أغراض رسالة محمد ﷺ لم يصرح به أي نبي من الأنبياء.. إن غرضها هو إنقاذ البشرية.. البشرية جميعا.. لا خراف بني إسرائيل وحدها.

وقد تحقق هذا في أجلى صوره.. والتاريخ يثبت ذلك:

لقد أنقذ المسلمون المستضعفين من جميع الأديان من القيود

التي كان الطواغيت يقيدونهم بها..

ولن أنقل لك هنا شهادات المسلمين، فقد لا تعـترف بهـا.. بـل سأنقل لك بعض شهادات بني قومك التي تؤكد لك هذه البشارة:

يقـول ول ديـورانت:(وكـان اليهـود في بلاد الشـرق الأدنى قـد رحبـوا بـالعرب الـذين حـرروهم من ظلم حكـامهم السـابقين.. وأصـبحوا يتمتعـون بكامـل الحريـة في حيـاتهم وممارسـة شـعائر دينهم.. وكـان المسـيحيون أحـراراً في الاحتفـال بأعيـادهم علنـاً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين.. وأصبح المسيحيون الخـارجون على كنيسـة الدولـة البيزنطية، الذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يـد بطاركـة القسطنطينية وأورشليم والاسـكندرية وإنطاكيـا، أصـبح هـؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين)

ويقول:(لقد كان أهل الذمة، المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظـيراً في البلاد المسـيحية في هـذه الأيـام، فلقـد كـانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم)

ويقول توماس آرنولد: (لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضـطهاد منظم قصـد منه استئصال الدين المسيحي)

وينقل معرب (حضارة العرب) قول روبرتسن في كتابه (تـاريخ شارلكن):(إن المسلمين وحدهم الذين جمعـوا بين الغـيرة لـدينهم وروح التسـامح نحـو أتبـاع الأديـان الأخـرى، وإنهم مـع امتشـاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا مَن لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسـك بتعاليمهم الدينية)

وينقل عن الراهب ميشود في كتابه (رحلـة دينيـة في الشـرق) قولـــه: (ومن المؤســـف أن تقتبس الشـــعوب النصـــرانية من المسـلمين التسـامح، الـذي هـو آيـة الإحسـان بين الأمم واحـترام

عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة)

وينقل ترتون في كتابه (أهل الذمة في الإسلام) شهادة البطريك (عيشو يابه) الذي تولى منصب البابوية حتى عام 657هـ: (إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون. إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسينا وقسسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا)

ويقول المفكر الأسباني بلاسكوا أبانيز في كتابه (ظلال الكنيسة) متحدثاً عن الفتح الإسلامي للأندلس: (لقد أحسنت إسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين قدموا إليها من القارة الإفريقية، وأسلمتهم القرى أزمتها بغير مقاومة ولا عداء، فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى؛ حتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب.. كانت غزوة تمدين، ولم تكن غزوة فتح وقهر.. ولم يتخل أبناء تلك الحضارة زمناً عن فضيلة حرية الضمير، وهي الدعامة التي تقوم عليها كل عظمة حقة للشعوب، فقبلوا في المدن التي ملكوها كنائس النصارى وبيع اليهود، ولم يخشَ المسجد معابد الأديان التي سبقته، فعرف لها حقها، واستقر إلى جانبها، غير حاسد لها، ولا راغب في السيادة عليها)

ويقول المؤرخ الإنجليزي السير توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام):(لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح)

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: (العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون

والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلـة للتعصـب الديني وأفظعها؛ سمح لهم جميعاً دون أي عـائق يمنعهم بممارسـة شـعائر دينهم، وتـرك المسـلمون لهم بيـوت عبـادتهم وأديـرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟)

ويقول المـؤرخ الإسـباني أولاغي: (فخلال النصـف الأول من القـرن التـاسع كـانت أقـلية مسـيحية مهمـة تعيش في قرطبـة وتمارس عبادتها بحرية كاملة)

ويقـول القس إيِلُـوج: (نعيش بينهم دون أنْ نتعـرض إلى أيّ مضايقات، في ما يتعلق بمعتقدنا)

ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضـارة العـرب):(إن القـوة لم تكن عـاملاً في انتشـار القـرآن، فقـد تـرك العـرب المغلـوبين أحراراً في أديانهم.. فإذا حدث أن انتحل بعض الشـعوب النصـرانية الإسلام واتخذ العربية لغة لـه؛ فـذلك لمـا كـان يتصـف بـه العـرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهـد بمثلـه، ولمـا كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى)

ويقـول: (ومـا جهلـه المؤرخـون من حلم العـرب الفـاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السـريعة في اتسـاع فتوحـاتهم وفي سهولة اقتناع كثـير من الأمم بـدينهم ولغتهم.. والحـق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، ولا دينـاً سـمحاً مثـل دينهم)

ويوافقه المؤرخ ول ديـورانت فيقـول:(وعلى الـرغم من خطـة التسامح الديني التي كـان ينتهجهـا المسـلمون الأولـون، أو بسـبب هـذه الخطـة اعتنـق الـدين الجديـدَ معظمُ المسـيحيين وجميـع الزرادشـتيين والوثنـيين إلا عـدداً قليلاً منهم.. واسـتحوذ الـدين الإسـلامي على قلـوب مئـات الشـعوب في البلـدان الممتـدة من الصين وأندونوسيا إلى مراكش والأندلس، وتملك خيـالهم، وسـيطر

على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها)

ويقول روبرتسون في كتابه (تاريخ شارلكن):(لكنا لا نعلم للإسلام مجمعاً دينياً، ولا رسلاً وراء الجيوش، ولا رهبنة بعد الفتح، فلم يُكره أحد عليه بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالأسباب)

ويقول آدم متز: (ولما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين، فقد خلَّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به)

الحج والآذان:

صمت، فأخذت أقرأ: (أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا اعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات. هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تنبت أعلمكم بها.. غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الارض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)

استوقفني، وقال: هذه نبوءة أخرى لا يمكن أن تنطبق على غير محمد ﷺ..

إن هذه النبوءة تتحدث عن مواضع محددة معروفة تسميها..

إنها تـذكر (الـديار الـتي سـكنها قيـدار)، وتـذكر (سـالع)(1)، وتـذكر (رؤوس الجبال).. إنها تحدد أماكن محـددة، وهي لا تنطبـق إلا على الحجاز الذي يوجد فيه جبل عرفات الذي ينحدر إليه الناس من كل الأرض، كما جاء في النبوءة: (غنوا للرب أغنية جديـدة تسـبيحه من أقصى الارض أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها)

قلت: فما الأغنية الجديدة التي تترنم بها تلك الجبال؟

---

1) سِلَع (סלע) وأهل سِلَع : وتكتب فى الأصل العبرى (סלע) مِن ثلاث حروف هى (س ل ع). ويلاحظ جيدا أنَّ حرف السين مكسور حيث كُتِبَ تحته ثلاث نقاط تفيد الكسر فى العبرية، وحرف اللام مفتوح ثم العين مهملة التشكيل فالنطق الصحيح للكلمة هى سِلَع وليس سالع بفتح السين فتحة طويلة كما جاء فى النسخ العربية.

وهذا الجذر اللغوى غير معروف فى العبرية وإنما هو عربى تماما تجده فى المعاجم العربية وفى كتب السيرة والحديث والشعر العربىّ.

والاسقاط الجغرافى والتاريخى لمدينة سِلَع يشيران إلى المدينة المنورة، حيث نطقت باسمها أشعار العرب القدماء فى جاهليتهم وتناقلته عامتهم، ولا يزال هناك جبلان بها يحملان ذات الاسم القديم، فهناك جبل سِلَع الذى ورد اسمه فى قصيدة للشاعر الجاهلى الشنفرى ابن أخت تأبط شرا حين قال فى رثاء لخاله تأبط شرا :

إنَّ بالشعب الذى دون سِلَع .. لقتيلا دمـــه ما بطل

وهناك أيضا جبل آخر صغير بالمدينة يسمى سُلَيْع تصغير على وزن جُبَيْل، وقد ذكر وبيَّنَ المؤرخون العرب والنسَّابون أنَّ سِلَع من أسماء المدينة المنورة قديما.

وقد ذهب غالبية علماء المسيحية إلى أنَّ مدينة سِلَع هى عاصمة دولة العرب الأنباط فى جنوب الأردن قريبا من مدينة العقبة، وهذه المدينة يطلق عليها اليونان اسم بَطرا (Petra) بمعنى الصخرة مؤنث بُطرُس.

ولذلك نجد اسم المدينة سِلَع قد كُتِب فى الترجمات الإنجليزية صخرة (Rock) وكما فعلت النسخة العربية للآباء اليسوعيين مع أنَّ الكلمة عربية وليست بعبرية أو يونانية.

والحقيقة خلاف ذلك تماما، حيث دلت أحجار تلك المدينة التى كانت عاصمة لدولة العرب الأنباط باسمها العربىّ الحقيقىّ، فعلى مسلتين من المسلات الحجرية فى مدخل تلك المدينة الغابرة نُقِش الاسم بالحرف النبطى. إنها مدينة الرقيم وليست مدينة سِلَع، ودلت على ذلك أيضا السجلات اليهودية القديمة مثل كتابات المؤرخ اليهودى القديم يوسف ابن متى المتوفى فى بداية القرن الثانى الميلادى.

يقول المؤرخ العربى الأصل، المسيحى الديانة فيليب حتى فى تأريخه لسوريا: (إن كلمة بتراء (Petra) هى اللفظ اليونانى لكلمة صخرة وفى العربية الفصحى الرقيم وهى ترجمة كلمة سِلَع (Sela) العبرية) (تاريخ سوريا:1 / 418)

وقد عرفنا أنَّ كلمة سِلَع ليست بعبرية ولا يعرف لها استخدام فيها، والصحيح هو ما دلت عليه النقوش التى على الأحجار، فهناك مدينة سِلَع بأرض الجنوب العربى، وهناك مدينة الرقيم فى جنوب الأردن، ونصوص سفر أشعياء لا تنطبق على مدينة الرقيم ولم

قال: ألم تسمع قط تلك التلبيات الجميلة التي يمتلئ بهـا جبـل عرفات، ومكة التي كانت أرض قيدار؟

أليست أجمل أغنيـة في الأرض هي الأغنيـة الـتي تقـول:(لبيـك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملـك لا شريك لك)؟

إنها الأغنية التي توحـد اللـه، وتعلن العبوديـة لـه، وتجمـع جميـع الألـوان والأجنـاس والشـعوب على ذلـك.. بصـوت واحـد، وبقلب واحد.

أخبرني في أي لحظة من لحظات التاريخ حصل هذا؟

بل في أي بقعة من بقع العالم تجتمع كـل تلـك القلـوب لتغـني تلك الأغنية الجميلة التي لا تساويها في كلماتها ولا ألحانهـا ولا عـدد المغنين بها أي أغنية من أغاني العالم؟

أنت تزعمون أنكم أتباع المسيح، وأحباب المسيح.. هـل لـديكم أغنية مثل هذه الأغنية؟

صمت، فقال: ألم أقل لك: إن إشعيا لا يبشر بمحمد ﷺ فقـط، بل هو يصفه ويؤرخ له.

قلت: ولكن التلبية خاصة بموضع محدد، وهـذه النبـوءة تقـول: (ويخبروا بتسبيحه في الجزائر)

قال: هذه نبـوءة أخـرى.. وهي تشـير إلى الآذان.. فهـل تسـمع تسبيح الله وذكره وتمجيـده في أي بقعـة من العـالم مرفوعـا كمـا يرفعه المسلمون.

إن المسـلمين وحـدهم في العـالم الـذين جعلـوا من نـدائهم للصلاة تمجيدا ودعوة لله.. ألستم آثرتم الأجراس؟.. فهل الأجراس هي التي تسبح، أو الصوت الخاشع الممجد لله هو المسبح؟

يهاجر إليها أحد ولم تحدث حرب بين أهلها وبين جبابرة بنى قيدار بعد سنة واحدة كسنين الأجير من حادث الهجرة. (انظر: نبي أرض الجنوب)

القوة:

صمت، فرحت أقرأ: (الرب كالجبار يخرج كرجل حـروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه قد صمت منذ الدهر سكت تجلـدت كالوالـدة أصيح أنفخ وأنخـر معـا أخـرب الجبـال والآكـام وأجفف كل عشـبها وأجعـل الأنهـار يبسـا وأنشـف الآجـام وأسـير العمي في طريـق لم يعرفوهـا في مسـالك لم يـدروها أمشـيهم أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة هذه الأمور أفعلها ولا أتـركهم قـد ارتـدوا إلى الـوراء يخـزى خزيـا المتكلـون على المنحوتات القائلون للمسبوكات: أنتنّ آلهتنا)

اسـتوقفني، وقـال: وهـذه النبـوءة لا يمكن انطباقهـا على غـير محمد ﷺ.. فهو النبي الوحيد الذي أعطاه الله من القوة ما أمن بـه دينه، وحفظ به شريعته.

قلت: أتفخرون بالقوة؟

قال: إذا لم يسع أهل الحـق لتحصـيل القـوة الـتي يحمـون بهـا الحق، وينصرون بها المستضعفين، فلمن يتركون القوة؟

لقد أمرنا القرآن الكريم كتاب المسلمين المقدس بالتمكن من القوة التي تحفظ الحق وأهل الحق، فقال تعالى: ﴿ وَأَعِـدُّوا لَهُمْ مَـا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْـلِ تُرْهِبُـونَ بِـهِ عَـدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: 60)

ثم إن النص أخبر أن هذا الموعود (كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض) وهي إقرار لهذا التصرف من هذا النبي.

قلت: ولكن النص قـال: (الـرب كالجبـار يخـرج كرجـل حـروب ينهض)، فهو يتحدث عن الرب لا عن البشر.

قـال: أنت تعلم أن كلمـة (الـرب) في الكتـاب المقـدس لا تستخدم بحق الله تعـالى فقـط.. بـل هي تسـتخدم بمعـنى السـيد

والمعلم، فقد جاء في إنجيل يوحنا (1 :ـ 38) مثلا: (فقالا: ربي! الذي تفسيره يا معلم، أين تمكث؟).. وجاء فيه أيضا: (20 ـ 16): (قال لها يسوع: يا مريم! فالتفتت تلك وقالت له: ربوني! الذي تفسيره يا معلم)

بل إن القرآن الكريم مع تشدده في نفي ذرائع الشرك استخدم هذه اللفظة بهذا المعنى، فقد جاء فيه : يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً (يوسف: 41)، وجاء فيه : وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (يوسف:42)

التفت إلي، وقال: لقد شبهت النبوءة هذا النبي الموعود برجل حرب، فقد ورد فيها (كرجل حروب).. فهل تحقق هذا في المسيح؟.. وكم غزوة غزا المسيح؟

صمت، فقال: أما محمد ﷺ فقد كان رجل حروب حقيقي.. لقد خاض ﷺ غزوات حروبا كثيرة، بل لم تخلو فترة من فترات وجوده في المدينة من غزوة يقوم بها[1].

---

1) أحصى بعضهم غزوات النبي ﷺ بحسب الطوائف التى ضمتها، وهذا ملخص لما ذكر من ذلك مما يثبت صدق هذه النبوءة... أما ما يتعلق منها بالشبه في هذا الباب، فقد ورد الجواب عنه في الجزء الموسوم بـ (النبي المعصوم):

(1) قريش مكة: وهى القبيلة التى ينتمى إليها النبى ﷺ، وكانت معهم الغزوات: سيف البحر ـ الرابغ ـ ضرار ـ بواط ـ سفوان ـ ذو العشيرة ـ السويق ــ ذو قردة ــ أحد ـ حمراء الأسد ـ بدر الآخرة ـ الأحزاب ـ سرية العيص ـ سرية عمرو بن أمية ــ الحديبية ـ سيف البحر الثانية 8هـ ـ فتح مكة.

(2) قبيلة غطفان وأنمار: غطفان من مضر، والغزوات التى ضمتها هى: قرقرة الكدر ـ ذى أمر ـ دومة الجندل ـ بنى المصطلق ـ الغابة ـ وادى القرى ــ سرية كرز بن جابر ـ ذات الرقاع ـ تربة ـ الميفعة ـ الخربة ـ سرية أبى قتادة ـ عبد الله بن حذافة.

(3) بنو سليم: وهم قبيلة عظيمة من قيس عيلان، والغزوات التى خاضها ﷺ مع بنى سليم هى: بئر معونة ـ جموم ـ سرية أبى العوجاء ـ غزوة بنى ملوح وبنى سليم.

(4) بنو ثعلبة: وهم من مر بن أد، والغزوات التى غزاها ﷺ معهم هى: غزوة ذى القصة ـ غزوة بنى ثعلبة ـ غزوة طرف ـ سرية الحسمى.

فهل ترى في جميع التاريخ محاربا حارب باسم الله كما حــارب محمد ﷺ؟

أما المسيح.. فأنتم تزعمون أنه أبعد الناس عن الحروب.. فمــا دام كذلك، ومــا دمتم ترمــون محمــدا ﷺ بــالحرب، فلم لا تقولــون بانطباق هذه البشارة عليه؟

صمت، فقال: أدرك مـا في نفسـك، ومـا في نفس قومـك من هذا.. أنتم تصورون محمـدا بصـورة المحـارب القاسـي.. لقـد كنت مثلكم أعتقـد ذلـك.. ولكـني لمـا عرفتـه رأيت الرحمـة الشـاملة الكاملة تنتظم في شخصيته وتعاليمه.

لن أحدثك عن هذا الآن.. وإن كنت صادقا.. فسيقيض اللـه لـك

---

(5) بنــو فــزارة وعــذرة: وهم بطن من ذبيــان من غطفــان، وكــان معهمــا الغــزوات والسرايا الآتية: سرية أبى بكر الصديق ـ سرية فدك ـ سرية بشير بن سعد ـــ غــزوة ذات أطلح.

(6) بنو كلاب وبنو مرة، والغزوات التى كانت معهم: غزوة قريظة ـ غـزوة بـنى كلاب ـ غزوة بنى مرة ـ سرية ضحاك.

(7) عضل والقارة: وهم بطن من بنى الهون من مضر، وقـد غـزاهم النـبى ﷺ غـزوة واحدة هى غزوة الرجيع.

(8) بنو أسد: وهم حى من بنى خزيمة، والغـزوات الـتى غـزاهم رسـول اللـه ﷺ هى: سرية قطن ـ سرية عمر مرزوق ـ غزوة ذات السلاسل.

(9) بنو ذكوان: وهم بطن من بهتـة من سـليم، ولم يغـزهم رسـول اللـه ﷺ إلا غـزوة واحدة هى غزوة بئر معونة.

(10) بنو لحيان: وهم من هذيل، وقد غـزاهم النـبى ﷺ غـزوة واحـدة هى:غـزوة بـنى لحيان.

(11) بنو سعد بن بكر: وقد أرسل لهم النبى ﷺ سرية واحدة هى سرية فدك.

(12) بنو هوازن: وهم بطن من قيس عيلان، وقد غزاهم ﷺ غزوة ذات عرق.

(13) بنو تميم: وهم بطن من طابخة.

(14) بنو ثقيف: وهم بطن من هوازن، وقد غزاهم النبى ﷺ غزوتين هما: غزوة حنين، وغزوة الطائف.

من يبين لك رسالة السلام العظيمـة الـتي كـان يحملهـا محمـد ﷺ وتعاليم محمد ﷺ.

تعظيم الشريعة:

رحت أقرأ:(أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لتبصــروا من هو أعمى إلا عبـدي وأصـم كرسـولي الـذي أرسـله من هـو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب ناظر كثيرا ولا تلاحظ.مفتوح الأذنين ولا يسمع الرب قد سرّ من أجل بره يعظّم الشريعة ويكرمها)

قال: في هـذه البشـارة إخبـار عن تعظيم هـذا النـبي الموعـود للشريعة.. فهل عظمتم الشريعة كما عظيمها محمد ﷺ ؟

لقد كان أول مـا بـدأتم بـه نقضـكم للشـريعة.. ألم تقـرأ قـول بولس سندكم الأول ورسولكم الأول، وهو يتهكم بالشـريعة، ويلقي اللائمـة عليهـا، لقـد كـان يقـول في رسـائله:(فمـاذا نقـول؟ هـل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس، فـإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقـل النـاموس (لا تشـته)، ولكن الخطيـة وهي متخـذة فرصـة بالوصـية أنشـأت في كـل شـهوة، لأن بـدون الناموس الخطية ميتة. أمـا أنـا فكنت بـدون النـاموس عائشـا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا) (رومية 7/7-9)، فهل خلق الله تعالى جسـده بلا شـهوة، ثم عرفهـا عنـدما قـرأ في الناموس؟

سـكت، فقـال: ألم تقـرأ قولـه وهـو يـبين سـر عـدم اهتمامـه بالناموس:(لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب (ملعون كل من لا يثبت في جميع مـا هـو مكتـوب في كتاب الناموس ليعمل به)، ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عنـد اللـه فظـاهر، لأن (البـار بالإيمـان يحيـا). ولكن النـاموس ليس من الإيمان، بل (الإنسان الذي يفعلها سيحيا بها) (غلاطية 3/10-12)

ألهذه الدرجة صار الإيمان بالكتاب ومباشرة الأعمـال الصـالحة في عرف بولس لعنة؟

سكت، فقال: ليس هـذا فقـط.. كـل هـذا مجـرد تمهيـد لنقض الناموس الذي لم يتجرأ المسيح على نقضه.

لقد مهد بولس بكل ذلك لقضية كان يرمي إليهـا.. كـان يـرمي أن يوصل مستمعيه إلى أن كل ما يفعلونـه خطيئـة ولعنـة وحـرام، ولن يتـبرروا بـه، بـل لن تكـون لهم حيـاة كريمـة على الإطلاق إلا بالإيمان المجرد عن الناموس، واسمع إليه، وهو يقول: (إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسـوع المسـيح، آمنـا نحن أيضا بيسوع المسيح، لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس. لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما) (غلاطية 2/16)

ولم تكن هذه مجرد دعوة، بل إنه شن حملـة في بدايـة دعوتـه على الختان باعتباره من الناموس، واسمع إليـه، وهـو يقـول لأهـل روما: (فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة! إذا إن كان الأغـرل يحفـظ أحكـام الناموس أفما تحسب غرلته ختانا؟ وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتـاب والختـان تتعـدى الناموس؟ لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانـا بـل اليهـودي في الخفـاء هـو اليهـودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هـو الختـان الـذي مدحـه ليس من الناس بل من الله)(رومية 2/25-29)

أتـرى أن هـذه التفرقـة بين الغرلـة والختـان وردت بـالتوراة أو الأناجيل الأربعة؟

سـكت فواصـل يقـول: لقـد أثـر هـذا في كـل المسـيحيين من بعــده.. كلكم راح يتهكم بالشــريعة الــتي لم يتجــرأ المســيح على نقضها، لقد قـال مـارتن لـوثر: (إن الإنجيـل لا يطلب منـا الأعمـال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يـرفض أعمالنـا.. إنـه لكي تظهـر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدا، وأن تكثر عددها)

ويقول في شرحه ليوحنا (3/16): (أما أنا فـأقول لكم إذا كـان

الطريق المؤدي إلى السماء ضيقا وجب على من رام الدخول فيـه أن يكون نحيلا رقيقـا.. فـإذا مـا سـرت فيـه حـاملا أعـدالا مملـوءة أعمالا صالحة، فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولـك فيـه، وإلا لامتنـع عليك الدخول بالبـاب الضـيق.. إن الـذين نـراهم حـاملين الأعمـال الصالحة هم أشبه بالسلاحف، فإنهم أجانب عن الكتـاب المقـدس. وأصحاب القديس يعقوب الرسول، فمثل هؤلاء لا يدخلون أبدا)

ويرد عندما سئل عن حقيقة الإيمان فيقول: (إن السيد المسيح كي يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممهـا هـو بنفسـه باسمه، ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه، وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمـان، ونتيجـة هـذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة، ولا للأعمال الصالحة)[1]

ليس هذا فقط.. بل أصـبح هم القديسـين والمبشـرين الـدعوة إلى الخطيئة والتحلل من الدين:

يقول ميلا نكتون في كتابه (الأماكن اللاهوتية):(إن كنت سـارقا أو زانيا أو فاسقا لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن اللـه هـو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطايـاك قبـل أن تخطئ بزمن مديد)

ويقول القس لبيب ميخائيـل: (الأعمـال الصـالحة حينمـا تـؤدى بقصد الخلاص من عقاب الخطيئة تعتبر إهانة كبرى لـذات اللـه، إذ أنها دليل على اعتقاد من يقوم بها، بـأن في قدرتـه إزالـة الإسـاءة التي أحدثتها الخطيئة في قلب الله عن طريـق عمـل الصـالحات.. وكأن قلب الله لا يتحرك بالحنان إلا بأعمال الإنسان، وياله من فكر شرير ومهين)[2]

بينما الكتاب المقدس الذي جاء به محمد ﷺ، بل كـل الكلمـات التي نطق بها تحض على تعظيم الشريعة، وتحذر من التحقير لها.

1) هل افتدانا المسيح على الصليب ؟ لمنقد محمود السقار، ص 125.

2) المسيح ﷺ بين الحقائق والأوهام - محمد وصفي،ص 67.

اسمع هذا النص الذي ورد في القرآن الكريم : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج:32)

واسمع لهذه القصة التي تبين لك حرص محمد ﷺ على تطبيق الشريعة، ولو على أهل بيته.

لقد ورد في التواريخ الصحيحة أن قريشا قوم محمد ﷺ سرقت امرأتان منهم من أشرافهم من بني مخزوم، فأهمهم شأنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله)، ثم قام فاختطب فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)(1)

وقد امتلأ القرآن الكريم، ومثله السنة المطهرة بكل ما يوفر في المؤمنين دواعي التزام الشريعة من الخطابات التوجيهية، والأحكام التشريعية التي تضمن استمرار تعظيم الشرعية والمحافظة على تطبيقها.

بل إن المسلمين الآن مع بعدهم عن دينهم أحسن حالا بكثير من جميع أصحاب الأديان الذين لم يبق لهم من أديانهم إلا طقوس يحتفلون بها، ثم ينشغلون بعدها بما تمليه أهواؤهم.

نبوءة عن مكة:

فتح الكتاب المقدس على سفر إشعيا، ثم قال لي: اقرأ لي هذه البشارة الجديدة من بشارات إشعيا.

أخذت أقرأ: (ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مساكنك لا

1) البخاري ومسلم.

تمسكي أطيلي أطنابك وشـددي اوتـادك لأنـك تمتـدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربـة لا تخـافي لأنـك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فإنك تنسين خـزي صـباك وعـار ترملك لا تذكرينه بعد لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قـدوس اسـرائيل إلـه كـل الأرض يـدعى. لأنـه كـامرأة مهجـورة ومحزونة الروح دعاك الـرب وكزوجـة الصـبا اذا رذلت قـال إلهـك لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك بفيضـان الغضـب حجبت وجهي عنك لحظة وباحسان أبـدي أرحمـك قـال وليـك الـرب لأنـه كمياه نوح هذه لي كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نـوح على الأرض هكـذا حلفت أن لا أغضـب عليـك ولا أزجـرك فـإن الجبـال تـزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضـطربة غـير المتعزيـة هـا أنـذا أبـني بالاثمـد حجارتـك وباليـاقوت الازرق أسسـك وأجعـل شـرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومـك حجـارة كريمـة وكـل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ها إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي من اجتمع عليك فإليك يسقط ها أنذا قـد خلقت الحـداد الذي ينفخ الفحم في النـار ويخـرج آلـة لعملـه وأنـا خلقت المهلـك ليخرب كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسـان يقـوم عليـك في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الـرب وبـرهم من عنـدي يقول الرب) (إشعياء: 45 : 1-17)

قال: هذه النبوءة تخاطب مكة المكرمة.. البلـد الـذي ولـد فيـه محمد ﷺ وتربى فيه.. وفيه بدأت دعوته..

إنها تبشرها، وتدعوها إلى الفرح والغناء، وتسميها العاقر، لعدم ظهور نبي فيها بعد إسماعيل ؈.

لقد نص القرآن الكريم على هـذا العقـر، فاللـه تعـالى يقـول : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْـذِرَ قَوْمـاً مَـا أَتَـاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِـكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَـدُونَ﴾ (السـجدة:3)، ويقـول :﴿ وَمَـا كُنْتَ

بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (القصص:46)

أما (بنو المستوحشة)، فهم أولاد هاجر، كما في سفر (التكوين 16: 11-12)، أما (بنو ذات رجل)، فهم هم أولاد سارة.

وأما (ويرث نسلك أمماً) فقد حصل هذا، بما فتح الله على هذه الأمة لا يشك أحد فيها.. وهي لم تتحقق لأي نبي من الأنبياء.

أما قوله: (لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين) وما بعدها، فيشير إلى استمرار الأمن والإسلام في مكة المكرمة.

وأما قوله: (كل آلة صورت ضدك لا تنجح)ن ففيه إشارة إلى حماية مكة المكرمة، كما حدث لأبرهة الأشرم حين غزاها فهزمه الله تعالى شر هزيمة.

قلت: يمكنك تطبيق جميع النبوءة على مكة.. ولكني أتساءل عن سر اهتمام إشعيا بها.

قال: ليس إشعيا وحده.. ففي الكتاب المقدس النصوص الكثيرة التي تتحدث عن هذه المدينة المقدسة، ألم تقرأ في (المزمور84/2-10)، فقد ورد فيه:(تشتاق بل تتوق نفسي الى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالاله الحي. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشّا لنفسها حيث تضع أفراخها مذابحك يا رب الجنود ملكي والهي. طوبى للساكنين في بيتك ابدا يسبحونك.سلاه طوبى لاناس عزهم بك. طرق بيتك في قلوبهم. عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعا.ايضا ببركات يغطون مورة)

أما السر في ذلك.. فقد نص عليه قوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (آل عمران:96)

فتح الكتاب المقدس في موضع آخر، وهو يقول: هناك إشارة أخرى لهذه المدينة المباركة في سفر إشعيا.. اقرأ.

أخــذت أقــرأ من الموضــع الــذي عينــه لي: (شــددوا الأيــادى المسترخية، والـركب المرتعشـة ثبتوهـا، وقولـوا لخـائفى القلـوب تشددوا لا تخافوا، هو ذا إلهكم، الانتقام يـأتى، جـزاء اللـه هـو يـأتى ويخلصـكم، حينئـذ تنفقح عيـون العمى، وآذان الصـم تنفتح، حينئـذ يقفز الأعرج كالأيل، ويترنم لسان الأخـرس، لأنـه قـد انفجـرت فى البرية مياه، وأنهار فى القفر، ويصـير السـراب أجمـا، والمعطشـة ينابيع ماء، فى مسكن الـذئاب فى مربضـها دار للقصـب والـبردى، وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة. لا يعبر فيهـا نجس بل هى لهم. من سلك فى الطريق حتى الجهـال لا يضـل، لا يكون هناك أسد، وحش مفترس لا يصعد إليها. لا يوجـد هنـاك. بـل يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يرجعـون ويـأتون إلى صـهيون بترنم وفرح أبدى على رءوسهم، ابتهـاج وفـرح يـدركانهم، ويهـرب الحزن والتنهد) (إشعياء 35/3-10)

قال: إن هذه النبـوءة لمن نظـر إليهـا بقلب صـادق لا يمكن أن تنطبق إلا على محمد وأصحاب محمد والبلدة التي جاء منها محمد.

أتعلم من هـــؤلاء المغلـــوب على أمـــرهم، أصـــحاب الـــركب المرتعشة، والقلوب الخائفة الوجلة، الـذين لا يملكـون من أمـرهم شيئا.. إنهم أولئك المستضعفين من العبيـد والمـوالى الـذين كـانوا أول من اتبع محمدا..

ابحث في دفاتر أصحاب الأنبيـاء.. هـل تجـد أسـماء مثـل بلال، وعمار، وياسر، وخباب، وسـمية وزنـيرة.. إن هـؤلاء المستضـعفين من البسطاء هم الذين قام عليهم الإسلام، وهم الذين تشـــير إليهم هذه النبوءة.

إن هذه النبوءة تكاد تصـرح بمسـالك المسـلمين وطـرقهم فى الصحراء العربية، برية فـاران أثنـاء ذهـابهم وإيـابهم لحج بيت اللـه الحرام، الطرق المقدسة التى لايعـبر فيهـا نجس، أممى مشـرك.. إن القرآن الكريم يصرح بهذا، يقول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ

خِفْتُمْ عَيْلَــةً فَسَــوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْــلِهِ إِنْ شَــاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (التوبة:28)

أخبرني.. هل هناك مدينة في الدنيا تراعي ديانة الـداخلين إليهـا عدا هذه المدينة المقدسة؟

قلت: ولكن النبوءة تتحدث عن الله، فهي تقول :(هو ذا إلهكم)

قال: أنت تعلم أن لفظ (الله) يطلق فى الكتاب المقدس على الله، وعلى الأنبياء، وعلى الملائكة، وعلى الملـوك حـتى ولـو كـانوا مشركين، وعلى العظماء، بل وعلى عامة الناس.

سلمت لما قال، ففي الكتاب المقدس الشواهد الكثيرة المثبتة لذلك.

رأى تسليمي، فراح يقول: إن النبوءة تنص على أن أتباع محمد لم يتقاعسوا عنه، لم يطلبوا الموت فقط، بل كانوا يتسابقون إليه، ويتنافسون فى الفوز به.. والتـاريخ الإسـلامي يثبت ذلـك.. إنـك لن تجد في التاريخ جميعا رجالا يقولون لنبيهم: (فوالذى بعثـك بـالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضـناه معـك، مـا تخلـف منـا رجل واحد)

إن هذه النبوءة تعيد ذكرى اسم الصحابى الأعرج الجليل عمـرو بن الجموح، الذي لم يتقهقر عند الموت، والذي قال لمحمد: (والله إني لأرجو أن اطأ بعرجتي هذه أبواب الجنة)

وفي هــذه النبــوءة نلاحــظ المــؤمن المســارع فى الطاعــات والعبادات، وأداء الفرائض والمناسك وعمل الصالحات.

ونلاحــظ فيهــا المؤمــنين، وهم يســيرون في البريــة القاحلــة، الأرض القفر المعطشــة، الصـحراء الـتى تفجـر فيهـا ينبـوع المـاء، وفيهـا الطـرق الطـاهرة الآمنـة، الـتى ليس فيهـا أسـد ولا حيـوان مفترس، التى يقال لها الطرق المقدسة، وعودة الحجيج المفـديين (أى المغفور لهم) إلى الديار بفرح وابتهاج عظيم.

أمية النبي:

قال: ليس هذا فقط ما جاء به إشعيا من بشارات.. لقد بشر إشعيا بنبي لا يقرأ، ولا يعرف القراءة، فقد جاء في سفر (إشعياء 29:ـ 12) في نبوءة عن شخص يتلقى الوحي وهو لا يستطيع القراءة:(وعندما يناولونه لمن يجهل القراءة قائلين: اقرأ هذا، يجيب: لا أستطيع القراءة)

إن هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على محمد ﷺ، فلم يكن ﷺ يقرأ ولا يكتب، بل أخبر الله تعالى عن وجود هذا الوصف لمحمد ﷺ في الكتب السابقة، فقد قال تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (لأعراف:157)

بل إن هذا الوصف يكاد يصور ما حصل لمحمد ﷺ في أول يوم نزل عليه الوحي، وقد صورت لنا الأسانيد الكثيرة: أن رسول الله ﷺ كان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ وهو: التعبد ـ الليالي ذواتَ العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فَتُزَوِّد لمثلها حتى فَجَأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (ما أنا بقارئ)، قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فَغَطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (العلق: 1)حتى بلغ : مَا لَمْ يَعْلَمْ

اقرأ هذه القصة على الجاحدين من بني قومك لينالوا هذا الشعاع من أشعة محمد.. أترى هذا الرجل الذي يقول هذا، والرجل الذي يفعل هذا، كاذبا ؟.. لا والله.

علامات النبوة:

أخذ يبحث في سفر إشعيا على موضع محدد، وهو يقول: ليس هذا فقط.. إن سفر إشعيا يكاد يكون مختصا بوصف محمـد.. اقـرأ هذا الموضع.

قرأت ما طلب مـني: (لأنـه يولـد لنـا ولـد، ونعطى ابنـا وتكـون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، الها قديرا ابا ابـديا رئيس السلام. لنمـو رياسـته، وللسـلام لا نهايـة على كرسـي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد غـيرة رب الجنود تصنع هذا)(اشعياء9 : 6-7)

قال: هذه النبوءة تكاد تنطق باسم محمد.

قلت: لا.. هذه النبوءة عن المسيح.. إنها تـذكر داود.. والمسـيح من نسل داود.

قال: لا.. إن هذه النبوءة تتحدث عن نبي تكون له رئاسة، وهـذا لا يتحقق في المسيح، فهو لم يملـك على قومـه يومـاً واحـداً.. بـل كان فاراً من بني إسرائيل حتى بعد قيامته التي تؤمنون بها.. خائفاً من بطشهم كما هرب من قومه حين أرادوه أن يملك عليهم، كمـا في يوحنا: (وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يـأتوا ويختطفـوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده)(يوحنا 6/15)

ثم إن إشـعيا يتحـدث عن رئيس السـلام، وهـو لا ينطبـق على الذي نسبت إليه الأناجيل أنه قال: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً) (مـتى 10/34 – 36)، ويقـول في انجيل (لوقا 12: 49-53): (جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِـرُ حَتَّى تُكْمَـلَ؟ أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَـلاَماً عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُـولُ لَكُمْ! بَـلِ انْقِسَاماً)

و إشعيا يتحدث عن قدير، وليس عن بشر محـدود أخـذه بعض

اليهود والرومان وصلبوه وهو لا يقدر أن يصنع من نفسه شـيئاً كمـا قال عن نفسه: (أنا لا أقدر أن أفعـل من نفسـي شـيئاً كمـا أسـمع أدين)(يوحنا 5/30)

وفوق هذا كله.. فإن الكتاب المقدس يمنـع أن يكـون المسـيح ملكاً على بني إسرائيل، فقد حرم الله الملـك على ذريـة يهويـاقيم (الياقيم)وهو أحد أجداد المسيح فقد ورد في العهد القديم: (هكـذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا: لا يكون له جالس على كرسي داود.. وأعاقبه ونسله وعبيـده على إثمهم)(إرميـا 36/30 – 31)، والمسيح ابن مريم بحسب الأناجيل من ذرية هـذا الملـك الفاسـق كمـا في سـفر الأيـام الأول:(بنـو يوشـيا: البكـر: يوحانـان، الثـاني: يهوياقيم، الثالث: صدقيا، الرابع: شلّوم. وابنا يهويـاقيم: يكنيـا ابنـه، وصـدقيا ابنـه) (الأيـام الأول 3/14-15)، فيهويـاقيم أحـد أجـداد المسيح.

قلت: فما في هذه النبوءة عن محمد؟

قال: إن هـذه النبـوءة تقـول: (سـيولد لنـا نحن نسـل ابـراهيم، والذي أعطاه الله عهدا أبديا له ولنسله لتتبارك به الأمم.. هذا الإبن يكون على كتفه خاتم النبوة، ولم يتسم باسمه أحد من قبل.. سيدا قويا يقول أفشوا السلام بينكم)

أتدري أهم ما في هذه النبوءة؟

صمت، فقال: إنه مـا نص عليـه بقولـه: (وتكـون الرياسـة على كتفه)، هـذه إشـارة مهمـة ابحثـوا عنهـا في بطـون التـواريخ.. فلن تجدوا شخصا تصدق عليه إلا محمد.

إنها دليل حسي ينفي كل شبهة.. ولهـذا كـان رجـال الـدين من اليهود والمسـيحيين من الصـادقين يبحثـون في جسـم محمـد عن هذه العلامة.. والتي اصطلحوا على تسميتها بخاتم النبوة[1].

---

1) خاتم النبـوة في ظهـره ﷺ هـو قطعـة مرتفعـة من اللحم، قـال القرطـبي: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن الخاتم كان شـيئاً بـارزاً أحمـر عنـد كتفـه الأيسـر قـدره إذا قلـل

وسـأنقل لـك بعض النصـوص.. وهي تشـير إلى غيرهـا.. وفي إمكانكم أن تبحثوا في بطون الأسانيد لتروا صدق هذه العلامة التي لا يكذبها إلا جاحد.

ولنبدأ بأول من تحدث عن هذا الخاتم الذي أشار إليه إشعيا.

إنه راهب من بني قومك آثر العزلة في طريـق التجـار لينتظـر النبي المنتظر.. وقـد عرفـه من ختم النبـوة الـذي وصـفه إشـعيا.. ووصفته الأسفار التي محاها قومك.. اسمع حديثـه.. وليكن لـك بـه قدوة:

لما بلغ محمد ﷺ اثنتى عشرة سنة ارتحل به أبـو طـالب تـاجرًا إلى الشـام، حـتى وصـل إلى بُصْـرَى ــ وهي معـدودة من الشـام، وقَصَبَة لحُورَان، وكانت في ذلك الـوقت قصـبة للبلاد العربيـة الـتي كـانت تحت حكم الرومـان ــ وكـان في هـذا البلـد راهب عـرف بَبحِيرَى، واسمه ـ فيما يقال ــ جـرجيس، فلمـا نـزل الـركب خـرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك، فجعل يتخلّلهم حتى جاء فأخذ بيد رسول اللـه ﷺ، وقـال: (هـذا سـيد العـالمين، هـذا رسـول رب العالمين، هـذا يبعثـه اللـه رحمـة للعـالمين)، فقـال لـه أبـو طـالب وأشياخ قريش: (وما علمك بذلك؟ فقـال: (إنكم حين أشـرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا، ولا يسـجدان إلا لنـبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضـروف كتفـه مثـل التفاحـة، وإنا نجـده في كتبنـا)، ثم أكـرمهم بالضـيافة، وسـأل أبـا طـالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام؛ خوفًا عليه من الروم واليهـود، فبعثـه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة(1).

وثانيهم رجل كتب الله له أن يكون باحثا عن الدين الحق.. وقـد

كبيضة الحمامة وإذا كثر جمع اليد.

1) رواه الترمذي،وقال: هذا حديث حسـن غـريب لا نعرفـه إلا من هـذا الوجـه، ورواه البيهقي في كتـاب دلائـل النبـوة من حـديث العبـاس بن محمـد عن قـراد بن نـوح،وقـال العباس لم يحدث به يعني بهذا الإسـناد غـير قـراد وسـمعه يحـيى وأحمـد من قـراد قـال البيهقي أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء فأمـا القصـة فهي عنـد أهـل المغـازي مشهورة.

نقل لنا من الشهادات الكثيرة ما يبين الجو الـديني الـذي كـان في ذلك العصر، والذي كان في لهفة لانتظار النبي المنتظر.

إنه سلمان الفارسـي الـذي نقتصـر من شـهادته هـذا المشـهد المرتبط بختم النبوة:

قـال سـلمان يحكي قصـته: لحقت بصـاحب عموريـة وأخبرتـه خـبري، فقـال: أقم عنـدي. فـأقمت مـع رجـل على هـدى أصـحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنت مـع فلان فأوصـي فلان إلى فلان، وأوصي بي فـلان إلى فلان، ثم أوصـى فلان إليـك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال:(أي بـني، واللـه مـا أعلمـه أصبح على ما كنا عليه أحد من النـاس آمـرك أن تأتيـه، ولكنـه قـد أظلك زمان نبي وهو مبعـوث بـدين إبـراهيم يخـرج بـأرض العـرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى: يأكـل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإذا اسـتطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل)

ثم يحكي سلمان في قصة طويلة رحيلـه إلى المدينـة المنـورة حيث نزل محمد ﷺ بعد هجرته إليها، وبعد سماعه بـالنبي ﷺ جمـع شيئا ليختبره به، ولندعه يتحدث عن لقائـه بـه، قـال: ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له: أنه قد بلغني أنـك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهـذا شـيء كـان عندي للصـدقة فـرأيتكم أحـق بـه من غـيركم فقربتـه إليـه، فقـال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأمسك يده فلم يأكل، قـال: فقلت: في نفسي هذه واحـدة، ثم انصـرفت عنـه، فجمعت شـيئاً وتحـول رسـول اللـه ﷺ إلى المدينـة ثم جئت بـه فقلت: إني قـد رأيتـك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكـل رسـول اللـه ﷺ منها وأمر أصحابه معه، قـال: فقلت في نفسـي: هاتـان اثنتـان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنـازة من أصـحابه عليه شملتان وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم اسـتدرت

أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رأى رسول الله ﷺ أنى استدرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ:(تحول!!)، فتحولت فقصصت عليه حديثي.

إلى آخر قصته.. هل ترى في هذا الحديث أي إمارة من إمارات الكذب.. إنه يفوح بالصدق.. إن كل لفظة منه دليل قائم بذاته.

صمت قليلا، ثم قال: إشعيا لا يتحدث في هذه النبوءة عن الخاتم فقط.. هو يتحدث عن علامات أخرى.. لا يمكن أن تنطبق على غير محمد ﷺ.

إن في هذه النبوءة إخبارا بصفة من صفات رسول الله ﷺ، وخلق من أخلاقه العظيمة، وهو مشاورته ﷺ لأصحابه، فقد ورد في البشارة: (ويدعى اسمه عجيبا مشيرا)

وقد وردت النصوص الكثيرة المؤرخة لسيرته ﷺ وحياته مع أصحابه وكثرة مشورته لهم.. فإن كنت صالحا، فسيقيض الله من يدلك على ذلك، ويعلمك علمه.

وسأكتفي من دلالتك على هذه الصفة، بما ورد في القرآن الكريم من حض النبي ﷺ على الشورى.. فالله تعالى يقول لنبيه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:159)

وقد ائتمر النبي ﷺ بهذا الأمر، فكان يستشير أصحابه في كل شيء، ومما نقلته لنا الأخبار الصحيحة في ذلك:

ومن ذلك مشاورته لهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: (يا رسول الله، لو استعرضت بنا عُرْض البحر لقطعناه معك، ولو

سرت بنا إلى بَرْك الغَمَاد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (المائدة: 24)، ولكن نقول: اذهب، فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون.

ومن ذلك مشاورته لهم في المحل الذي ينزل فيه يوم بدر، فأشار المنذر بن عمرو، بالتقدم إلى أمام القوم.

وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهُورُهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم، مع أنه لم يكن يحب الخروج.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السَعْدَان: سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عُبَادة، فترك ذلك.

لقد كان ﷺ يستشيرهم في كل شيء حتى في شؤون بيته.. فهل تجد وصفا لنبي ينطبق عليه هذا غير محمد ﷺ؟

بشارات مكتومة:

صمت قليلا، ثم قال: فلنكتف بهذه البشارة.. ولنذهب إلى بشارات أخرى سأكتفي بقراءتها عليك.. لتعرف أن إشعيا كان نورا من الأنوار التي تهدي إلى شمس محمد.

أنتم تسلكون سبيلا من سبل التحريف لن أشرحه لك الآن، بل لن أشرحه أبدا، وإن كنت صادقا فسيقيض الله من يشرحه لك(1).

أنتم تتلاعبون بالترجمات.. فتغيرون منها ما لا يوافق أمزجتكم.. لن أجادلك في هذا.. بل سأكفتي بنقل بعض الترجمات التي لم تعد موجودة.

لقد نقل العلامة رحمة الله الهندي عن حيدر القرشي صاحب

1) انظر (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

كتـاب (خلاصـة سـيف المسـلمين) قولـه:(إن القسـيس أوسـكان الأرمـني تـرجم كتـاب إشـعياء باللسـان الأرمـني في سـنة ألـف وسـتمائة وسـت وسـتين، وطبعت هـذه الترجمـة في سـنة ألـف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعـة أنتـوني بورتـولي، ويوجـد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: (سـبحوا اللـه تسبيحاً جديـداً، وأثـر سـلطنته على ظهـره، واسـمه أحمـد)(إشـعيا 42/10 – 11)

ومن الترجمـات السـابقة مـا ورد في الإصـحاح الأول من هـذا السفر:(اسمعي يا سموات، وقرّي يا أرض، ولماذا تقلقي؟ سيبعث عليك نبي به ترحمي)

ومنها ما ورد في الفصل الثـالث:(إني رافـع آيـة للأمم، من بلـد بعيد، وأصفر لهم من أقاصي الأرض صفيراً، فيأتون سـراعاً عجـالاً، ولا يميلون ولا يتعثرون ولا ينعسون ولا ينامون ولا يحلون مناطقهم، ولا ينقطـع معقـد خفـافهم، سـهامهم مسـنونة، وقسـيهم مـوترة، وحوافر خيلهم كالجلاميـد صـلابة، وعجلهم مسـرعة مثـل الزوابـع، وزئيرهم كنهيم الليوث، وكشبل الأسد الـذي يـزأر وينهم للفريسـة، فلا ينجو منهم ناج، ويـرهقهم يومئـذ مثـل دوي البحـر واصـطكاكه، ويرمـون بأبصـارهم إلى الأرض فلا يـرون إلا النكبـات والظلمـات، وينكشف النور عن عجاج جموعهم)

وقد استنبط أحد إخواننا المهتدين بنور الله، وهـو الشـيخ زيـادة من هذا النص دلالات كثيرة عليـه ﷺ، بـل لا تصـح دلالتـه إلا عليـه، بدليل قولـه:(رافـع آيـة للأمم)، ومحمـد ﷺ هـو العلامـة المرفوعـة لسائر الأمم.

ومنها أن قوله: (من بلد بعيد)، إشارة إلى أن هذه العلامة ترفع للأمم من خارج أرض بني إسرائيل، ويتضـح ذلـك من قولـه بعـده: من أقاصـي الأرض. فكأنــه قــال: إن أقصــى أرض إســرائيل هي الأرض التي يخرج منها ذلك النبي.

ومنها نفى التعب والإعياء والنوم عن جيوشه، وإثبات السـرعة، وذلـك برهـان ظـاهر على أن المـراد بهـذه النبـوة محمـدا ﷺ، لأن الملائكـة كـانت تشـارك في جيوشـه، وهم الـذين لا ينـامون ولا يسأمون.. كما أن نفي النـوم عنـه يـدل على محمـد ﷺ، لأنـه كـان يقضي الليل في العبادة والذكر والصلاة، حتى تورمت قدماه.

ومنها الشهادة لحوافر خيلـه بأنهـا مثـل الصـوان، وهـو مطـابق لوصـف اللـه لهـا في القـرآن بقولـه تعـالى: وَالْعَادِيَـاتِ ضَـبْحاً فَالْمُورِيَـاتِ قَـدْحاً (العاديـات:1 ـ 2)، ولا يمكن أن تنطبـق هـذه البشارة على المسيح ﵇، لأنه لم يكن له خيل.

زيـادة على هـذا، فـإن قولـه:(وأصـفر لهم من أقاصـي الأرض، فيأتون سراعاً عجالاً) إشارة إلى النداء بالحج إلى بيت الله الحــرام الوارد في قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِـالْحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُـلِّ فَجٍّ عَمِيـقٍ (الحج:27)، والتعبـير بالصـفير عن النداء والأذان ليس ببعيد ولا مستغرب.

ومن هذه البشارات قول إشعياء في الفصل الخـامس مفسـراً ما تقدم من نبواته:(إن الأمة الـتي كـانت في الظلمـات رأت نـوراً باهراً، والذين كـانوا في الـدجى وتحت ظلال المـوت سـطع عليهم الضـوء، أكـثرت من التبـع والأحـزاب، ولم تسـتكثر بهم، فأمـا هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصـاد، وكالـذين يفرحـون عند اقتسام الغنـائم، لأنـك فككت النـير الـذي كـان أذلهم، والعصـا التي كانت على أكتافهم، وكسرت القضيب الذي كـان يسـتبعد بهم مثل كسرك من كسرت في يوم مدين)

وقد استنبط أحد إخواننا المهتـدين من القـرون السـابقة، وهـو علي الطبري بشارة بالنبي ﷺ، فقال: (وذلك شبيه بما وصـف اللـه تعـالى عن النـبي في القـرآن حين قـال : وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (لأعراف: 157)

وهذا النص يصور حال أمته قبل بعثته، فقد كانت ترتع في ظلمات الجهل والشرك، ثم أضاء لها نور الوحدانية فاتبعته، وبعد أن كانت أمة مستضعفة، كثر أتباعها، وفرحوا بانضمامهم إليها، وبسبب هذه الرسالة رفع الله عنهم استبعاد الأمم لهم، وانقلبت حالهم فإذا هم المسيطرون على بني البشر.

ومثل ذلك قول اشعياء في الفصل العاشر:(هكذا يقول الرب إنك تأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعاً، مقداً مثل الزعازع من الرياح، ورأينا منظراً رائعاً هائلاً ظالماً يظلم، ومنتهياً ينتهب.. ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم، فيدهنوها لأن الرب قال لي: هكذا أمض فأقم الربيئة على المنظرة، ليخبر بما يرى، فكان الذي رأى راكبين: أحدهما راكب حمار، والآخر راكب جمل.. فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول: هوت بابل وتكسرت جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم)

وهذا النص له دلالات كثيرة على نبوة محمد ﷺ:

منها ذكره بأنه سيأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، من أرض البادية، وذلك لئلا يدع حجة لمحتج، لأنه لم يأت أحد بهذه النوبة من أرض التيمن الواقعة في البادية البعيدة عن أرض إسرائيل سوى محمد ﷺ.

ومنها أنه قال: (هوت بابل وانكسرت جميع آلهتها)، ولم تزل الأوثان تعبد في بابل حتى ظهر محمد ﷺ، فأطفأ نيرانهم، وهدم أوثانهم، واذعنوا لدين الله طوعاً أو كرهاً.

ومنها ذكره لراكب جمل… وهو لا ينطبق إلا على محمد ﷺ، وقد أورد المهتدي الإسكندراني النص العبري المتعلق براكب الحمار وراكب الجمل، ثم اتبعه بالترجمة العربية وجاء فيه: (فرأى ركب رديف خيل، ركب رديف حمار، ركب رديف جمل)، وقال: (هذه حال جيوشه ﷺ، خلاف عساكر الملوك، لأن الملوك لا تركب

جيوشها مراديف، ولا يركبون الحمير والجمال)

بل إن النجاشي أشار إلى هذه النبوءة عندما قال: (أشهد بالله أنه لنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة زكريا براكب الحمار كبشارة أشعياء براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر)

ومنها قول إشعياء في الفصل العشرين: (يا آل إبراهيم خليلي الذي قويتك، ودعوتك من أقاصي الأرض، ومن نجودها وعواليها، ناديتك وقلت لك: إنك عبدي وأنا اجتبيتك، ولم أستر ذلك، فلا تخف، لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك، وبيميني العزيزة البرة مهدت لك، ولذلك يبهت ويخزي المستطيلون عليك، ويضمحل ويتلاشى الذين يمارونك ويشاقونك، ويبيد القوم المنازعون لك، وتطلبهم فلا تحس منم أثراً، لأنهم يبطلون، ويصيرون كالنسئ المنسي أمامك لأني أنا الرب قويت يمينك، وقلت لك لا تخف، فإني أنا عونك ومخلصك، هو قدوس إسرائيل، يقول الله الرب: (أنا جاعلك مثل الجرجر الحديد الذي يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، وكذلك تفعل أنت أيضاً، تدوس الجبال، وتدقها، وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه العواصف، وتلوى به هوج الرياح، وتبتهج أنت حينئذ، وترتاح بالرب، وتكون محمداً بقدوس إسرائيل)

وقد استبدل أول هذا النص بـ (وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته من نسل إبراهيم). كما استبدل آخره بـ (وأنت لتبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر)

ومع هذا التبديل، فقد ورد في البشارة ما لا يصدق إلا عليه ﷺ :

ومنها قوله: (فلا تخف لأني معك، ولا ترهب فها أنا إلهك أيدتك ثم أعنتك)، وهذا يتفق مع ما وعد الله به نبيه ﷺ من الحماية العصمة، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة:67)

ومنها قوله:(يبهت ويخزي المستطيلون عليك)، وهو يتفق مع قوله تعالى: إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر:95)، وقوله تعالى: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (البقرة:137)، كما أنه يتفق مع حال المناوئين له والمخالفين لأمره ممن كانوا أمما أو أفراداً.

ومنها قوله:(تدوس الجبال وتدقها)، فالجبال تشير إلى الملوك والجبابرة، وقد سحقوا أمام جيوشه وجيوش أصحابه، وأصبحوا هشيماً تذروه الرياح.

ومن البشارات التي تلاعبت بها الترجمات، قول اشعياء في الفصل الثالث والعشرين:(اسمعي أيتها الجزائر، وتفهمي يا أيتها الأمم، إن الرب أهاب بي من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، جعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وأحاطني بظل يمينه، وجعلني في كنانته كالسهم المختار وخزنتي لسره، وقال لي: إنك عبدي. فصرفي وعدلي قدام الرب حقا، وأعمالي بني يدي إلهي، وصرت محمداً عند الرب، وبإلهي حولي وقوتي)

وقد ذكر علي الطبري هذه البشارة، ثم قال: (فإن أنكر منكر اسم محمد في الباب، فليكن محموداً، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً)

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين مخاطباً مكة وهاجر: (أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعا، ويخرج عنك من أراد أن يتحيّفك ويخرّبك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك، وانظري فإنهم يأتونك ويجتمعون عن آخرهم إليك يقول الله مقسماً باسمه: إني أنا الحي، لتلبسنهم مثل الحلة، ولتتزينين بالإكليل مثل العروس، ولتضيقن عنك قفارك

وخراباتك، والأرض التي ألجئوك إليها، وضغطوك فيها من كثرة سكانها والراغبين فيها، وليهربن منك من كان يناويك ويهتضمك، وليقولن لك ولد عقمك: أيتها النزور الرقوب، إنه قد ضاقت بنا البلاد فتزحزحوا وانفرجوا فيها لتتسع في فيافيها، وستحدثين فتقولين: من رزقني هؤلاء كلهم، ومن تكفل لي بهم)

وهذه البشارة لا تقبل أن تؤول على غير مكة أو هاجر، فمن الذي تكفل الله بحمايتها غير مكة؟ ومن الذي تكاثر عددها ونسلها، وضاقت عنهم أرضها، سوى هاجر؟

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابع والعشرين: (من الذي أقبل من أدوم؟ وثيابه أشد حمرة من البسر، وأراه بهياً في حلله ولباسه، عزيزاً لكثرة خيله وأجناده، وإني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام، وإن لدينا ليوم الفتنة نكلاً، ولقد اقتربت ساعة النجاة، وحانت ساعة تخليصي، لأني نظرت فلم أجد من يعينني، وتعجبت إذ ليس من ينيب إلى رأيي، فخلصني عند ذلك ذراعي، وثبت بالغضب قدمي، ودست الأمم برجزي، وأشقيت حدودهم بغيظي واحتدامي، ودفنت عزهم تحت الأرض)

فهذه النبوءة تورد بعضاً من صفاته ﷺ في هيبته وجلاله، وطرفاً من ذكر بهائه، وإشارة إلى كثرة خيله وأجناده، وأن بمقدمه تتخلص الأقوام من قيد العبودية لغير الله، وتقترب ساعة نجاتها.

كما تضمنت هذه النبوءة وصفا لحال البشرية قبل مبعثه ﷺ، وأنها لا تسمع لكلام الله، ولا تنصر المؤمنين به، فاستحقت بذلك غضب الله ومقته، فكانت بعثته ﷺ عقاباً لأمم الكفر، إذ ناصبهم العداوة، وشهر السيف في وجوههم، وأرغمهم على الإذعان له، ودفن مجد الكافرين تحت الأرض.

قلت: ولكن هذه البشارة ذكرت أنه أقبل من أدوم، ومحمد كان في أرض الحجاز، فكيف تنطبق عليه هذه النبوة؟

قال: إن الصفات الواردة في بقية النبوة لا تنطبق إلا عليه ﷺ

وعلى وأمته، زيادة على أن المتحـدث في هـذه البشـارة هـو أحـد أنبيـاء بـني إسـرائيل المقيمين في أرضـها، و(أدوم) إقليم يقـع بين الحجاز وفلسـطين، إذ القـادم من الحجـاز إلى فلسـطين لا بـد أن يعــبر من خلال (أدوم)، ويجب أن لا نغفــل أن المتحــدث – وهــو إشعياء – يتحدث عن أمر غيبي مسـتقبلي فلا يمكن أن يقـول: من الذي أقبل من الحجـاز. لأنـه سـيقال لـه: أين منـا الحجـاز؟ ولكنـه يتحدث عن هذا النبي القادم بيقين لا شك فيه، حتى لكأنه يراه في أطراف أرض إسرائيل فيقول لهم: من هذا الـذي أقبـل من أدوم؟ وهو على يقين منه، لأنـه ذكـر صـفاته، ولكنـه طـرح الخـبر بصـيغة التساؤل حتى تستشرف النفوس، وتهفو الأرواح للقائه.

ومنها قول إشعياء في الفصل الرابـع والعشـرين عن اللـه عـز وجل أنه قال مخاطباً نبيه محمـداً ﷺ: (إني جعلت اسـمك محمـداً، فانظر من محالك ومساكنك يا محمد، يا قدوس،.. واسمك موجـود منذ الأبد)

فذكر اسمه مرتين في هذه النبـوة، وهـذه مماثلـة لمـا ورد في نبـوة داود عنـه في المزامـير من قـول داود: (في جبلـه قـدوس ومحمد)

وقد قال الطبري ــ وهـو أحـد السـابقين من المهتـدين ــ هـذه البشارة، ثم قـال:(إن القـدوس في اللغـة السـريانية: الرجـل الـبر الطاهر.. فإن غالط مغالط فقال: (يا محمد يـا قـدوس)، إنمـا يقـع على المساكن التي ذكرها. فإن الكتاب السـرياني يكذبـه، لأنـه لـو أراد بذلك المساكن لقال: يا قدوسين ومحمدين. ولم يقـل قدوسـاً ومحمداً)

ومنها قول إشعياء في الفصل الثامن والعشـرين: (إني أقمتـك شـاهداً للشـعوب، ومـدبراً وسـلطاناً للأمم، لتـدعو الأمم الـذين لم تعرفهم، وتأتيـك الأمم الـذين لم يعرفـوك هرولـة وشـداً، من أجـل الرب إلهك قدوس إسرائيل الذي أحمدك، فاطلبوا مـا عنـد الـرب،

فإذا عرفتموه فاستجيبوا له، وإذا قرب منكم فليرجع عن خطيئته، والفاجر عن سبيله، وليرجع إليّ لأرحمه، ولينب إلى إلهنا الذي عمّت رحمته وفضله)

وقد قال الطبري في هذه البشارة: (فقد سمي النبي ﷺ باسمه، وقال: إن الله جعلك محمداً. فإن آثر المخالف أن يقول: ليس بمحمد، بل محمود وافقناه فيه، لأن معناهما واحد)

أما قوله: (أقمتك شاهداً للشعوب)، فهو مماثل لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة: 143)

أما قوله: (سلطاناً للأمم)، فيحتمل أن يكون المراد منه المعنى المتبادر للذهن وهو السيادة والقيادة، وقد تحققت له هذه على الأمم في حياته.

أما قوله: (لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم)، فقد تحقق ذلك بإرساله ﷺ الرسل والكتب إلى الملوك كهرقل وكسرى والمقوقس وغيرهم ممن لا يعرفهم كما هو مشهور في كتب السنة والسيرة.

أما قوله: تأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولة وشداً، فمصداق ذلك في انضواء الأمم التي لم تكن تعرفه من قبل، والتي لا تعد ولا تحصى تحت لوائه، والإذعان لأمره، كما أن هذه البشارة لا تنطبق على الأنبياء قبله، لأنهم دعوا أقوامهم وهم يعرفونهم، واستجابت لهم الأمم التي تعرفهم، أما محمد ﷺ فقد دعا من لم يعرفه، واستجاب له من لا يعرفه.

وبقية النص تتعلق بالرحمة والمغفرة والتوبة، وهي معان ظاهرة في شريعته، ولا يمكن أن تكون هذه البشارة دالة على اليهودية أو على المسيحية، لأن اليهودية تعتقد أنها دين خاص ببني إسرائيل، وهذه البشارة قد تضمنت أنه يدعو الأمم، وتأتيه الأمم،

وهذا يناقض اعتقادها، زيادة على أن هذه البشارة تخبر أن صـاحب هذه الرسالة يبشر بالتوبة والمغفرة والرحمة، وهذا يخـالف اعتقـاد اليهود والمسـيحيين: فـاليهود تعتقـد أن من حـق الكـاهن المغفـرة ومحو الخطايا، كما أن المسـيحية تعتقـد أن البشـرية كـانت مثقلـة بالخطيئة الموروثة التي رفعت عنهم بعد صلب المسـيح، ثم غفلت النصرانية عن كونها محت الخطيئة الموروثة فمنحت رجـال الـدين حق مغفرة الخطايا.

ومنها قول إشـعياء مخاطبـاً هـاجر عليهـا السـلام وبلادهـا وهي مكة: (قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة اللـه طالعـة عليــك، فقــد تخللت الأرض الظلام، وغطي على الأمم الضــباب، فالرب يشرق عليك إشـراقاً، وتظهـر كرامتـه عليـك، وتسـير الأمم إلى نـورك، والملـوك إلى ضـوء طلوعـك، ارفعي بصـرك إلى مـا حولـك وتـأملي، فـإنهم سـيجتمعون كلهم إليـك ويحجونـك، ويأتيـك ولدك من بلد بعيـد، وتحج إليـك عسـاكر الأمم حـتى تعمـرك الإبـل المربلة، وتضيق أرضك عن القطـرات الـتي تجتمـع إليـك، ويسـاق إليك كباش مدين وكباش أعفا، وتأتيك أهل سبأ ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه، وتسير إليك أغنام قيدار كلها، وتخـدمك رخلات نبـايوت، ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً)

فذكر في هذه البشارة هـاجر وذكـر البلـد، وصـرح بـالحج ومـا يصاحبه من توافد الأمم، وسـوق الهـدي، كمـا صـرح بأسـماء بعض هذه الأمم الوافدة إلى الحج كأهل سبأ ومدين وغيرهما.

وقد أورد المهتدي الترجمان وغـيره هـذا النص بصـورة أطـول، واشتمل على صفات هي ألصق بمحمـد ﷺ من غـيره وهـو قولـه: (إن الرب سـبحانه وتعـالى سـيبعث في آخـر الزمـان عبـده الـذي اصطفاه لنفسه، ويبعث له الروح الأمين، يعلمه دينه، ويعلم النـاس ما علمـه الـروح الأمين، ويحكم بين النـاس بـالحق، ويمشـي بينهم بالعدل، وما يقول للناس هو نور يخرجهم من الظلمات الـتي كـانوا فيها، وعليها رقود، وقد عرّفتكم ما عرفني الـرب سـبحانه قبـل أن

يكون)

فمحمد ﷺ هو المبعوث في آخر الزمان، وهو الـذي نـزل عليـه الـروح الأمين، وهـو الـذي حكم بين النـاس بالعـدل وأخـرجهم من الظلمات إلى النور.

***

كان إشعيا يتحـدث بروحانيـة عميقـة تجـذب المسـتمع جـذبا لا يملك معه إلا الاستماع والتسليم..

بعد أن أنهى حديثه التفت إلي، وقال: هـذه أشـعة من النـور، لا تزال تضيء الكتاب المقدس.. فاحمل شعاعا منهـا، وسـر بـه نحـو شمس محمد.

لم أرد عليه بشيء.. بل قمت وانصـرفت، وفي وجهي ترتسـم ظلال حيرة عظيمة.. ويرتسم معهـا بصـيص من النـور اهتـديت بـه بعد ذلك على شمس محمد ﷺ.

بشارة إرميا

في اليوم السابع خرجت من غرفتي صباحا كعـادتي.. فوجـدت رجلا ممتلئا حزنا.. كانت عيناه تذرفان، وكان قلبه يكاد يتفطر.

اقتربت منه، وفي عيني دموع لا أكاد أملـك حبسـها، وقلت لـه: ما بالك يا أخي.. لقد فطرت قلبي بحزنك، وأسلت عيني بدمعك.

قال: وما لي لا أبكي.. وأنا الحزين الـذي لا يتقن فنـا كمـا يتقن الرثاء.

قلت: ومن ترثي؟.. إن مات لك عزيـز، فـالموت كـأس.. وكـل الناس شاربها.. ثم إنك يوشك أن تنسى كما نسي غيرك.. فلســت أرق منهم قلبا، ولا أغزر منهم دمعا.

قال: أنا لا أبكي على قريب، ولا على بعيد.. أنا أبكي على هــذه الأمة التي ضيعت وصايا ربهـا.. وخانتـه، وأخـاف أن يحيـق بهـا من العذاب ما حاق ببني إسرائيل من قبلهم..

لقد صاح فيهم إرميا كثيرا.. وندبهم.. ولكنهم لم يسمعوه.. لقــد كان يقول لهم (مراثي أرميا:1/1 ـ 4):

كيف جلست وحـدها المدينـة الكثـيرة الشـعب.. كيـف صـارت كأرملـة، العظيمــة في الأمم، السـيدة في البلــدان صــارت تحت الجزية.

تبكي في الليل بكاء ودموعهـا على خـديها.. ليس لهـا معـزّ من كل محبيها. كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداء.

قد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية، هي تسـكن بين الأمم لا تجد راحة، قد أدركها كل طارديها بين الضيقات.

طرق صهيون نائحة لعـدم الآتين إلى العيـد.. كـل أبوابهـا خربـة كهنتها يتنهدون.. عذاراها مذللة وهي في مرارة.

أتدري سر كل ما حاق بها؟

قلت: لا شك أنها الذنوب.

قال: أجل.. لقد ذكر إرميا ذلك.. اسمع إليه، وهو يبكي، ويقــول (مراثي أرميا:1/5 ـ 10):

صار مضايقوها رأسا.. نجح أعـداؤها لأن الـرب قـد أذلّهـا لأجـل كثرة ذنوبها، ذهب أولادها إلى السبي قدام العدو.

وقد خرج من بنت صهيون كل بهائها، صارت رؤساؤها كأيائل لا تجد مرعى، فيسيرون بلا قوة أمام الطارد.

قد ذكرت أورشـليم في أيـام مـذلتها وتطوّحهـا كـل مشـتهياتها التي كانت في أيام القدم. عند سقوط شعبها بيد العــدو وليس من يساعدها. رأتها الاعداء ضحكوا على هلاكها.

قد أخطأت أورشليم خطية من أجل ذلـك صـارت رجسـة. كـل مكرميها يحتقرونها لأنهم رأوا عورتهـا وهي أيضـا تتنهـد وترجـع إلى الوراء.

نجاسـتها في أذيالهـا. لم تـذكر آخرتهـا وقـد انحطت انحطاطـا عجيبا. ليس لها معزّ. انظر يا رب الى مذلتي لأن العدو قد تعظم.

بسط العـدو يـده على كـل مشـتهياتها فإنهـا رأت الامم دخلـوا مقدسها الذين أمرت أن لا يدخلوا في جماعتك.

كان يقرأ كلام إرميا بألم شديد.. أعاد إلى نفســي ذكـرى إرميـا وآلامه ومراثيه.

قلت: كف عنك يا أخي.. ذلك زمن بعيد.

قال: ولكنه يعود كل يوم من جديد.

قلت: أرى أنك تدمن على قراءة سفر إرميا.. فلهذا أرى تـأثيره عليك.. فأحزانه تغمرك بالكآبة.. ألك علاقـة بإرميـا جعلت لـك كـل

هذا الاتصال به؟

قال: أجل.. لقد كان إرميا هـو النافـذة الـتي أطللت منهـا على الوجود.

قلت: لم أفهم ما تقصد؟

قال: أنا إرميا.

قلت: مرحبا بك.. أنا أسألك عن سر علاقتك بإرميا.

قال: لقد ذكرت لك أنه النافـذة الـتي أطللت منهـا على جمـال الوجود.

قلت: أي جمال؟

قال: جمال الشمس التي تغمر بأشعتها الكائنات.

قلت: أي شمس؟

قال: وهل هناك شمس غير شمس محمد؟

أصابتني صدمة مما قال، فقلت: أنت أيضا أصابتك العدوى.

قال: ما تقصد؟

قلت: لا أقصد شيئا..

قال: اسمع لي.. لقد ارتحت إليك.. ولهذا سأحدثك عما جــذبني إلى دين محمد.

قلت: كلي آذان صاغية.

قال: لقد كان أول ما جذبني من خلال قراءتي لسفر إرميـا هـو اسم قيدار.. أنت تعلم أنه من ذرية إسماعيل.

قلت: أجل.. لا شك في ذلك.. فالكتاب المقدس يدل عليه.

قال: لقد قرأت في سفر إرميا.. ذلك النبي الذي سماني والدي باسمه قوله:(قال الرب: قوموا اصعدوا إلى قيدار) (إرميا 49/ 28)

لقد كان هذا النص هو الفاتحة التي ابتدأ بها بحثي.. إنه يشير إلى أن لبني قيدار شأنا.. فما ذكرهم الكتاب المقدس إلا لعلة عظيمة.

قلت: أهذا كل ما جذبك من سفر أرميا؟

قال: لا.. هذا أول ما شد انتباهي.. ولهذا لما أعدت قراءته شعرت أنه يتكلم عن محمد.. إنه يكاد يصرح باسمه.

لقد ورد فيه.. بل في الإصحاح الأول منه: (قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك، جعلتك نبيا للشعوب)(إرميا: 1/5)

إن هذه الفقرة تشير إلى محمد.. بل تنطق باسمه..

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنتم تعلمون بأن كل الأنبياء الذين جاءوا بعد إرميا جاءوا لبني إسرائيل خاصة.

قلت: ولكن المسيح جاء لغيرهم.. بدليل أن المسيحية تنتشر في العالم أجمع.

قال: لا.. لقد اكتشفت أن هذا الانتشار أعظم خرافة.. فالمسيح يصرح بأنه لم يرسل إلا إلى بيت إسرائيل.. بل إن المسيح عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية في أن يقصروا الدعوة على اليهود، بل إنه حذرهم من دخول مدن الأمم الأخرى، ولو كانوا جيراناً لليهود، وقد ذكر إنجيل متى ذلك، فقال: (هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل

اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)(متى: 10 : 5)

ليس ذلك فقط.. بل إن المسيح لما بدأ الـدعوة إلى اللـه أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل، ولا تمتد إلى غيرهم، لـذلك تجدونـه يقول في متى(15 ـ 24):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

ألا تعلمون أن (إلا) أداة للحصر، وهي تدل على انحصار رسـالة المسيح ضمن الشعب الاسرائيلي؟

قلت: ولكن.. ألم تقرأ مـا ورد في إنجيـل (مـتى: 38):(اذهبـوا وتلمذوا جميع الأمم)

قال: إن هذا النص معارض بكل النصوص الـتي سـبق ذكرهـا.. ولهذا ذهب المحققون إلى أن هـذه العبـارة إلحاقيـة بإنجيـل مـتى، لأنها لم تذكر في بقية الأناجيل.

ألا ترى من الغرابة أن يختص متى بهذه الرواية دون غيره؟

لقـد اتفقت الاناجيـل الثلاثـة على إيـراد قصـة دخـول المسـيح أورشليم راكباً على جحش، فهل كـان ركوبـه على جحش أهم من عالمية الرسالة!؟

بل إن الكثير من النصوص في إنجيل متى يشير إلى أن رسالة المسيح مختصة بإسرائيل، فقد ورد في إنجيل متى (2 ـ 1):(ولما ولـد يسـوع في بيت لحم اليهوديـة في أيـام هـيرودس الملـك إذا مجـوس من المشـرق قـد جـاءوا إلى أورشـليم قـائلين: أين هـو المولود ملك اليهود ؟)

وينقل متى أن التهمة التي وجهت للمسيح هي أنه ملك اليهود: (فوقف يسوع أمام الـوالي، فسـأله الـوالي: (أأنت ملـك اليهـود؟) فقال له يسوع: (أنت تقول) (متى 27: 11)

قلت: فقد ورد في إنجيل يوحنا مـا يـدل على عمـوم تخليصـه،

ألم تقرأ:(ولي خراف أخرى ليست من هـذه الحظـيرة، وينبغي أن آتي بتلـك)(يوحنـا: 16:10).. وجـاء في نفس الإنجيـل (32:12): (وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع)

قال: من قصد بالخراف الذين من الحظائر الأخرى ؟

قلت: قصد بهم كل من يؤمن به من جميع الأمم؟

قال: لا.. إن مقصد المسيح واضح.. إنه يقصد ما ورد في إنجيل متى (24:15):(لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)

قلت: ولكن خراف إسرائيل من حضيرته.

قـال: لا.. لقـد كـان كـل سـبط من إسـرائيل يشـكل حضـيرة خاصة.. فلهذا كان قصده من سائر الحظائر، أي الأسـباط الإحـدى عشر الأخرى.

قلت: فهل ينطبق هذا النص على محمد؟

قال: أجل.. فهو الوحيد الذي يخبر أنه أرسل إلى الناس كافـة.. وقرآنه يثبت ذلك.. ورسـائله الـتي أرسـلها إلى ملـوك زمانـه تثبت ذلك.

سكت قليلا، ثم قال: ليس هذا فقـط.. إن صـدر هـذه النبـوءة، وهو قول إرميا: (قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلمـا خـرجت من الرحم قدستك) ينطبق تمام الانطباق على محمد.

قلت: كيف؟

قال: لقد أخبر القرآن الكريم أن الله تعـالى أخـذ الميثـاق على كل نبي بعثه من لدن آدم، إلى المسيح أنـه مَهْمَـا آتى اللـه أحـدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليـؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هـو فيـه من العلم والنبـوة من اتبـاع من بعث بعده ونصرته.

وقد نص على هـذا الميثـاق قولـه تعـالى: وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَـابٍ وَحِكْمَـةٍ ثُمَّ جَـاءَكُمْ رَسُـولٌ مُصَـدِّقٌ لِمَـا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُـرُنَّهُ قَـالَ أَأَقْـرَرْتُمْ وَأَخَـذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْـرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَـا مَعَكُمْ مِنَ الشَّـاهِدِينَ (آل عمـران: 81)

ومحمد ﷺ هو الذي جاء بالحق مصـدقاً لمـا معهم بـدليل قولـه تعالى عنه : بَلْ جَاءَ بِـالْحَقِّ وَصَـدَّقَ الْمُرْسَـلِينَ (الصـافات:37)، وقوله تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ وَأَنْـزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ (آل عمران:3)

ساد صمت خاشع المحـل الـذي نجلس فيـه، فقـال: ليس هـذا فقط.. لقد ورد في نبوءة إرميا قوله بعد قولـه السـابق: (فقلت آه يا سيد الرب: إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد، فقـال الـرب لي: لا تقل: إني ولد لانك الى كل من أرسلك إليه تـذهب وتتكلم بكـل مـا آمرك به) (إرميا: 6 ـ 7)

قلت: أهذه الفقرات تشير إلى محمد؟

قال: بل تكاد تنطق باسمه.

قلت: كيف ذلك؟

قال: أنت تعلم أن محمدا كـان أميـا.. وكـان لا يعـرف القـراءة والكتابة كالأولاد الصغار.. ولهذا ذكـر عـدم قدرتـه على القيـام بمـا كلف به.

قلت: أجل.. أعلم ذلك.. والتاريخ يثبت ذلك بالأسانيد الصحيحة.

قال: فهذا النص يثبت هذه الصفة، ويجعلها دليلنا إليه.

زيادة على هذا.. فإن النص يبين خاصية ذكرت لمحمد وهي أنه يتكلم بكل ما أمر به.. وهو يدل على أن كل كلامـه وحي من اللـه،

وقد ثبت ذلك في قرآنه، فقد ورد فيه: وَمَـا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَـوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (النجم:3 ـ 4)

وهو يشير إلى شيء آخر له أهميتـه، وهـو أن هـذا المبشـر بـه أكمل رسالة ربه، وأداها أحسن أداء، وقد ورد في كتاب محمـد مـا يشير إلى هذا، فقد جاء فيـه : الْيَـوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَــوْهُمْ وَاخْشَــوْنِ الْيَــوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً (المائدة: 3)

قلت: صدقت.. هذا واضـح تمامـا.. إن الكتـاب المقـدس الـذي ندين به يفتقر إلى مثل هذا النص.

قال: وفي النص بشارة أخرى تلي مـا سـبق، لقـد ورد فيـه:(لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب)(أرميا: 1/8)

ألا ترى في هذا النص بشارة صريحة بما أمـد اللـه محمـدا من نصر على أعدائه؟

إن أعداء كثرين لا حصر لهم اجتمعـوا على حـرب محمـد ودين محمد في مهده.. لكنهم لم يطيقوا.. واجتمع أعداء آخرون في كل الأزمان.. فلم يملكوا إلا أن يستسلموا أو يسلموا؟

قلت: ولكن المسيحية انتصرت على أعدائها.

قال: أنت تعلم كيف انتصرت.. وبماذا ضحت لتنتصر؟

لقد ضحت المسيحية بالمسيح لتصل إلى العالم.

لـولا أن رجـال الـدين من المسـيحية في مجمـع نيقيـة أرضـوا الامبراطور بتنازلاتهم ما قام للمسيحية دين.

لقد بحثت في ذلك بحوثا مستضيفة.. ربما أعلمـك علومهـا في يوم من الأيام.

صمت، فقال: وفي النص بشارات أخرى.. اسمع هذه البشارة: (ومد الرب يده ولمس فمي وقال الـرب لي هـا قـد جعلت كلامي في فمك) (أرميا:1/9)

هل تعـرف كتابـا في الأرض يمكن نسـبته إلى اللـه غـير كتـاب محمد؟

إن كل الكتب يتحدث مؤلفوهـا، ويسـمون أنفسـهم، ويـذكرون أنسابهم وتواريخهم ما عدا كتاب محمد، فإنه كله كلام الله من أوله إلى آخره.

بل إن الله يعتبر كتاب محمد كلامه، فهو يقول : وَإِنْ أَحَـدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (التوبة:6)، ويقول : سَـيَقُولُ الْمُخَلَّفُـونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَـدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُـدُونَنَا بَـلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً (الفتح:15)

صمت، فقال: وفي النص بشارة أخرى تقول:(انظر قد وكلتــك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس) (أرميا: 1/10)

إن هذا النص لا ينطبق إلا على محمد.. فهو النبي الوحيـد الـذي ســار نحــو الشـعوب المختلفــة لينقــذ المستضــعفين من نــير المستكبرين.

أخـبرني.. هـل في بـني إسـرائيل نـبي سـار نحـو الرومـان أو الفرس أو الهنود؟

أخبرني.. هل قامت حضارة على أساس ديني في عهد أي نبي من أنبياء بني إسرائيل لتشمل العالم أجمع؟

ألم يكن الإسرائيليون منشغلون بأنفسهم عن كل العالم؟

حتى المسيح لما جاء ترك مـا لقيصـر لقيصـر.. تركـه لجبروتـه وطغيانه وعتوه.

قلت: ونبي المسلمين؟

قال: لم يترك قيصرا.. ولا غير قيصر..

لقـد كتب محمـد إلى ملـك الـروم هرقـل، الـذي كـانت ترتعـد الفرائص عند ذكره، هذه الرسـالة الـتي تمتلئ بـالقوة:(بسـم اللـه الرحمن الرحيم. من محمـد عبـد اللـه ورسـوله إلى هرقـل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدي، أسـلم تسـلم، أسـلم يؤتـك اللـه أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْـرِكَ بِـهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْـهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:64)

وكتب إلى جُـرَيْج بن مَتَّي الملقب بـالمُقَوْقِس ملـك مصـر والإسكندرية يقول:(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبـد اللـه ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبـع الهـدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسـلام، أسـلم تسـلم، وأسـلم يؤتـك الله أجرك مرتين، فإن توليت فـإن عليـك إثم أهـل القبـط، ﴿ يَـا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَـالَوْاْ إِلَى كَلَمَـةٍ سَـوَاء بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللّـهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضـاً أَرْبَابًـا مِّن دُونِ اللّـهِ فَـإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:64)

وكتب إلى إلى كسرى ملك فارس: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسـرى عظيم فـارس، سـلام على من اتبع الهدي، وآمن بالله ورسوله، وشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً ويحـق القـول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك)

وكتب إلى ملك عمان جَيْفَر وأخيه عبد ابني الجُلَنْدَي: (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدي، أما بعد.. فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما [أن تقرا بالإسلام] فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما)

صمت، فقال: أنا أعرف ما يتلاعب به قومي حين يترجمون النصوص المقدسة.. لقد مارست ذلك يوما، بل أياما.

وأنا الآن سأقرأ لك نصا من سفر إرميا.. في نسخة قديمة منه.. ذكرها علي بن ربن الطبري.. وهو مسيحي هدته دراسة الموضوعية الصادقة للكتاب المقدس ليستنير بشمس محمد.

لقد ذكر هذا المهتدي أنه كان في الفصل التاسع عشر من سفر إرميا قوله حاكيا عن الله تعالى: (إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم، وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلها، ويكونون لي شعبا، ولا يحتاج الرجل أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة، ولا إلى أن يقول له أعرف الرب، لأن جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم، وأنا أغفر لذلك ذنوبهم، ولا أذكرهم بخطاياهم)

وقد قال هذا المهتدي معلقا على هذه النبوءة: (وقد صدق وعد الله، وازدرع حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها، وأنطق ألسنتهم بشرائعه وتحاميده، وكل عارف بالله مؤمن به.. واقرأ قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾ (المائدة: 3)، وقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: 110)، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ (البقرة: 165) حبا لله)، وتأمل ما وصف الله به هذه الأمة في

هذه النصوص من صفات خيّرة مباركة، فستجد أنها مماثلة لما وصفها الله به على لسان أرميا.

قال هذا، ثم انصرف إلى بكائه.

قلت: ما بالك يا رجل.. إن المبشرات التي ذكرتها تدعوك إلى الفرح لا إلى الحزن.

قال: يحزنني أن نكون من هذه الأمة التي شرفت كل هذا الشرف.. وأنارت عليها تلك الشمس العظيمة.. ثم نرغب عنها إلى المستنقعات نشرب مياهها، وإلى الجحيم نحرق أنفسنا بها.

قلت: أنت حزين على قومك.

قال: وحزين على قومك.. وقد ورثت هذا الحزن من الشمس التي أستنير بأشعتها.. فقد كان محمد ﷺ مملوءا رحمة ولطفا ومودة.. فلذلك كان يحزن لإعراض الخلق عن الله حتى قال له ربه :﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء:3)، وقال له :﴿ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:176)، وقال له :﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (لقمان:23)

كان يقرأ بخشوع تتصدع له القلوب..

تركته.. وقد امتلأت بحيرة جديدة.. أنشأت بصيصا جديدا من النور اهتديت به إلى شمس محمد ﷺ.

بشارة المسيح

في اليوم الثامن سرت في البرية المقدسة التي سار عليها المسيح، وهو يبشر بدين الله.. شعرت بشوق عظيم يشدني إلى المسيح..

ولكن المسيح الذي اشتاقت نفسي إليه يختلف عن المسيح الذي لقنت صفاته في الكتاب المقدس.. لم أكن أدري كيف جاءني ذلك الشوق، ولا أي مسيح تحركت أشواقي إليه؟

لكني ـ مع ذلك ـ شعرت بلذة عظمية، وروحانية عميقة.. أتذوقها، ولا أتعقلها.. أعيشها، ولكن لا أستطيع أن ألمسها، أو أدرك سرها.

بينما أنا في تلك الحال إذا بي أرى رجلا له هيئة المسيح التي أعرفها.. قسمات وجهه، وألوان ثيابه، وطريقة سيره.. وفوق ذلك أشياء أشعر بها جعلتني أنجذب إليه، كما أنجذب إلى المسيح.

اقتربت منه، وقلت له: أنت تريد أن تقطع هذه البرية المباركة التي سار عليها المسيح، فهلم لنقطعها جميعا.. ونتبرك بآثار خطى المسيح.

قال: شكرا.. أنا الآن سائر في مهمة من المهام التي سار من أجلها المسيح، فهلم لنتعاون عليها.

قلت: كيف هذا؟

قال: أعرفك بنفسي أولا.. أنا عيسى.. وتستطيع أن تطلق علي يسوع.. كلاهما اسمان لي..

قلت: تشرفت بمعرفتك.. وأنا محب للمسيح جاء من البلاد التي تغرب منها الشمس، ليشم عطر الهواء الذي كان يشمه المسيح.

قال: أنت ممتلئ بحب المسيح إذن؟

قلت: ومن لا يمتلئ بحب المسيح؟

قال: أعداؤه الذين يظهرون وده.. وهم أخطر من أعدائه الذين يظهرون عداوته.

قلت: أيمكن أن يكون هناك أعداء يظهرون المودة؟

قال: اثنان: ضال، ومنافق.

قلت: فهل وجد الاثنان؟

قال: أما الثاني منهما.. فقد لا يوجد الآن..

قلت: والأول؟

قال: كثيرون هم.. كثيرون جـدا.. لا يمكنـك أن تحسـبهم.. فهم ينتشرون في القارات السبع.

قلت: دعني من الإلغاز وأخبرني ما تقصد.

قـال: في قلبـك أشـواق للمسـيح.. فـأخبرني أي المسـيحين اشتقت إليهما؟

قلت: هناك مسيح واحد.. ذلك الـذي صـلب من أجـل خلاصـنا.. ذلك الذي أرسله اللـه ليطهرنـا على خشـبة الصـليب من الخطيئـة التي أوقعنا فيها آدم.. إنه ابن اللـه الوحيـد، المولـود من الأب قبـل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غـير مخلـوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كـان كـل شـيء، الـذي من أصـلنا نحن البشر، ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنسـاناً، وصـلب في عهـد بيلاطس النبطي، وتـألم، وقـبر، وقـام من بين الأمـوات في اليـوم الثالث كما في الكتب، وصـعد إلى السـماء وجلس عن يمين الأب، وأيضاً أتى في مجـده ليـدين الأحيـاء والأمـوات، الـذي ليس لملكـه

انقضاء.

كنت أقرأ من قانون الإيمان الذي يحفظه كل مسيحي بخشوع، ولم أكن أقصد من ذلك إلا أن أؤثر في مـرافقي، وأدخلـه حضـيرة الإيمان الذي لا يكاد عقلي يتقبله.

قال: هناك مسـيح آخـر هـو نفس هـذا المسـيح، ولكنـه مسـيح بسيط لا يحمل كل هـذه الألغـاز الـتي تحملونهـا.. إنـه إنسـان ولـد بمعجزة، وتحققت في حياته معجـزات كثـيرة، لتكـون برهانـا على صدقه، وعلى صدق البشارة التي جاء بها.

قلت: هذه إهانة للمسيح لا رفعة له.

قال: لست أدري من الذي يهينه.. من يعتقد إنسـانيته الرفيعـة، أم الذين يتصورون أنهم يرفعونه.. ولكنهم، وفي كتـابهم المقـدس، يحملون صورا مهينة له.. لا يمكن لعاقل أن يعتقدها.

قلت: في كتابنا المقدس هذه الصورة المشوهة للمسيح؟

قـال: أجـل.. أليسـت هي الكتب الـتي تظهـر المسـيح بصـورة المسارع إلى الشتم واللعنة.. يشتم كل من يقابلـه، ويلعن كـل من لا يقبله؟

قلت: كيف تقول هذا؟.. إن المسيح هو مثال الرحمـة والسـلام والمحبة.. أليس هو الذي يقول: (أريد رحمـة لا ذبيحـة)(مـتى: 9 : 13)؟

قال: أنتم تنقلون عنه هـذه الكلمـات القليلـة لتجملـوا صـورته، ولكنها أضعف من أن تقاوم الصـورة الـتي شـوهتموها بمـا نسـبتم إليه من أقوال وأفعال.

أنتم تجلعون لسانه الممتلئ بذكر الله، الغارق في التبشـير بـه، لسـانا ممتلئـا سـبابا وشـتائم ولعنـات مـع أنكم تعلمـون بــ (أن الشتامين لا يرثون ملكوت الله) كما صرح بذلك بولس في رسالته

الأولى الي كورنثوس(6 : 10)

ألستم الذين نسبتم إلى المسيح شتمه لتلك المرأة الكنعانية الطيبة، بل جعلتموه يعتبرها من زمرة الكلاب؟.. ألستم الذين تررون في متى (15 :ـ 26) أنه عندما جاءت المرأة الكنعانية تسترحمه بأن يشفى ابنتها رد عليها قائلاً:(لا يجوز أن يأخذ خبز البنين، ويرمى للكلاب)؟

وبعدما أراقت هذه المرأة المسكينة آخر نقطة من ماء وجهها، وأقامت الحجة بقولها للمسيح: (والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها)، حقق لها أملها، وشفيت ابنتها (متى 15 : 27)

أنتم تروون هذا، وتتباهون به، بل وتجعلونه من دلائل ألوهيته.. مع أنه لو وقف مثل هذا الموقف أي إنسان، فإنكم تتهمونه بالعنصرية، وبقساوة القلب، وبسوء الأدب.

ليس ذلك فقط.. فموسوعة الشتائم التي نسبتموها للمسيح لا تقف هنا:

فالمسيح ــ على حسب كتابكم المقدس ــ يمتد إلى الأنبياء الكرام ليصفهم باللصوص.. ألستم تقرأون في يوحنا (10 ـ: 7) أن المسيح قال: (أنا باب الخراف، وجميع الذين جاءوا قبلي سارقون ولصوص)

أنتم تجعلون المسيح رمزا للسلام، وتروون عن المسيح وصيته للتلاميذ بمحبة الاعداء والإحسان إليهم.. أليس كذلك؟

قلت: بلى..

قال: ولكنكم عندما تصورون حياة المسيح تصورونها بصورة المناقض لأقواله، فهو لا يبغض أعداءه فقط، وإنما يبغض أقرب الأقربين إليه، ويسبه، ويلقي الشتائم عليه.

ألستم تروون أنه أهان أمه وسط الحضـور، فقـال لهـا: (مـالي ولك يا إمرأة) (يوحنا:2 : 4)؟

ألستم الـذين تـروون إهانتـه لمعلمي الشـريعة بقولـه لهم: (يـا أولاد الأفاعي)(متى:3 :ـ 7)؟.. وبقوله لهم: (أيها الجهال العميـان) (متى:23 : 17)؟

ألســتم الــذين تــروون إهانتــه لتلاميــذه، وشــتمه لهم، إذ قــال لبطرس كبير الحـواريين: (يـا شـيطان) (مـتى:16 :ـ 23)، وشـتم آخرين منهم بقولـه: (أيهـا الغبيـان، والبطيئـا القلـوب في الإيمـان) (لوقا 24 : 25).. مع أنه هو نفسه الذي قال لهم: (قد أعطى لكم أن تفهموا أسرار ملكوت الله)(لوقا: 8 : 10)؟

ألستم الـذين جعلتمـوه يشـتم أحـد الـذين استضـافوه ليتغـدى عنـده، وجعلتمـوه يشـتمه في بيتـه.. أليس في الكتـاب المقـدس: (سأله فريسي أن يتغذى عنده، فدخل يسوع واتكأ، وأما الفريسـي فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء، فقال له الرب: (أنتم الآن أيهـا الفريسـيون تنقـون خـارج الكـأس، وأمـا بـاطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً يا أغبياء، ويل لكم أيها الفريسيون)، فأجــاب واحد من الناموسيين، وقال له : يـا معلم، حين تقـول هـذا تشـتمنا نحن أيضاً، فقال:(وويل لكم أنتم أيها الناموسيون) (إنجيل لوقـا:11 : 39)؟

ألستم الذين نسبتم إليه قولـه لهـيرودس:(قولـوا لهـذا الثعلب) (لوقا: 13 : 32)؟

ألستم الذين جعلتموه يطلب من تلاميـذه عـدم إفشـاء السـلام في الطريق(لوقا:10:4)؟

ألستم الذين قولتمـوه: (لا تعطـوا القـدس للكلاب ولا تطرحـوا درركم قدام الخنازير)(متى:7 : 6)؟

ألستم الذين جعلتموه يكذب على إخوته.. لقد رويتم في إنجيل

يوحنـا(7 :ـ 3) أن إخـوة المسـيح طلبـوا منـه أن يصـعد إلي عيـد المظال عند اليهود، فرد عليهم قائلاً: (اصعدوا انتم إلي العيـد، فأنـا لا أصعد إلي هذا العيد.. ولما صعد إخوتـه إلي العيـد، صـعد بعـدهم في الخفية لا في العلانية)؟

أنتم تــروون وصــيته لكم بأعــدائكم، ولكنكم في نفس الــوقت تجعلونه يقول بكل قسوة: (أما أعدائي الـذين لم يريـدوا أن أملـك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحـوهم قدامي) (لوقا: 19 : 27)

نعم.. أنتم تتقنــون الفــرار.. فتهربــون من قســوة هــذا القــول بشتى محاولات التأويل والتحريف، فتارة تذكرون أن هـذا سـيكون يوم القيامة مع أن النص واضـح، فالمسـيح يقـول: (فـأتوا بهم إلى هنا)، وليس فيه أي إشارة إلى يوم القيامة.. وتارة تقولون: إن هذا مثــل، مــع أنكم تعلمــون أن المثــل انتهى عنــد الفقــرة السادســة والعشرين من نفس الإصحاح..

أنتم لم تكتفوا بكل ذلك.. بل جعلتموه يتجرد من أبسط مظاهر الرحمة ليلعن شجرة مسكينة لا ذنب لها سوى أنهـا لم تثمـر.. ولم تثمر من عندها، بـل لأنـه لم يكن وقت الثمـر.. ألسـتم تـروون في (مرقس:11 :ـ 12):(وفي الغد، بعدما غادروا بيت عنيـا، جـاع. وإذ رأى من بعيد شجرة تين مورقة، توجـه إليهـا لعلـه يجـد فيهـا بعض الثمر. فلما وصل إليها لم يجد فيها إلا الورق، لأنه ليس أوان الـتين. فتكلم وقال لها: (لا يأكلن أحد ثمرا منك بعد إلى الأبد)؟

ولم تكتفوا بالشجر، بل رحتم تنسبون إلحـاق الأذى بالحيوانـات البريئة.. بل تجلعونه يتسبب بمقتـل ألفي حيـوان في وقت واحـد.. ألستم تروون في (مرقس: 5 :ـ 11):(وكان هناك قطيع كبـير من الخنازير يرعى عنـد الجبـل، فتوسـلت الأرواح النجسـة إلى يسـوع قائلة: أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها، فـأذن لهـا بـذلك، فخـرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنـازير، فانـدفع قطيـع الخنـازير من على حافة الجبل إلى البحيرة، فغرق فيها، وكان عدده نحو ألفين)؟

ألا تسألون أنفسكم: ما ذنب الخنـازير وصـاحب الخنـازير، حين أراد إخراج الشياطين من المجنون؟.. ألم يكن من الأجـدى إخـراج الشياطين دون الإضرار بالخنازير؟!

أنتم تجلعونه رمزا للسلام، لكنكم تشوهون السلام الـذي يـدعو إليه بما تنسبون إليه من سلوك.. ألستم تروون أنه صنع سوطا من الحبال، ودخل به الهيكل، وطرد جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه وبعثر دراهمهم وقلب موائدهم.. لا يمكنك أن تكذب ذلك.. فقد جاء في (يوحنا:2 :ـ 14):(وإذ اقترب عيد الفصح اليهـودي، صـعد يسوع إلى أورشليم، فوجد في الهيكل باعة البقر والغنم والحمـام، والصـيارفة جالسـين إلى موائـدهم، فجـدل سـوطا من حبـال، وطردهم جميعا من الهيكل، مع الغنم والبقر، وبعثر نقود الصـيارفة وقلب مناضدهم)

ألا يحمل هذا السلوك عنفا غير مبرر؟.. كان في إمكـان يسـوع المحبة أن يتصرف بما تمليه المحبة والسلام اللذان يدعو إليهما.

ألستم تروون في سـفر الرؤيـا [2 :ـ 21 ـ 23] أن مسـيح المحبة قال عن إمرأة اسمها إيزابل كانت تـدعي انهـا نبيـة: (فـإني سألقيها على فراش، وأبتلي الزانين معها بمحنـة شـديدة..وأولادهـا أقتلهم بالموت، فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب، وأجازي كل واحد منكم بحسب أعماله)

فهل من المحبة والرحمة أن يقتل الأطفال بذنب أمهم؟

نعم أنتم تروون وصيته لكم بأعدائكم، ولكنكم في نفس الوقت تجعلونه يـأمركم بكـل قسـوة ببغض أقـرب النـاس إليكم.. ألسـتم تروون قوله في (لوقا:14ـ 26):(إن جاء إلي أحد، ولم يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده وإخوته وأخواته، بل نفسه أيضا، فلا يمكنه أن يكون تلميذا لي)؟

بـل أنتم تناقضـون أنفسـكم حين تجعلـون من رسـول السـلام يقول: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي

سلاما، بل سيفا.فـإني جئت لأجعـل الإنسـان على خلاف مـع أبيـه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها) (متى: 10 : 34)

بل جعلتموه يقول: (جئت لألقي على الأرض نـارا، فلكم أود أن تكون قد اشتعلت؟) (لوقا 12 : 49)

بـل جعلتم اللـه نفسـه نـارا.. ألم يقـل صـاحبكم في رسـالة العبرانيين [12 :ـ 29]:(لأن إلهنا نار آكلة).. بـل جعلتمـوه يتجـرد من الرحمة ويترك ابنـه يلاقي أبشـع أنـواع العـذاب دون ذنب وهـو يصرخ بصوت عظيم: (إلهي إلهي لماذا تركتني ؟)(متى :27 : 46)

التفت إلي، وقال: هل تراني زدت شيئا في كتـابكم ؟.. إن كـل مـا قرأتـه من كتبكم المقدسـة.. إنهـا تحمـل صـورة مشـوهة عن المسيح نرفضها ـ نحن المسلمين ـ رفضا شديدا.

قلت: فما الصورة التي تحملونها عنه؟

قال: لا تكفي كل هذه الطريق التي نقطعها في وصف روحانية المسـيح وأخلاق المسـيح كمـا وردت في القـرآن الكـريم، ولكنهـا صورة من أجمل الصور.. لعلها هي الصورة التي تحرك لها قلبك..

إن القرآن الكريم يعرض الصورة الحقيقية للمسـيح من لحظـة ولادتـه إلى نهايـة وجـوده على الأرض.. فهـو يـبين حقيقـة هـذه الشخصية.. ويصور أهداف دعوتهـا، وأركـان رسـالتها، ومـا أكرمهـا الله به من معجزات..

إن القرآن الكريم يصف المسيح بأشرف الأوصـاف.. فهـو عبـد لله ليس إلها، ولا ابن إله.. إنـه ابن امـرأة طـاهرة ظهـرت براءتهـا على لسان رضيعها، الذي نطق في المهد، مبينـا حقيقتـه ورسـالته وسمو أخلاقه، قال تعالى: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْـفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَـانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْـدُ اللَّهِ آتَـانِيَ الْكِتَـابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكـاً أَيْنَ مَـا كُنْتُ وَأَوْصَـانِي بِالصَّـلاةِ وَالزَّكَـاةِ مَـا دُمْتُ حَيّـاً وَبَـرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ

وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (مريم:29 ـ 33)

وما كانت ولادته بهذه الصورة، إلا لأنه آية للناس على قدرة الله.. وقد سبقه في الولادة بهذه الطريقة المعجزة آدم أبو البشر، ولهذا قرن الله بينهما، فقال: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(آل عمران : 59)

والمسيح ــ في النظرة القرآنية ــ لا يختلف عن إخوانه من النبيين والمرسلين، فهو بشر مخلوق، ونبي مرسل، قال تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (الزخرف: 59)

ولذلك هو يمتلئ تواضعا وعبودية لخالقه، بل يتشرف بذلك، قال تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (النساء : 172)

والقرآن الكريم يبرهن بالدلائل المختلفة على هذه العبودية التي لا تجد العقول بدا من الخضوع لها، قال تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (المائدة : 75)

أما وظيفته، فهو لم يأت إلا بالحكمة التي تملأ القلوب بالإيمان، والسلوك بالرفعة، قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (الزخرف : 63)

وقد أرسل كسائر النبيين برسالة خاصة إلى قوم مخصوصين، قال تعالى مبينا إرساله إلى طائفة محددة من البشر : وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ (الصف : 6

)، وقال تعالى:﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُـولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(آل عمران : 48)

وقد عرض القرآن الكريم بعض نواحي الرسـالة الـتي جـاء بهـا المسيح، والـتي لا تـزال بعض آثارهـا فيمـا لم يحـرف من نصـوص الأناجيل:

فمن رسالته مـا نص عليـه قولـه تعـالى:﴿ وَقَفَّيْنَـا عَلَى آثَـارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيـهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَـةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾(المائدة : 469

ومن أهم ما جاء به في رسالته التبشير بمجـيىء النـبي الخـاتم ﷺ، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْـرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَـا بَيْنَ يَـدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّـراً بِرَسُـولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْـمُهُ أَحْمَـدُ فَلَمَّا جَـاءَهُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ قَـالُوا هَـذَا سِـحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف:6)

التفت إلي، وقـال: إن شـئت أخبرتـك بـأن مـا في أيـديكم من الأناجيل تحمل هذه البشارة، رغم ما لحق بها من تحريف.

قلت: لا أرى في الأناجيل ما تذكر.

قال: لأنكم لا تقرأون الإنجيل بعقـولكم.. فـإن شـئت أن تقـرأه بعقلك.. فهلم أحدثك عن بشارات المسيح.. فليس لي من هم في هذه الطريق التي سار فيها المسيح إلا أن أبشر ببشارات المسيح.

قلت: أنا طوع أمرك.. حـدثني.. ولكن لا تـذكر لي من الأناجيـل إلا ما أعرفها..

قال: لك علي ذلك.. لم يبشر المسيح بالنبي ﷺ ـ على حسـب أناجيلكم ـ في موضع واحد، بل بشر به في مواضع كثيرة، سأقتصر على مواضع منها.

الفارقليط:

قلت: فما أولها؟

قـال: أعظم بشـارات المسـيح ــ على حسـب الأناجيـل ــ هي نبوءات المسيح عن مجيء الفارقليط رئيس هـذا العـالم، وحسـب نسخة الرهبانية اليسوعية (سيد هذا العالم)

وقد انفرد يوحنا في إنجيله بذكر هـذه البشـارات المتواليـة من المسيح بهذا النبي المنتظر، حيث يقـول المسـيح موصـياً تلاميـذه: (إن كنتم تحبونــــني، فـــاحفظوا وصــــاياي، وأنـــا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخـر، ليمكث معكم إلى الأبـد، روح الحـق الـذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونـه لأنـه مـاكث معكم، ويكـون فيكم.. إن أحبـني أحـد يحفـظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منـزلاً.

الذي لا يحبـني لا يحفـظ كلامي، والكلام الـذي تسـمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني، بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعــزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شــيء، ويذكركم بكل مـا قلتـه لكم.. قلت لكم الآن قبـل أن يكـون، حـتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العــالم يأتي، وليس له فيّ شيء) (يوحنا 14/15 – 30)

وفي الإصحاح الذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياه، ثم يقول: (متى جاء المعزي الـذي سأرسـله أنـا إليكم من الآب، روح الحــق الــذي من عنــد الآب ينبثــق، فهــو يشــهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي في الابتداء.. قـد كلمتكم بهـذا لكي لا تعثروا، سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيهـا يظن كـل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله.. قد ملأ الحزن قلوبكم، لكني أقـول لكم الحق: إنـه خـير لكم أن أنطلـق، لأنـه إن لم أنطلـق لا يـأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيــة وعلى بــر وعلى دينونــة، أمــا على خطيــة فلأنهم لا

يؤمنـون بي، وأمـا على بـر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونـني أيضـاً، وأمـا على دينونـة فلأن رئيس هـذا العـالم قـد دين.. إن لي أمـوراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تسـتطيعون أن تحتملـوا الآن، وأمـا متى جاء ذاك، روح الحق، فهـو يرشـدكم إلى جميـع الحـق، لأنـه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسـمع يتكلم بـه، ويخـبركم بـأمور آتيـة، ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) (يوحنا 15/26 - 16/14)

ألا ترى أن المسيح يتحدث عن قادم يأتيهم؟

قلت: بلى.. هذه النبوءة تتحدث عن هـذا القـادم.. ولكنـه ليس الذي تزعم..

قال: فمن هو؟

قلت: إنه روح القدس الذي نـزل على التلاميـذ يـوم الخمسـين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح، وهناك (صار بغتـة من السـماء صـوت كمـا من هبـوب ريح عاصـفة، وملأ كـل الـبيت حيث كـانوا جالسين، وظهرت لهم ألسـنة منقسـمة كأنهـا من نـار، واسـتقرت على كـل واحـد منهم، وامتلأ الجميـع من الـروح القـدس، وابتـدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا)(أعمـال 2/1 ـ 4)

قال: أهذا وحده ما تفسرون بـه هـذه البشـارة الخطـيرة الـتي كانت من أهم ما احتوته رسالة المسيح؟

قلت: لا تذكر أسفار العهد الجديد شيئاً سوى ما ذكرت لـك عن هذا الذي حصل يوم الخمسين من قيامة المسيح..

قال: أنا لا أكذب ما ذكره الحواريون.. ولكن هذه الكرامة الـتي حصلت لهم، والتي قد تحصل لأي ولي من أولياء الله في أي زمان وأي أمـة لا تسـتدعي تلـك البشـارة العظيمـة.. فلم نعهـد الأنبيـاء يبشرون بآحاد الكرامات، ويعتـبرون التبشـير بهـا أصـلا من أصـول

رسالتهم.

ولنفرض أنهم فهموا البشارة بهذا الفهم.. فهل هذا يعني أن ما فهموه صحيحا.. لو أنكم طبقتم الكثير من البشارات التي فسرها هؤلاء التلاميذ أو غيرهم لما وجدتم انطباق الكثير منها على ما طبقوه؟.. فهذه من تلك.. وهم معذورون إن اجتهدوا في التفسير وأخطأوا في التوفيق للصواب.

إن هذه البشارة تنص على أمر عظيم يتعلق بالبشر جميعا.. لا بتلاميذ محصورين.. فإن أذنت لي ذكرت لك من هذا المعزي الذي هو رئيس هذا العالم.

لم أملك إلا أن أوافق على طلبه، فقد كان لكلامه من الحلاوة ما يأسر القلوب.. إن فيه نفحات كثيرة من روح المسيح تشمها، ولكن لا تستطيع التعبير عنها.

قال: أولا.. أنت تعلم أن لفظة (المعزي) لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمة، كترجمة 1820م، وترجمة 1831م، وترجمة 1844م تضع الكلمة اليونانية (البارقليط) كما هي، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية.

أتدري ما معنى هذه الكلمة؟

قلت: إنها تعني العزاء.. فالبارقليط هو المعزي(1).

1) هذا معنى من المعاني المختارة في بعض ترجمات الكتاب المقدس، وفي بعضها الآخر نجد كلمة (شفيع) بدلها كما في الجدول التالي:

نسخة فانديك المعتمدة ط 1977	**نسخة كتاب الحياة ط 1988**
يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا. وإن أخطأ أحَدٌ فلنا **شفيع** (παρακλητον) عند الآب يسوع المسيح البار.	يا أولادى الصغار أكتب إليكم هذه الأمور لكى لا تخطئوا. ولكن إن أخطأ أحدكم فلنا عند الآب **شفيع** (παρακλητον) هو يسوع المسيح البار.
نسخة الكاثوليك ط 1993	**نسخة الآباء اليسوعين ط**

قــال: قبــل أن أجيبــك عن معناهــا بحســب مــا ورد في لغتهــا الأصلية أود أن أنبهك إلى أصل من أصول التحريف الـتي يمارسـها قومك، كما مارسها بنو إسرائيل من قبلهم.

قلت: ما هو؟

قال: أرأيت لو أن اسـمك يوحنـا أو بـولس أو أي اسـم ترضـاه لنفسك، فجئت، وترجمته، وترجمت اسم والدك، واسم البلـد الـتي تسـكن فيهـا، ثم وضـعت هـذه المعلومـات المترجمـة جميعـا على كتاب أنت ألفته.. لأقول للقارئين: إن مؤلف الكتاب هو فلان.. هــل ترضى بذلك؟.. وهل يعرف القارئون المؤلف الحقيقي للكتاب؟

قلت: لا.. فالأسـماء توضـع للدلالـة على المسـمى، وليسـت

ففي هذا الجدول نلاحظ أنَّ الترجمات العربية اتفقت على ترجمة كلمة بارقليط إلى **شفيع** (وموقعها فى الجملة اليونانية هنا فى وضع المفعول به وتنطق **بارقليطون** مع ملاحظة أنَّ الحرفين الآخرين (ον) هما علامة الإعراب اليونانية هنا وليسا من أصل الكلمة وأنَّ حرفى القاف والطاء قد تحولا إلى الكاف والتاء)

وقد ذهب علماء المسيحية إلى القول بأنَّ أصل المصطلح بارقليط هو الكلمة اليونانية التى تنطق **باراكاليو** (παρακαλεω). وهذه الكلمة باراكاليو معناها يستغيث بـ أو يستنجد بـ. وأنَّ الاسم المشتق منها هو **براكليسس** (πρακλησις).

والشفاعة المقصودة هنا فى رسالة يوحنا معناها الوساطة التى يقوم بها المسيح ﷺ بين أتباعه وبين الآب الأقنوم الأول عندهم.

والكلمة اليونانية المُعَبِّرة عن تلك الوساطة هى (εντνγχανω) وكما يلاحظ القارىء أنها كلمة أخرى تختلف عن الكلمة التى استخدمها يوحنا وهى بارقليط (παρακλητον).

وهناك كلمات أخرى تؤدى معنى كل من الشفاعة والوساطة والمُحَاماه.. وكلها تختلف فى رسم حروفها وطريقة نطقها عن الكلمة التى استخدمها يوحنا، مما يدل على أنَّ المصطلح اليوحناوى ليس يونانيا فى أصل لغته.

وإذا ذهبنا إلى التراجم الإنجليزية، الأقرب إلى اليونانية من العربية نجد أنَّ المصطلح اليوحناوى قد تمت ترجمته فى ذلك الموضع إلى عدة كلمات إنجليزية ولم يتفقوا على كلمة واحدة أو كلمتين كما اتفقت الترجمات العربية. وأنهم لم يحاولوا أن يكتبوه كما هو فى أصله رغم أنهم يعلمون أنه اسم عَلم مُذكر، **فقالوا** (Advocate) وذلك فى النسخ (KJV , PME , RSV , JB , NASB) بمعنى محام يدافع عنهم أمام الآب، **وقالوا** (Someone to plead for you) أى أنَّ هناك من يدافع أو يترافع عنهم أمام الآب، وقد وردت هذه الترجمة فى نسخة (LB) وقريبا منها فى نسخة (NEB). **وقالوا** (One who speaks to the Father) أى الذى يكلم الآب وذلك فى نسخة (NIV) (انظر: نبي أرض الجنوب)

مقصودة لذاتها.

قال: وهل يمكن أن تتهم الذي فعل هذا بكتابك؟

قلت: أجل.. فقد يكون قصده خبيثا.

قال: هذا ما فلعه قومك، وبنو إسرائيل من قبلهم، فقد عمدوا إلى أسماء الأعلام يترجمونها، ويغمضون في الترجمة ليشتد إلغاز النبوءة.. وسأضرب لك أمثلة على ذلك:

فقد جاء في المزامير (84/6) عندما ذكرت المزامير اسم مدينة المسيح القادم، أسمتها: وادي بكة [בְּעֵמֶק הַבָּכָא]، وتقرأ (بعيمق هبكا)، فترجمها المترجمون إلى العربية إلى وادي البكاء، وترجمتها نسخة الرهبانية اليسوعية إلى (وادي البَلَسان)؛ لتضيع دلالتها على كل عربي يعرف أن بكة هي بلد محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:96)

وقد ضرب رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) لهذا الصنيع من المترجمين ثلاثة عشر مثالاً قارن فيها بين طبعات مختلفة للكتاب المقدس، ليقف منها على أثر هذا الصنيع في ضياع دلالات النصوص:

منها أنه جاء في الطبعة العربية (1811م) سمى إبراهيم اسم الموضع (مكان يرحم الله زائره)(انظر التكوين 22/14)، فاسم المكان العبراني أبدله المترجم بمعناه، وفي طبعة (1844م) العربية قال: (دعا اسم ذلك الموضع (الرب يرى)، وبذلك ضاع الاسم الصحيح، واختلفت المعاني، ومثله كثير)

ثم قال: (فهؤلاء المترجمون لو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر، فلا استبعاد منهم)

وقد نقل هذا العلامة الجليل عن حيدر القرشي صاحب كتاب (خلاصة سيف المسلمين) قوله: (إن القسيس أوسكان الأرمني

ترجم كتاب إشعياء باللسان الأرمني في سنة ألف وستمائة وست وستين، وطبعت هذه الترجمة في سنة ألف وسبعمائة وثلاث وثلاثين في مطبعة أنتوني بورتولي، ويوجد في هذه الترجمة في الباب الثاني والأربعين هذه الفقرة: (سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وأثر سلطنته على ظهره، واسمه أحمد (إشعيا 42/10 – 11))(1)

قلت: ما علاقة هذا بما نحن فيه؟

قال: هل كان المسيح يتكلم باللسان الآرامي أم باللسان اليوناني؟

قلت: بل كان يتكلم الآرامية.. ألا تعلم أن المسيح كان إسرائيليا؟

قال: وإنجيل يوحنا.. ما هي اللغة الأصلية التي كتب بها؟

قلت: كتبه باليونانية..

قال: وبماذا يقرؤه المسيحيون الآن؟

قلت: كل يقرؤه بلغته.. فنحن نقرؤه بالألمانية، وأنتم تقرأونه بالعربية.

قال: فالإنجيلي الرابع إذن يوحنا ترجم اسم المبشر به من الآرامية إلى اليونانية، بحسب طريقتهم في الترجمة من ترجمة المعنى، ثم ترجمتموه أنتم إلى العربية، أو إلى أي لغة أخرى.. ولم تحرصوا على الحفاظ على الاسم كما هو.

قلت: هذا صحيح.. ولا يمكن أن أجادلك فيه.. ولكن لا بد من هذا، فنحن لا نعتبر البارقليط علما، بل نعتبره وصفا.

قال: فسنبحث إذن في المراد من هذا الوصف على حسب اللغة اليونانية..

---

1) انظر : إظهار الحق، رحمة الله الهندي (4/1097 – 1107)، (4/1208 – 1209)

قلت: لا بأس.

قال: الكلمة اليونانية هي بـاراكليتوس (Paracletos) وهي تعـني المحامي أو المؤيد أو الشفيع (Advocate) الذي يُدعى لمساعدة أو معاونة إنسان آخر، وتعني الصديق أو الولي الـودود الحنـون.. وقـد تـرجمتم هـذه الكلمـة بــ (المعـزى) في اللغـة العربيـة، وبكلمـة (كومفورتر) (Comforter) في النسخة الإنجليزية.

أليس ذلك صحيحا؟

قلت: بلى..

قـــال: ألا تعلم أن كلمـــة (بـــيريكليتوس((Periclytos)، تعـــني المستوجب للحمد.. والتي قد تترجم في اللغة العربية بـ(محمد)

قلت: أعلم ذلــك.. ولكن الكلمــة الــتي جــاءت في يوحنــا هي باراكليتوس (Paracletos) لا (باراكليتوس) (Paracletos)

قـــال: ولكن الفـــرق بينهمـــا يســـير جـــدا، فهمـــا تحملان نفس الحروف.. وليس هناك من فرق بينهما غير بعض الحركات التي قد يكون للزمن تأثير فيهـا.. زيـادة على هـذا، فقـد ظهـرت مثـل تلـك الأخطاء في كتابة أناجيل العهد الجديـد لعـدم وجـود مسـافات بين الحـروف في النص اليونـاني، وذلـك قـد ينتج عنـه أن تغفـل عين الكاتب كلمة تشبه أخرى أو تقاربها فى المكان.

ثم بعد ذلك ألا ترى أن للزمن تأثيره في اللهجات واللغات؟

صمت، فقال: لقد ذكر رحمـة اللـه الهنـدي أنـه وصـلته رسـالة صغيرة من رسائل القسيسين، وكانت هذه الرسالة قد طبعت في كلكتــه، وكـــانت في تحقيـــق لفـــظ بارقليـــط، وادعى مؤلفهـــا أن مقصوده أن ينبـه المسـلمين على سـبب وقـوعهم في الغلـط من لفـظ بارقليـط، وكـان ملخص كلامـه:(أن هـذا اللفـظ معـرب من اللفظ اليوناني، فإن قلنا أن هـذا اللفـظ اليونـاني الأصـل بـاراكلي

طـوس، فيكـون بمعـنى المعـزي والمعين والوكيـل، وإن قلنـا أن اللفظ الأصل بيركلو طوس يكون قريبـاً من معـنى محمـد وأحمـد، فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصل بيركلو طوس، ومعناه قريب من معنى محمـد وأحمـد، فـادعى أن عيسى أخبر بمحمد أو أحمد لكن الصحيح أنه باراكلي طوس)(1)

فهذا اعتراف من هذا القسيس بالتقـارب بين الكلمـتين.. وهـو تقارب يرجح أن لهذه الكلمة علاقة باسم محمد.

قلت: أنت ومن معك يرجح هذا.. ولكنا لا نزال نرى من أن هذه الكلمة وصف يشير إلى روح القدس الذي نـزل على التلاميـذ يـوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح.

قـال: سـأرد على هـذا من وجـه آخـر.. ألا تعلم أن كثـيرا من المسلمين ادعى أنه المهدي.. وتسمى بذلك؟

قلت: أعلم ذلك.. وهو دليل على ضعف عقولهم.

قال: دعنا من الأحكام.. نريد فقط أن نبحث عن الحقيقة.

قلت: أتريـد أن نخـرج من البشـارة بالمسـيح إلى البشـارة بالمهدي؟

قال: نريد أن نقيس.. أجبـني.. لـولا أن النصـوص النبويـة الـتي وصلت لهؤلاء تخـبر أن هنـاك مهـديا.. هـل كـان يفكـر أحـد في أن يدعي أنه المهدي؟

قلت: لا.. لقد كـانت الأقـوال الـتي قالهـا نـبيكم هي سـر هـذه الادعاءات.

قال: فقس هذا على البارقليط.

---

1) وقد رد رحمة الله الهندي على هذا بقوله :« فأقول أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً، وأن الحروف اليونانية كـانت متشـابهة، فتبـدل بـيركلو طـوس بيـاراكلي طـوس في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسـخة على النسخ الأخر »

قلت: لم أفهم..

قال: ألا تعلم أن هناك نفـرا ادعـوا قبـل ظهـور محمـد ﷺ أنهم مصـاديق كلمـة (بارقليـط).. منهم ــ على سـبيل المثـال ــ منتنس المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد، فقد ذكـر رحمـة اللــه الهنــدي أنــه ادعى قــرب ســنة 177 من الميلاد في آســيا الصغرى الرسالة، وقال: (إني هو البارقليط الموعود به الذي وعــد بمجيئه عيسى)، وتبعه أناس كثيرون في ذلك، كما هـو مـذكور في بعض التواريخ.

وذكر وليم ميور حاله وحال متبعيـه في تاريخـه المطبـوع سـنة 1848 من الميلاد هكـذا:(أن البعض قـالوا أنـه ادعى أني فارقليـط يعني المعزي روح القدس وهو كان أتقى ومرتاضـاً شـديداً، ولأجـل ذلك قبله الناس قبولاً زائداً)

وهـذا يـدل على أن انتظـار بارقليـط كـان في القـرون الأولى المسـيحية أيضـاً، ولـذلك كـان النـاس يـدعون مصـاديقه، وكـان المسيحيون يقبلون دعاواهم.

وقد ذكر رحمة الله عن صاحب لب التواريخ قولـه: (إن اليهـود والمسيحيين من معاصري محمد ﷺ كانوا منتظرين لنـبي، فحصـل لمحمد من هذا الأمر نفع عظيم، لأنه ادعى أني هو ذاك المنتظــر)، فهذا يـدل على أن أهـل الكتـاب كـانوا منتظـرين لخـروج نـبي في زمان محمد ﷺ.

وهــذا من الشــهرة والتــواتر بحيث لا يحتــاج منــا إلى كــثرة الشواهد.. ولعلك تظفر بمن يعدد لك شواهده.

أتراك اقتنعت بما قلت؟

قلت: ليس بهذه السـهولة أن أقتنـع.. فمـا ذكرتـه من الأدلـة لا يكفي لإثبات أمر خطير كهذا.

قال: ولكنكم أثبتم أن المراد من هذه النبوءة هو مـا نـزل على

التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح بسـهولة ويسر.

قلت: لأن ذلك هو المراد من النبوءة.

قال: فلندع كلمة (البارقليط).. ولنـذهب إلى سـائر مـا ورد في البشارة، ولنحاول المقارنة في تطبيقها بين محمد، ومـا نـزل على التلاميذ.

قلت: هذا منهج صحيح.. فالبشارات تحتاج إلى الدلائل القطعية لإثباتها.

قال: لقد ذكرت أن البشارة تنطبق على روح القدس.. فما هي براهينك على ذلك؟

قلت: كثيرة.. فاصبر معي لأعددها لك.

قـال : سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ صَـابِراً وَلا أَعْصِـي لَـكَ أَمْـراً (الكهف:69)

قلت: أنت تعلم أن المسيح كـان معلم الحـواريين مـدة إقامتـه بينهم، وكان مرشدا ومعزيا لهم ومدافعا عنهم حتى تعلقت قلـوبهم به، وقد عرف أن فراقـه بسـبب المـوت سـيحزنهم جـدا.. وتحقـق أنهم في حاجة إلى مساعدة سماوية لتقويتهم وإرشادهم وتعزيتهم بعد فراقه.. لهذا كله سبق، فوعدهم بالروح القدس المعزى الآخر.

هذه هي علة هذه النبوءة..

بالإضافة إلى هذا، فإن هناك وجوهـا كثـيرة تنفي انطبـاق هـذه البشارة على نبيكم:

منها أن الموعود بـه ليس ذا جسـم، فهـو روح الحـق، لـذلك لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، وهـذا الوصـف لا يصـدق على محمد لأنه ذو جسم، وقد رآه العالم مؤمنهم وكافرهم.

ومنهـا أن هـذا الموعـود جـاء ليمكث مـع الحـواريين إلى الأبـد، وذلك لا يصدق على محمد، لأنـه لم يـأت في زمن الحـواريين، ولم يمكث في العالم أو معهم إلى الأبد.

ومنها أن الموعود به كان وقتئذ مع الحواريين فقـد قـال: (لأنـه مــاكث معكم)، وهــو لا يصــدق على محمــد، لأنــه لم يكن مــع الحواريين.

ومنها أن المسيح أوصى الحواريين (أن لا يبرحوا من أورشـليم، بـل ينتظـروا) ذاك المعـزى الـروح القـدس، وهم إطاعـة لسـيدهم انتظروا عشرة أيام في أورشليم حـتى جـاء ذلـك المُعـزى، (وامتلأ الجميع من الروح القـدس)، وهـذا لا يصـدق على محمـد، وإلا كـان يجب على الحواريين أن ينتظروا في أورشـليم نحـو سـتمائة سـنة إلى مجيء محمد، وليس لهم هذا العمر.

وهذا يتأكد بما ذكره المسيح من أنه وعدهم بإرسال هذا الـروح المعـزى على عجـل، وإلا فليس من فائـدة للتعزيـة، وهم مــوتى، فتعزية لهم قال: (وأما أنتم فستتعمدون بـالروح القـدس ليس بعـد هذه الأيام بكثير)(أعمال الرسل:1 : 5)

ثم بعد هذا كله، لقد أخبر المسيح أنـه هـو الـذى سيرسـل هـذا المعزي، فهل ترى أن المسيح هو الذي أرسل محمـدا.. فـإن كـان كذلك، فأنت تسلم لنا بألوهيته.

زيادة على هذا كلـه، فـإن المعـزى الـذى تحـدث عنـه المسـيح لتلاميذه، لم يكن نبيا آتيا بعده، وإنما كان الروح القدس كما أوضــح له المجد بفمه المبارك قائلا: (وأمـا المعـزى الـروح القـدس الـذى سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلتــه لكم)

ثم إن المسيحيين لم ينتظروا نبيا يأتى بعد المسيح، بل كان كل رجائهم ومازال فى عودة المسـيح ثانيـة بعـد صـعوده إلى السـماء كما وعدهم (وها أنا أتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كمـا

يكون عمله)

ولهذا فإن صلاة المسيحيين الحقيقيين فى كل العصور تركـزت فى الكلمات:(آمين. أيها الرب يسوع)، وهى آخر كلمات اختتم بهـا سفر الرؤيا، آخر أسفار الكتاب المقدس.

كنت أتكلم.. وكان يستمع بتركيز شديد لمـا أقـول.. ولم يظهـر على وجهه أي تغير رغم أني ألقيت بكل ما لدي من قوة لأفنـد مـا ذهب إليه، بل لم يقاطعني بكلمة واحدة.

عندما انتهيت، قال: هل انتهيت؟

قلت: أجل..

قال: بورك فيك.. لقد ذكرت وجوهـا كثـيرة.. أنت تراهـا أدلـة.. وأنـا أراهـا شـبها، فـأذن لي في أن أرد عليهـا.. لا بـالترتيب الـذي ذكرت، فذلك قد يوقعنا في الجدل.. بل بـذكر مـا يمكن أن يوضـح حقيقة هذه النبوءة.

قلت: سأسمع وأصبر.

قال: ما هو عدد ضمائر (هـو) أو (he's) باللغـة الإنجليزيـة الـتي استخدمت لوصف الباراقليط؟

صمت، فقال: سبعة ضـمائر مـذكرة في جملـة واحـدة(1).. ولا توجد آية أخرى في جميع الـ 66 سـفرا لإنجيل البروتسـتانت، أو الـ 73 سفرا لإنجيل الكاثوليك، بها سبعة ضمـائر مـذكرة.

وكل هـذه الضـمائر المـذكرة في آيـة واحـدة لا يمكن أن تـدل على شبح أو طيف أو روح (GHOST) سواء كان مقدسا أم لا(2).

1((Hom brit when **h**e the spirit of truth is come, **he** will guide you into all truth for **he** shall not speak of himself, but what so ever **he** shall hear that shall **he** speak and **he** will show you things to come.

2) يذكر ديدات أنه عندما نوقش في هذه النقطة الخاصة بالسـبعة ضـمائر المـذكورة في آية واحدة من الإنجيل في مناظرة في الهند بين المسـلمين والمبشـرين المسـيحيين

صمت، فقال: لا بأس.. هل تعرف الأصل اليوناني لكلمة (الروح القدس)

قلت: أجل.. هي (بنيوما PENUMA)في الأصل اليوناني.

قال: فما تعني في هذا الأصل الذي ترجمت عنه الأناجيل؟

قلت: هي لفظ مشترك يعني النفس أو الروح أو الغاز أو الهواء.

قال: فهي لا تدل على الروح وحدها.

قلت: أجل.. لا توجد كلمة واحدة منفصلة للتعبير عن الروح في الكتب المقدسة اليونانية.

قال: فكلمة (GHOST) التي ترجمتم بها كلمة PENUMA اليونانية، والتي تعني الطيف أو الشبح في نسخة الملك جيمس، والتي تعتبرونها النسخة المرجع ونسخة الرومان الكاثوليك مجرد اختيار فقط.

قلت: أجل..

قال: يمكنكم أن تضعوا بدل كلمة (GHOST)التي تعني الطيف أو الشبح كلمة SPIRIT التي تعني الروح.

قلت: يمكن ذلك.. ولكن المترجمين اختاروا (GHOST)

قال: لم يختاروها عن فراغ.. إن هناك فرقا كبيرا بين الطيف القدسي HOLY GHOST التي اخترتموها، وبين الروح القدسي أو الإلهي.

غيرت النسخة الأردية من الإنجيل، قال ديدات :« وهو خداع معتاد من المبشرين خاصة في اللغات الإقليمية، وآخر حيلة عثرت عليها في الإنجيل باللغة الإفريقية في هذه الآية موضع البحث، فقد غيروا كلمة معزى (مساعد COMFORTER) إلى كلمة وسيط (MEDIATOR) و أقحموا فيها جملة الروح القدس، وهي التي لم يجرأ أي دارس إنجيلي في إقحامها إلى النسخ الإنجليزية المتعددة لا ولا حتى جماعة شهود يهوا. وهكذا يصنع المسيحيون كلمات الله »

قلت: فما الفرق بينهما؟

قال: إذا كان المعزي أو المساعد هو الروح القدسي أو الإلهي، فإن الروح القدسي أو الإلهي هو النبي القدسي أو الإلهي، ونحن كمسلمين نؤمن بأن أي نبي مرسل من قبل الله تعالى هو نبي قدسي وبدون أي خطيئة (1).

ليس نحن فقط الذين نقول ذلك.. إن يوحنا ـ الذي ينسب إليه الإنجيل وثلاث رسالات تعتبرونها أجزاء من الإنجيل المسيحي ـ استخدم تعبير الروح الإلهي للدلالة علي النبوة الإلهية، كما قال: (أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلي العالم)(إنجيل يوحنا:4 : 1)

ألا ترى أن كلمة الروح استخدمت هنا مرادفة لكلمة النبي، فالروح الحقيقي هو النبي الحقيقي، والروح المزيف هو النبي المزيف؟

زيادة على هذا، فإن يوحنا لم يتركنا معلقين، لقد أعطانا اختبارا حاسما للتعرف علي النبي الحق، فقال: (بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله) (إنجيل يوحنا:4 : 2).

وتبعا لكلمات يوحنا التفسيرية السابقة فمعنى (روح) مرادفة لكلمة (نبي)، وعلى هذا، فمعني (روح الله) في الآية هي (نبي الله) ومعني (كل روح)هو (كل نبي)

وبذلك يكون المساعد أو المعزي المذكور في إنجيل يوحنا لا يمكن أن يكون هو الروح القدسي (HOLY GHOST) لأن المسيح قال: (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلي

---

1) في أناجيل العهد الجديد أطلقت هذه الكلمة أيضا على من يتلقى الوحي الإلهي، وعلى من يمتلك القدرة على الاتصال الروحي وبناء على ذلك، فروح الحق هو ذلك الشخص الذى لديه قوى اتصال روحيه، أى ذلك الشخص الذى يتلقى الوحي الإلهي، والذي يتميز بأنه مكرس للحق في حياته وسلوكه وشخصيته.

الأبد)

سكت، قليلا، ثم قال: ألا تلاحظ أن كلمة آخر تسترعي الانتباه؟

قلت: ما تعني؟

قال: لقد استخدم النص اليونانى كلمه allon، وهى مفعـول بـه مـذكر من كلمـه (allos) الـتى معناهـا (آخـر من نفس النـوع)، أمـا الكلمة التى معناهـا (آخـر من نفس مغـاير) فهى (hetenos)، وهى غير مستخدمة فى النص اليونانى.

وهـذا يعـني أن هـذا البارقليـط آخـر من نفس النـوع، أي أنـه شخص خلاف الأول، أو هو شخص إضافي، ولكنه من نفس النـوع، وإن كـان يختلـف بوضـوح عن الشـخص الأول.. فمن هـو المعـزي الأول، حتى نعرف المعزي الموعود؟

إنـه ليس الـروح القـدس بكـل تأكيـد، لأن قـدوم المعـزي لـه شروط لا تنطبق علي الروح القدس كما نلاحـظ من النبـوءة الـتي تقول: (لكن أقول لكم الحق إنـه خـير لكم أن أنطلـق، لأنـه إن لم أنطلـق لا يـأتيكم المعـزي، ولكن إن ذهبت أرسـله إليكم)(إنجيـل يوحنا:16: 7)، أي أنه إذا لم يذهب لا يأتي، ولكن إذا ذهب المسيح جاء هذا الموعود.

فمجيء هذا الموعود رهن بذهاب المسيح.. فأجبني واصدقني.. هل كان الروح القدس يساعد المسيح في وظائفه أم لا؟

لم أملك إلا أن أجيب بالإيجاب، فقال: بـل كـان الـروح القـدس يساعد الحواريين أيضا في مهامهم التبشيرية الوعظيـة والانتقاليـة، أليس ذلك صحيحا؟

قلت: بلى..

قـال: ولا يمكنـك أن تقـول غـير ذلـك.. فـأنت تقـرأ في إنجيـل يوحنـا، نفس الإنجيـل الـذي وردت فيـه هـذه النبـوءة: (فقـال لهم

يسوع أيضا سلام لكم، كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس) (إنجيل يوحنا:20 : 21 ـ 22)

صمت قليلا، ثم قال: ألم يرد في البشارة أن ذلك الموعود سوف يكشف عن أمور يجهلها المسيح نفسه؟

ولو كان المسيح قد جاء بجميع الحق لما كانت هناك حاجة لأن يأتى نبى من بعده يحل للناس جميع الحق.. وهذا يعني أن هذا البارقليط الموعود سيكون مثل المسيح، بشرا نبيا، وليس روحا.

التفت إلي، ثم قال: ألا ترى أنه بالعودة إلى اللغة الأصلية التي ألف بها الإنجيل تتضح أمور كثيرة.. صدقني.. لقد عبثت الترجمات كثيرا بشرف الكتاب المقدس[1].

مع أن كلامه في غاية الوضوح إلا أني حاولت الفرار بما تعلمته من أساليب، فقلت: أرى أن ما ذكرته من العودة إلى الترجمات، لا يكفي للدلالة على الأمر الخطير الذي ذكرته..

قاطعني، وقال: لا بأس.. فنلتمس سبيلا آخر.. فما أكثر سبل الحق.

أنتم تعتبرون البارقليط هو الروح القدس.. أليس كذلك؟

قلت: ولا نشك في ذلك.

قال: ثم تعتبرونه شخصا قائما بذاته.

قلت: لا نعتبره شخصا فقط، بل هو الأقنوم الثالث من أقانيم الإله الواحد.

قال: هذا ما تقولونه.. لكن ما يقوله الكتاب المقدس مختلف تماما، فالعهد الجديد يصف الروح القدس بأنه شئ آخر غير شخصى، أي أنه ليس شخصية مستقلة، وما دام كذلك، فهو ليس (الأقنوم الثالث) للثالوث.

1) انظر (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

قلت: أين ترى هذا في الكتاب المقدس؟

قال: ألستم تقرأون في لوقا: (فإن كنتم وأنتم أشـرار تعرفـون أن تعطـوا أولادكم عطايـا جيـدة، فكم بـالأحرى الأب الـذى فى السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه)(إنجيـل لوقـا (11/13)) فالروح القدس يمكن اعتباره حسب هذا النص هبة من الله.

وتقرأون: (ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الـذى من اللـه لنعـرف الأشـياء الموهوبـة لنـا من اللـه)(سـفر الكورنثـيين الأول (2/12)، فهنا يوصف الروح القدس بصيغه المجد الذى لا هو مـؤنث ولا مذكر (الروح من الله)

وتقرأون: (حيث أن روح المرء هى التى تمكنه من معرفة ذاتـه كذلك فإن روح الله تمكن المرء من معرفة الأمـور الإلهية) (سـفر الكورنثيين: 2 (11/12)، فبولس يقول: كما أن الـروح الـتى فـى الإنسان تجعله يعـرف الأشـياء الـتى تخصـه، فـإن روح اللـه تجعـل الإنسـان يعـرف الأشـياء الـتى تخصـه، أي يعـرف الأشـياء الإلهيـة، وبالتالى فإن الروح القدس هنا ليس هو الله، ولكنه منفذ أو طريق أو وسـيط يختص اللـه بواسـطته من يشـاء من عبـاده بـالتعليم والتنوير والإلهام.

وتقـرأون: (أم لسـتم تعلمـون أن جسـدكم هـو هيكـل للـروح القـدس الـذى فيكم الـذى لكم من اللـه، وأنكم لسـتم لأنفسـكم) (الكورنثـيين الأول:6/19)، فهـذا النص يـدل على أن عبـاد اللـه الأتقياء يطلق عليهم (هيكل الـروح القـدس).. وهـذا دليـل على أن الروح الإلهي ليس شخصا أو ملاكا، ولكنه كلمة الله أو قداسة اللـه أو قوة الله ودينه.

وتقرأون فى الرسالة الموجهة إلى الرومان: (وأما أنتم فلسـتم فى الجسد، بل فى الروح، إن كان روح اللـه سـاكنا فيكم)(رسـالة بولس (8/9)، فهـذا النص يـدل على أن هـذه الـروح نفسـها الـتى تعيش داخل المؤمنين تعـنى ببسـاطة الإيمـان ودين اللـه الحقيقى

الذى نادى به المسيح، وبالتأكيد فإن هـذه الـروح لا يمكن أن تعـنى المثل الأعلى النصرانى للروح القدس أى (ثالث الثلاثة الأخير)

قلت: كل هذه فهوم فهمتها أنت من الكتاب المقــدس، والفهم شيء ذاتي مرتبط بالفاهم، لا بحقيقة الحال.

قـال: ولكنـه فهم مؤصـل.. وهـو فـوق ذلـك ليس خاصـا بي.. أتعرف ما كان يقول الآباء النصارى الأولون عن الروح القدس؟

لقــد اعتــبر هرمــاس الــروح القــدس هــو العنصــر الإلهي فى المسيح..

أمـا جوسـتين المسـمى بالشـهيد (100 -ـ 167 م) وتيفيلس، فهما يفهمان أن الروح القدس تعنى أحيانـا نوعـا غريبـا من إظهـار الكلمة وأحيانا صفة إلهبة، ولكنها لا تعنى شخصا إلهيا أبدا.

أما أثيناغوراس (110 - 180 م) فهو يعتبر الروح القدس فيضا من الله يأتى منه، ويعود إليه كأشعة الشمس.

أما أيرينايوس (130 - 202 م) فهو يعتبر الروح القدس والابن خادمان لله، وأن الملائكة يخضعون لهما.

فهـذه النصـوص كلهـا يفهم منهـا أن الـروح القـدس لا يوصـف بصورة محددة كشخصية، بل هي قوة الله ونعمته وعطاؤه وعملــه وإلهامه.

صمت قليلا، ثم قال: دعنا من كل هذا، فله محله المتعلق بنفي ألوهية هذا الأقنوم الذي تزعمونـه.. ولنعـد إلى النص.. ولنبحث في جمل النص عن الدلالات التي يحملها.

ألم يبـدأ المسـيح حديثـه بقولـه: (إن كنتم تحبونـني، احفظـوا أحكامي، وسأطلب لكم من الأب بارقليط آخر) (إنجيل يوحنـا (14 : 15)؟

قلت: بلى..

قال: ألا ترى أن في الطريقة التى تحدث بهـا المسـيح احتمـالا لعدم قبول البعض للشخص الذى سيأتي من بعده، والذي بشر به، لذا حاول المسـيح تحريـك العواطـف حـتى يـدفع ذلـك البعض إلى القبول، فجعل المحبة أول كلامه.

ألا ترى أن مثل هذه المقدمة لا يمكن أن تتعلق بروح القــدس، فروح القدس لا يحتاج لتهيئة الأرضـية للاقتنـاع بـه، لكونـه لا يحتـاج إلى ذلك.. فهو بعد النزول يكون له فى القلوب والأرواح أثر عميـق تزال معه كل الشكوك و الإنكارات.

إن هذه المقدمة لا تصـلح إلا للتبشـير بـالنبى الموعـود الـذي لا تأثير له إلا تأثير البيان لكسب القلوب والأرواح، وبناء على هذا فإن قسما منصفا ينجذب إليه، والقسم الآخر يبتعد عنه.. ولـذلك يحتـاج النبي إلى التمهيد له بخلاف الروح القدس.

ولم يكتـف المسـيح بتمهيـد الأرضـية، بـل أعـاد تأكيـدها، ففي الجملة 29 من الباب 14 يقول: (أما الآن، وقبل الوقـوع أخـبرتكم لكى يتسنى لكم الأيمان حين الوقوع).. فهل يحتـاج الإيمـان بـروح القدس إلى مثل هذه التوصية؟

إن هذا الإصرار من المسيح يدل على أن الوصية ليست بالروح القدس، وإنما هي بشخص يمكن أن يكذب، وليس ذلك إلا النبي.

ثم قال المسيح: (وسأطلب لكم من الأب بارقليط آخـر)، فـإذا قلنا إن المقصود من ذلك رسول آخر أصبح كلامنا معقولا وصحيحا، ولكن إذا قلنا بأن المقصود هو روح القدس الآخر سـوف لن يكـون كلامنا معقولا ولا صحيحا، لأن روح القدس واحد وغير متعدد.

صمت قليلا، ثم قال: فلنترك هذه الجملة.. ولنذهب إلى قولــه: (كل شئ قلته لكم سوف يذكركم به) (إنجيل يوحنا (14 : 26)

أجبني.. متى نزل الروح القدس الذي تزعمونـه أنـه البارقليـط على الحواريين؟

قلت: بعد خمسين يوما من صلب المسيح.

قـال: فهـل يجـوز أن يكـون هـؤلاء المنتخبـون الخلص الـذين تعتبرونهم رسلا قد نسوا جميع الأحكام التى علمها لهم المسيح فى هذه المدة القصيرة حتى يعلمهم روح القدس إياها مرة أخرى؟

صمت قليلا، ثم قال: لقد ذكر المسيح أن هذا البارقليـط يشـهد له.. أليس كذلك؟

قلت: بلى..

قال: هل يحتاج المسيح إلى شهادة أصحابه؟.. لقد كان أصحابه من الإيمان بحيث لا يحتاجون إلى من يؤيدهم.

إن المقصود بهذه الشهادة هـو الرسـول الموعـود، وقـد أجـاب الرسول محمد على عامة الأحكام التى ينبغي أن يعمل بهـا إضـافة إلى شـهادته على نبـوة عيسـى، وبـذلك تجتمـع كلا الجملـتين في الدلالة على محمد.

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسـيح :(إذا لم أذهب لن يـأتى فارقليط)(إنجيل يوحنـا (15 :ـ 7)، فقـد ذكـر أن ذهابـه مشـروط بمجيء فارقليط، ومجيء فارقليط مشروط بذهاب المسـيح، فـإذا كـان المقصـود روح القـدس، فـإن نزولـه على المسـيح أو على الحواريين ليس مشروطا بذهاب المسيح، لأن روح القدس كان قد نزل حينما أرسل المسـيح حـوارييه مـن أجـل نشر الدين.

وبناء على هذا فإن نزوله ليس مشروطا بذهاب المسيح، ولكن لو قلنا إن المقصود هو نبى وصاحب شريعة عالميـة، لأصـبح الأمـر منطقيا ومعقولا لأن مجيئه مشروط بذهاب المسيح لكونه سينسـخ رسالته.

صـمت قليلا، ثم قـال: لقـد قـال المسـيح عن الموعـود: (ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم)، ولم يمجد المسيح نـبى ظهـر بعده إلا نبى الإسلام (محمد) فهو قد أثنى عليه وبين فضله ومنزلته

وأشاد بمكانته السامية بين الأنبياء والمرسلين كما سمعه من قبل الله، وذلك عن طريق الوحى الذى أوحاه الله إليه فى القرآن الكريم أو فى الأحاديث النبوية التى تكلم فيها عن المسيح، وأنه كان يأخذ من نفس المعين المقدس الذى كان يأخذ منه المسيح من الرب وهو معين التوحيد والآداب الفاضلة.

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسيح: (وأما أنتم فتعرفونه)، وكان الصواب أن يقول :(وأما أنتم فترونه وتعرفونه) ولما كان قد حذف الرؤية دل على أن المقصود بالرؤية المعرفة الحقيقية، لا الرؤيا البصرية وهذا معناه أن النبى إذا جاء لن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية، بينما يعرفه التلاميذ معرفة حقيقية، لأن عندهم خبر عنه.

صمت قليلا، ثم قال: ومما جاء في النبوءة:(لا يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما يأتي)، أليس هذا الوصف وصفا لمحمد؟.. فقد كان القرآن الكريم كلام ربه، وكان كلامه وحيا من الله، وقد قال تعالى في ذلك : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (النجم:3 ـ 4)

صمت قليلا، ثم قال: لقد قال المسيح: (ومتى جاء المعزي يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة)

إن كلمة (يبكت) جاءت بمعنى (يفحم) و(أفحمه)، أسكته فى خصومة أو غيرها، وهذا يدل على أن النبى الآتي سيكون من شأنه توبيخ العالم بحيث يفحمهم عن الرد عليه، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه.

لست أدري كيف قلت: ولكن محمدا لم يجئ لتوبيخ العالم.. فأنتم تذكرون أنه جاء شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً (الأحزاب:45 ـ 46)

قال: إن الإنذار الذي ذكرته يدل على هذا التوبيخ.. فالتبشير

للصـالحين، والإنـذار للفاسـقين الكـافرين.. وبكليهمـا يمتلئ كتـاب المسلمين المقدس.

ثم إن المسيح ذكر أن هـذا الموعـود سـيوبخ العـالم، وهـذا مـا حصل، فرسالة محمد كانت رسالة عالمية.. وهـذا لن ينطبـق على الروح القدس لأنه لم يوبخ، ولم يبين مساوئ اليهود والأمم ؟

وقد قال المسيح :(أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي)، وهـذا لا ينطبق على الروح الإله لأن التلاميذ سـاعة نزولـه كـانوا مؤمـنين بالمسيح نبيا، إنما ينطبق على نبى الإسلام، لأنه وبخ (بين مسـاوئ) اليهود فى عدم إيمانهم برسالة المسـيح، ووبخ غـير اليهـود الـذين ألصـقوا بالمسـيح صـفة الربوبيـة، والـذين أنكـروه أصـلا، وأنكـروا رسالات السماء.

التفت إلي، وقال: ما الجديد الـذي جـاء بـه الـروح النـازل يـوم الدار، والذي جعـل المسـيح يخـاف عليهم أن لا تكـون لهم القـدرة على تحمله؟

قلت: لقد أمر الحواريين بعقيـدة التثليث، وبـدعوة أهـل العـالم كله.

قال: فأي أمر حصـل لهم أزيـد من أقوالـه الـتي قـال لهم إلى زمان صعوده.

نعم بعد نزول هذا الروح، أسقطوا جميـع أحكـام التـوراة الـتي هي ما عدا بعض الأحكام العشـرة المـذكورة في البـاب العشـرين من سفر الخروج، وحللوا جميع المحرمات، وهذا الأمر لا يجـوز في حقـه أن يقـال أنهم مـا كـانوا يسـتطيعون حملـه، لأنهم اسـتطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هـو أعظم أحكـام التـوراة، الذي كان اليهود ينكرون كـون المسـيح مسـيحاً موعـوداً بـه لأجـل عدم مراعاته هذا الحكم.

فقبول سـقوط جميـع الأحكـام كـان أهـون عنـدهم، نعم قبـول

زيادة الأحكام لأجل ضعف الإيمان، وضعف القوة إلى زمان صعوده كما يعترف به علماء بروتستنت، كان خارجاً عن استطاعتهم. فظهر أن المراد ببارقليط نبي تزاد في شريعته أحكام بالنسبة إلى الشريعة المسيحية ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء.

بعد هذا اسمح لي أن أجيب على ما ذكرت من تساؤلات..

أنتم تذكرون أن البارقليط روح حقيقية، وذلك لا يمكن أن يتعلق بمحمد لكونه إنسانا وليس روحا.

قلت: أجل.

قال: والجواب عن ذلك هو أن لفظ (الروح) التى استعملت فى روح القدس يمكن استخدامها فى مطلق الإنسان الذى يمتلك روحا ملهمة بالفجور أوالتقوى.

وقد استعمل لفظ (الروح) بالمعنى الثانى في الكتاب المقدس كثيرا، ومن ذلك ما جاء فى الرسالة الأولى ليوحنا: (أيها الأحبة لا تصدقوا كل روح، بل عليكم اختبار الأرواح على أنها من الله أومن غيره، لأن الأنبياء الكذابين ازدادوا فى العلم فمن هنا نعلم أن كل روح تتجسد فى عيسى المسيح هى من الله، وكل روح تتنكر لتجسد عيسى ليست من الله وهكذا تلك الروح المخالفة للمسيح، وأن الدجال الذى سمعتم به بأنه سيأتي، موجود فى العالم نحن من عند الله وكل من يعرف الله يسمع حديثنا، ومن لم يكن من عند الله لا ينصت لنا، ومن هنا تمكن من التمييز بين روح الحق وروح الضلالة)(رسالة الأولى ليوحنا 4 / 12- 7)

فهذه الجمل تشير إلى استخدام لفظة (الروح) وإشاعتها فى غير (روح القدس) بل إن ذيل الآية يشير بصراحة إلى أن كل شخص يدعو إلى الحق والصواب، يكون روحا حقيقية وكل فرد يدعو إلى الضلالة تكون روحه روح ضلال.

قلت: وما تقول في قول المسيح بحق البارقليط:(إن العالم لا

يتمكن من قبوله، لأنهم لن يرونه ولن يعرفونه)، فى الـوقت الـذى عرف فيه محمد وشاهده الآلاف من الأشخاص؟

قال: المقصود من المشـاهدة أو الرؤيـة هـو المعرفـة ببصـيرة الفؤاد، وهذا ما حصل بالفعـل للمسـيحيين الـذين لم يتعرفـوا على رسول الإسلام أو لم يروه.

واسـتعمال الرؤيـة بهـذا المعـنى معـروف ويـرى بكـثرة فى العهـدين، فمن ذلـك أننـا نقـول:(إن فلانـا يمتلـك فهمـا ولا يفهم، ويمتلـك عينـا، ولكنـه لا يبصـر بهـا)، وقـد قـال أشـيعا بحقهم: (ستسـمعون باتصـالهم ولكن لن تفهمـوا، نظـروا ولكنهم لم يـروا شيئا، أو يسمعوا شيئا)(إنجيل متى (13 / 13 – 14)

وهكذا بالنسبة للمعرفـة حيث لم يتعـرف على حقيقـة رسـول الإسلام بشكل كامل كـل أولئـك الـذين يعيشـون في العـالم، وفى أغلب الأحيان لم يتقبلوه، أى لم يتعرفوا عليه..

وهذا الاستعمال موجود بكثرة فى كل اللغات، وحتى فى نفس الإنجيل، كما ورد:(لا يعرف الابن غير الآب)(إنجيل متى (11 / 27) على الرغم من أن المسيحيين كلهم عرفوه.

ومن ذلك مـا ورد في يوحنـا: (قـالوا لـه : أيهـا الأب أين أنت ؟ فأجاب يسوع أنتم لا تعرفوننى ولا تعرفون أبى، ومـتى مـا تعـرفتم على تعرفتم على أبى) (إنجيل يوحنا:8 / 19))، وبناء على هذا فإن القصد من عدم رؤية العالم للبارقليط تعنى عدم إدراكهم لحقيقتـه الكاملة.

قلت: لقد وعد المسيح الحـواريين وبشـرهم فى الـوقت الـذى جاء محمد بعد 600 سنة من ذلك الوعد، وفى زمانه لم يبـق أحـد من الحواريين.

قال: نعم ... هذا صحيح ... لقد كـان المخـاطب هم الحواريـون..

ولكن هل كل نص خاطب به المسيح الحواريين خاص بهم … وينجم عن هذا أن كل نص خـاطب بـه المسـيح اليهـود أو غـيرهم، خـاص بـاليهود أو بغـيرهم.. وبـذلك يمكن أن نميت دعـوة المسـيح في مهدها، أو نميتها بموت من كان يخاطبهم.

ثم ألم تسمع المسـيح، وهـو يقـول في (إنجيـل مـتى : 26/64)في خطاب رؤساء الكهنة والشـيوخ والمجمـع: (وأيضـاً أقـول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسـان جالسـاً عن يمين القـوة، وآتيـاً على سحاب السماء) مع أن هؤلاء المخـاطبن قـد مـاتوا، ومضـت على موتهم مـدة هي أزيـد من ألفي سـنة، ومـا رأوه آتيـاً على سـحاب السماء، فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجـودون من قـومهم وقت نزولـه من السـماء، فكـذلك فيمـا نحن فيـه المـراد الـذين يوجدون وقت ظهور بارقليط.

قلت: صحيح هذا.. ولكن المسيح قال بصدد البارقليط (سـيبقى معكم وفيكم)، فهل يمكن أن يبقى محمد فى شخص ما؟

نعم يمكن أن يكون شخص مع شخص آخر، ولكن كيـف يكـون أحد ما فى شخص آخر؟

قـال: في هـذه البشـارة دلالـة صـريحة على أن هـذا الموعـود سيكون خاتما للرسل، ولذلك ستكون أحكامــه وقوانينـه معهم إلى الأبد بينهم وبين ظهورهم، وفي هذا دليـل على أن أحكامـه سـوف لن تنسخ.. وكل ذلك مما لا يصدق إلا على محمد.

مثل الكرامين:

بعد تعب شديد نالنا من الجهد الذي بذلناه في الطريق، جلسـنا نستريح أمـام عين مـاء، فسـألني: (اذكـر لي حـديث الكـرامين إن كنت تحفظه)

قلت: وكيف لا أحفظه.. أنسيت من أنا؟

قال: لا.. لم أنس.. فثيابك تدل عليك.. اسرده علي.

قلت: قال المسيح يوما لحوارييه، وهو يشبه لهم الملكوت: (اسمعوا مثلاً آخر، كان إنسان رب بيت، غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً، وسلمه إلى كرامين وسافر.

ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك.

فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً:يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه.

فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطون الأثمار في أوقاتها.

قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم)(متى 21/33 - 45)، (وانظر لوقا 20/9 - 19)

قال: ألا ترى أن هذه النبوءة تكاد تنطق باسم محمد؟

قلت: كيف؟

قال: من تراها تكون الأمة العظيمة التي إذا غزت أمة سحقتها، وإذا أرادتها أمة نكصت على عقبيها؟

أليست هي أمة محمد التي هزمت أعظم دولتين في عصــرها: الروم والفرس، وانساحت في الأرض، وملكت خلال قرن واحد مـا بين الصين وفرنسا.. أليست هي أمة الإسلام؟

أليست هذه النبوءة تصديقا لنبوءة داود في المزامـير عن الآتي باسم الرب، والتي تقول:(أحمدك لأنـك اسـتجبت لي، وصـرت لي خلاصاً، الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية، من قبـل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، هـذا هـو اليـوم الـذي صـنعه الرب، نبتهج ونفـرح فيـه، آه يـا رب خلّص، آه يـا رب أنقـذ، مبـارك الآتي باسم الرب)(المزمور 118/21-25)؟

ألا تعلم يا صـاحبي أن محمـدا ﷺ ضـرب مثـالا قريبـا من هـذا، وطبقه على نفسه، وهو الصادق الأمين، فقال: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثـل رجـل ابتـنى بيوتـاً، فأحسـنها وأجملهـا وأكملهـا إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل النـاس يطوفـون ويعجبهم البنيـان فيقولـون: ألا وضـعت هاهنـا لبنـة، فيتم بنيانـك، فقـال ﷺ: فكنت أنا اللبنة)[1].. إن محمدا هو الحجـر الـذي رفضـه البنـاءون.. إنه الحجر الذي تمت به النبوات.

فما تقول فيما قلت؟

قلت: لقد اعتبر بطرس ـ حواري المسيح ـ المسيح هـو الحجـر الذي رفضه البناؤون، فقال:(يسوع الناصري الـذي صـلبتموه أنتم.. هذا هـو الحجـر الـذي احتقرتمـوه أيهـا البنـاؤون، الـذي صـار رأس الزاويــة، وليس بأحــد غــيره الخلاص، لأن ليس اســم آخــر تحت السماء قد أعطي بين النـاس بـه ينبغي أن نخلص)(أعمـال 4/10-12)

قال: ألا ترى بطرس متكلفا في إلصاق هذه النبوءة بالمسيح؟

قلت: كيف تقول هذا عن بطرس.. القديس بطرس !؟

1) رواه البخاري ومسلم.

قال: دعك من التقديسات، ولنبحث عن الحقـائق.. ولـو شـئت لأوقرت لك بعيرا من أخطاء القديسـين.. فـدعنا من هـذا.. ولنقـرأ النبوءة حرفا حرفا لنرى على من تنطبق.

وأترك لك المجال لتطبقها على من تطبقها عليه.

قلت: هذه النبـوءة واضـحة في الدلالـة على المسـيح .. فـرب البيت هو الله، وابنه هو المسيح، وهو تكلم عن نفسـه كـأن اليهـود قتلوه، ومادام المسيح قائل هذه الأقوال يكـون هـو ابن اللـه، وأنـه مات عن خطايا العالم، وبعد إرسال الابن لم يرسـل رسـول آخـر، فقد كان الرسول الأخير هـو الابن، فليس من المعقـول أنـه بعـدما أرسل الابن يرجع، فيرسل العبيد.

أما البناءون، فكانوا يهود عصره، وقد قال المسيح المثل خطابا لليهـود: (ملكـوت اللـه يـنزع منكم ويعطى لأمـة تعمـل أثمـاره) (بطرس:2 : 9 – 10)

والعهد الجديد يـبين أنـه يعطى للـذين يؤمنـون بالمسـيح إيمانـا حقيقيـا، الـذين هم جنس مختـار، وكهنـوت ملـوكي، أمـة مقدسـة شعب اقتنـاء، وقـال لهم: (لكي تخـبروا بفضـائل الـذى دعـاكم من الظلمة إلى نـوره العجيب، الـذين قبلا لم تكونـوا شـعبا، وأمـا الآن فأنتم شعب الله، الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومـون) (إنجيل متى:21 : 43)

وهنا تلميح لطيف إلى الأثمار التى يطلبها رب الـبيت من الأمـة التى تتولى الكرم، ألا وهى الكنيسة المسيحية، والكرم ملكوت الله (متى 21 : ـ 43 يشرح عدد 41)، وعليه فقد ثبت أن الحجر الـذى رفضه البناؤون هو المسيح نفسه..

أما مقاومة المسيح وعدم الرضوخ له فهما سـبب سـخط اللـه وحـول نقمتـه على أعدائـه، وقـد تم شـئ من ذلـك عنـد خـراب أورشليم وتمثيل الرومان بـاليهود تمـثيلا فظيعـا (سـنة 70 م) بعـد

صلب المسيح نحو أربعين سنة.

والمراد برب البيت هو الله، لأن المسيح فى عـدد 37 بحسـب ما جاء فى المثل هو ابن رب البيت.

لقد كنت ألاحظ التكلف الذي تفسر به هـذه النبـوءة، ولكنـه لم يكن لي بد من ذكره كما لقنته في دراستي.

ابتسم، وقال: هل أنت مقتنع بما تقول؟

قلت: كما أنت مقتنع بما تقول.

قال: لن أرد على كلامك حرفا حرفا، ولكني سـأذكر للعقـل مـا يقتنع به، وأدع النفس وما ارتضت.

ولنبـدأ بتفسـير بطـرس، فمـا أراكم جعلتم هـذه النبـوءة في المسيح إلا لقـول بطـرس، وأنـا لا ألـوم بطـرس، فهـو معـذور في خطئه، لأنه عامي عديم العلم كما شهد لـه أولئـك الـذين اسـتمعوا لحديثه، وتعجبوا من المعجزات التي صنعها، فقد قال عنه التلاميـذ: (فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجـدوا أنهمـا إنسـانان عـديما العلم وعاميان، تعجبوا)(أعمال 4/13)

بعد هذا أعود إلى النبوءة، بل إلى مـا أرى أنـه محـور النبـوءة.. وهو قوله:(الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية)

من من ذرية إبراهيم رفض من الإسرائيليين مع أن إبراهيم دعا له بالبركات؟

صـمت، فقـال: أنت تعلم أنـه إسـماعيل، فهـو الـذي نـال من بركات إبراهيم، ومع ذلـك لا تقـرون لـه أنتم ولا اليهـود بـأي نـبي.. أليس إسماعيل الذي هو جد محمد من نسل إبراهيم؟

قلت: بلى..

قال: بل هو ابنه البكر.. فقد طلب إبراهيم من الله الصـلاح في

ابنه إسماعيل، ففي الكتاب المقدس: (قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك)(التكوين 17/18)، فاستجاب الله له وبشره بالبركة فيه وفي ابن آخر يهبه الله له، فقد بشره بميلاد إسحاق من زوجه سارة فقال: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون.. وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره، وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة)(التكوين 17/16-20)

ومحمد هو الحجر الذي رفضه البناءون من اليهود والنصارى الذين كانوا يبشرون به.

ولتفهم هذا سأشرح لك المثل بحسب ما يدل عليه العقل والمنطق السليم:

هذا المثل العجيب من المسيح (مثل الكرامين) يحكي تنكر اليهود لنعم الله واصطفائه لهم بقتلهم أنبياءه وهجر شريعته، وهو الجزء الأكبر من هذه النبوءة، اسمع جيدا هذا المثل، من فم الحقيقة، لا من فم بطرس: كان إنسان رب بيت، غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً، وسلمه إلى كرامين وسافر.

ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً، ثم أرسل إليهم أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك.

فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً:يهابون ابني، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه.

أليس كل ما ذكره وصف صحيح لا ينطبق إلا على اليهود؟.. قد

تجادلني، ولكن النص يرد عليك، فقد ورد فيـه: ولمـا سـمع رؤسـاء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم.

صمت، فقال: ثم يحكي المثـل انتقـال النبـوءة إلى أمـة أخـرى تقوم بأمر الله تعالى وتقوى على أعدائها وتسحقهم.

وقـد ذكـر المسـيح هـذا ليقنعهم بـأن النبـوة لن تبقي في بـني إسرائيل بعد ما فعلـوا مـا فعلـوا، ولهـذا تـرك الجـواب لهم، وكأنـه يحاول أن يملأهم بهذه القناعة.

اسمع جيدا بسمع العقل، لا بسمع بطرس: فمتى جـاء صـاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأرديـاء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكـرم إلى كـرامين آخـرين يعطـون الأثمـار في أوقاتها.

قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الـذي رفضـه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبـل الـرب كـان هـذا، وهـو عجيب في أعيننـا، لـذلك أقـول لكم: إن ملكـوت اللـه يـنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هـذا الحجـر يترضـض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

قلت: قد أسلم لك بهذا.. لكن من قال لك بأن النبـوة سـتنتقل إلى العرب دون غيرهم من الأجناس؟

قـال: إن أول صـفات هـذه الأمـة على حسـب وصـف الكتـاب المقدس أنها أمة مرذولة محتقرة.. ألم يقل: (الحجر الـذي رفضـه البناؤون قد صـار رأس الزاويـة)، لكن اللـه ــ الـذي تسـتوي عنـده الأجناس ـ اختارها رغم عجب اليهود من تحول الملكـوت إلى هـذه الأمة المرذولة، لكنه قدر اللـه العظيم (من قبـل الـرب كـان هـذا، وهو عجيب في أعيننا)

بعد هذا نتساءل: هل كان العرب أمة مرذولة عند اليهود؟

والجواب من الكتـاب المقـدس نفسـه يبـدأ من موقفـه من أم

العرب، فهم أبناء الجارية هاجر، التي يزدريها الكتاب المقدس، فقد قالت سارة: (اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مـع ابني إسحاق) (التكوين 21/10).

وقال ـ بعد ذلك بقـرون طويلـه ــ بـولس مفتخـراً على العـرب محتقراً لهم: (ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها، لأنـه لا يـرث ابن الجارية مع ابن الحرة، إذاً أيهـا الإخـوة: لسـنا أولاد جاريـة، بـل أولاد الحرة) (غلاطية 4/30 - 31)

مثل العرس:

التفت إلي، فرآني صامتا، فقال: ليس هذا المثل وحده ما نطق به المسيح ليحضر الأمم لهذا النبي الموعود.. لقـد ضـرب لهم مثلا آخر، فقال ـ كما يروي متى ـ: (يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا، فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قـائلاً: قولـوا للمـدعوين: هو ذا غذائي أعددته، ثيراني ومسمناتي قد ذبحت، وكل شيء معد، تعالوا إلى العرس.

ولكنهم تهـاونوا ومضـوا، واحـد إلى حقلـه، وآخـر إلى تجارتـه، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم.

فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده، وأهلك أولئـك القـاتلين وأحـرق مـدينتهم، ثم قـال لعبيـده: أمـا العـرس فمسـتعد، وأمـا المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس.

فخرج أولئك العبيد إلى الطـرق، وجمعـوا كـل الـذين وجـدوهم أشراراً وصالحين، فامتلأ العرس من المتكـئين، فلمـا دخـل الملـك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس، فقال له: يا صـاحب كيـف دخلت إلى هنـا وليس عليـك لبـاس العـرس؟ فسكت، حينئذ قال الملـك للخـدام: اربطـوا رجليـه ويديـه وخـذوه، واطرحــوه في الظلمــة الخارجيــة، هنــاك يكــون البكــاء وصــرير

الأسنان، لأن كثيرين يدعون، وقليلين ينتخبون) (متى 1/22-14)

وهذا المثل كالمثل السابق يهيء النفوس لتقبل النبي الموعود من الأمة المحتقرة.

مثل الزرع:

لم أجد ما أجيبه به، فقال: وقـد ضـرب لهم المسـيح مثلا آخـر، ذكر فيه أنواع النـاس في قبـول الملكـوت والإذعـان لـه، ودعـاهم لقبوله والإذعان له، فقال: (هوذا الزارع قد خرج ليزرع، وفيمـا هـو يزرع سقط بعض على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته.

وسـقط آخـر على الأمـاكن المحجـرة، حيث لم تكن لـه تربـة كثـيرة، فنبت حـالاً، إذ لم يكن لـه عمـق أرض، ولكن لمـا أشـرقت الشمس احترق، وإذ لم يكن له أصل جف.

وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه.

وسـقط آخـر على الأرض الجيـدة، فـأعطى ثمـراً، بعض مائـة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين، من له أذنان للسمع فليسمع..

فاسمعوا أنتم مثل الزارع، كـل من يسـمع كلمـة الملكـوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه، هذا هو المزروع على الطريق.

والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمـة وحـالاً يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصـل في ذاتـه بـل هـو إلى حين، فـإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر.

والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة، وهم هـذا العـالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة، فيصير بلا ثمر.

وأمـا المـزروع على الأرض الجيـدة فهـو الـذي يسـمع الكلمـة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصـنع بعض مائـة وآخـر سـتين وآخـر ثلاثين)(متى 1/13-23)

ألا تعلم ـ يا صاحبي ـ أن هذا المثل الإنجيلي يتطـابق تمامـا مـع المثل الذي ضربه محمد ﷺ لأحوال الناس مـع دعوتـه، حيث قـال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثـل غيث أصـاب أرضـاً، فكان منها نقية قبلت الماء فـأنبتت الكلأ والعشـب الكثـير، وكـانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النـاس، فشـربوا وسـقوا، وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني اللـه بـه فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بـذلك رأسـاً، ولم يقبـل هـدى اللـه الذي أرسلت به)(1)

مثل حبة الخردل:

واصل حديثـه قـائلا: وقـد ضـرب لهم مثلا آخـر ليهـيئهم لقبـول النبي الجديد، فقال: (يشبه ملكوت السـموات حبـة خـردل، أخـذها إنسان، وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور، لكن متى نمت فهي أكـبر البقـول، وتصـير شـجرة، حـتى إن طيـور السـماء تـأتي وتتآوى في أغصانها.. قال لهم مثلاً آخـر: يشـبه ملكـوت السـموات خميرة أخـذتها امـرأة وخبأتهـا في ثلاثـة أكيـال دقيـق حـتى اختمـر الجميع، هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال، وبدون مثــل لم يكن يكلمهم) (متى 13/31-34). (انظر مرقس 4/30-32).

مثل العاملين:

قال: وقد ضرب المسيح لهذا الموعـود بمثـل آخـر تحـدث فيـه عن تأخر زمان ظهـوره عن النبـوات السـابقة، لكن ذلـك لن يمنـع عظيم الأجر والثواب لأمته، فقال:(فـإن ملكـوت السـماوات يشـبه رجلاً رب بيت خرج مع الصـبح ليسـتأجر فَعَلـة لكرمـه، فـاتفق مـع الفعلـة على دينـار في اليـوم وأرسـلهم إلى كرمـه، ثم خـرج نحـو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياماً في السوق بطـالين، فقـال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم، فمضوا.

وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل ذلك.

1) رواه البخاري ومسلم.

ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا، كلَّ النهار بطالين؟

قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبـوا أنتم أيضـاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم.

فلمـا كـان المسـاء قـال صـاحب الكـرم لوكيلـه: ادع الفعلـة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين.

فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً، فلمـا جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر، فأخذوا هم أيضاً دينـاراً دينـاراً، وفيما هم يأخذون تذمروا على رب الـبيت قـائلين: هـؤلاء الآخـرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر.

فأجاب وقال لواحـد منهم: يـا صـاحب مـا ظلمتـك، أمـا اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب، فـإني أريـد أن أعطي هـذا الأخـير مثلـك. أو مـا يحـل لي أن أفعـل مـا أريـد بمـالي أم عينـك شريرة لأني أنا صالح!

هكــذا يكــون الآخــرون أولين، والأولــون آخــرين، لأن كثــيرين يُدعَون، وقليلون ينتخبون)(متى 20/1 - 16)

إن المسيح ـ من خلال هذا المثال ـ يهيء النفوس لتقبل النــبي الخاتم، فهو مـع كونـه خـاتم الرسـل إلا أن اللـه برحمتـه وهب لـه ولأمتــه من الفضــل مــا لم ينلــه غــيره.. فــالآخرون هم الأولــون السابقون كما قال المسيح.

وقد أكد ذلك محمد ﷺ فقال:(نحن الآخرون السابقون)(1)

1) هذا هو نص الحديث :« إن الله أدرك بي في الأجل المرجو واختارني اختيـارا فنحن الاخرون ونحن السابقون يـوم القيامـة، وإني قائـل قـولا غـير فخـر : ابـراهيم خليـل اللـه وموسى صفي الله وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامـة، وإن اللـه وعـدني في أمتي وأجارهم من ثلاث : لا يفنيهم بسنة، ولا يستأصلهم عـدو، ولا يجمعهم على ضـلالة » رواه الدارمي، وابن عساكر عن عمرو بن قيس.

وضـرب مثـالا على ذلـك لا يختلـف عن مثـال المسـيح، فقـال: (مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجـل اسـتأجر أجـراء فقـال: من يعمل لي غدوة إلى نصف النهـار على قـيراط؟ فعملت اليهـود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قــيراط، فعملت النصـارى، ثم قـال من يعمـل لي من العصـر إلى أن تغيب الشـمس على قـيراطين؟ فـأنتم هم. فغضـبت اليهـود والنصـارى فقالوا: مالنا أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال: هل نقصـتكم من حقكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء)[2]

مثل الكنز:

قال: وضرب المسيح مثلا لهيمنة الشريعة الجديـدة على سـائر الشرائع السابقة ونسخها لها، فقال: (أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفياً في حقل وجده إنسان، فأخفاه، ومن فرحه مضى وبـاع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل.

أيضاً يشبه ملكوت السموات إنسـاناً تـاجراً يطلب لآلئ حسـنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وبـاع كـل مـا كـان لـه، واشتراها)(متى 13/44-46).

الكامل:

قال: وقد قـال المسـيح مبشـراً بالقـادم الـذي ينسـخ الشـرائع بشريعته: (لا تظنوا أني جئت لأنقض النـاموس أو الأنبيـاء، مـا جئت لأنقض بل لأكمـل، فـإني الحـق أقـول لكم: إلى أن تـزول السـماء والأرض لا يزول حرف واحـد أو نقطـة واحـدة من النـاموس حـتى يكون الكل)(متى 5/17-18)، أتدري من هذا الذي له الكل؟

صمت، فقـال: إنـه ذات النـبي الـذي يسـميه بـولس بالكامـل، ومجيئه فقط يبطـل الشـريعة وينسـخها،(وأمـا النبـوات فسـتبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، لأننـا نعلم بعض العلم، ونتنبـأ بعض التنبؤ، ولكن مـتى جـاء الكامـل فحينئـذ يبطـل مـا هـو بعض) (كورنثوس (1) 12/8-10)

---

2) رواه مالك والبخاري والترمذي.

الأصغر:

قال: وفوق هذا كله وردت بشـارة أخـرى على لسـان المسـيح تبشر بهذا النـبي المنتظـر، وتؤكـد أنـه أعظم الأنبيـاء، وأنـه النـبي المسمى إيليا، وأنه الذي تقاطرت النبوءات على البشارة به، يقول المسيح: (الحق الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصـغر في ملكـوت السـماوات أعظم منـه.. لأن جميـع الأنبيـاء والنـاموس إلى يوحنـا تنبـؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا، فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع)(متى 11/11 - 15)

فالأصغر في ملكوت السماوات هو إيلياء المزمع أن يأتي، الذي تنبأ به الأنبياء، نبياً تلو نبي، وكان آخرهم يوحنا المعمدان.

فمن هو إيليا، الأصغر في ملكوت السماوات؟

قلت: إنه المسيح.. المسيح هنا يتنبأ عن نفسه.

قال: لا.. أنتم أنفسكم لا تقرون بذلك.

قلت: كيف لا نقر بذلك؟

قال: إن الأصغر يشـير إلى أن هـذا الموعـود سـيختم رسـالات الله.. فهل تحقق ذلك في المسيح؟

صـمت، فقـال: أنتم لا تقـرون بـذلك.. ذلـك أنكم تـرون نبـوة التلاميذ والرسل الذين جاءوا بعد المسيح.

***

لم أشعر بتلك البرية المقدسة الـتي سـرت بصـحبة يسـوع أو عيسى فيها رغم طول المسافة التي قطعناها، لقد كان لكلامه من الحلاوة ما يأسر القلوب، وكان فيه من المنطق ما يأسـر العقـول، وكان فيه من الروحانية ما يأسر الأرواح.

لم أكن أجسر على مقاطعته.. فقد كنت أشعر نحـوه بتقـديس

عظيم لا يقل عن تقديسي للقديسين الذين كنت أقرأ عنهم، وأحن لهم.

بل لعلي كنت أشعر نحوه بتقديس أعظم من ذلـك التقـديس.. فقد كان بسيطا في مظهره.. ولكنه كان قمــة لا أرى أن من نقلت لنا أنباؤهم من القديسين يمكن أن يصل إليها.

فجأة غاب عـني.. ولا أزال إلى الآن أجهـل كيـف غـاب، ولا أين ذهب..

سرت قليلا بصحبة نفسي الـتي امتلأت بـالحيرة لمـا سـمعت.. وببصيص النور الذي اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

لاقاني في الطريق اثنان يلوح من عينيهما الشر، يحمل أحدهما تاجا من الشوك، ويحمل الآخر صليبا..

كانت تظهر على وجهيهما القسوة والشدة، لكنهمـا لمـا لاحظـا هيئـة لباسـي الـتي تـدل على ديـني ووظيفـتي قـدما لي قـرابين الاحترام.. ومع ذلك استوقفاني، وجرى هذا الحوار بيني وبينهما.

قال أحدهما: أكنت تسير في هذه البرية؟

قلت: أجل.

قال: ألم تر فيها رجلا غريبا يمتلئ بالأنوار المظلمة؟

قلت: لم أفهم قصدكما.

قال: نحن نبحث عن رجل يسمى يسوع، ويسمى عيسى..

قلت: لم ؟.. ما الذي تريدان منه؟

قال الأول: لئن لاقيناه لنذيقنه من ألوان الهوان ما لم يذقه أحد في حياته.

قال الثاني، وهـو يشـير إلى تاجـه: لنلبسـنه تـاج الشـوك الـذي

يبشر به.

قال الأول، وهو يشير إلى صليبه: بل سنعلقه في الصليب، ثم نحرق جثته بعد ذلك، ثم نرميه في البحار السبعة..

قلت: أراكما تحملان حقدا عظيما.. ألستما من أتباع المسيح؟

قالا : بلى..

قلت: فلم تريدان قتل يسوع إذن؟

قالا: لا.. هذا ليس يسوعنا.. إنه أقرب إلى المسيح الدجال.. إنه يحول كل بشارات المسيح لتنزل على محمد..

قال الأول: بل إنه يحول الإنجيل إلى كتاب بشارة بمحمد.

قال الثاني: بل يحول من المسيح صوتا صارخا في البرية مبشرا بمحمد، وممهدا الطريق لنبوته.

قلت: وما يضيركما من كلامه هذا؟.. ردا عليه كلامه بالحجة، لا بتيجان الشوك، أو الصلبان.

قالا: بأي حجة نرد عليه.. وهو يحفظ الكتاب المقدس حرفا حرفا.. ويقرأ تفسيره تفسيرا تفسيرا.. وقد أوتي من البديهة وقوة الحجة وصفاء الذهن ما نرى أنفسنا نفتقر إليه.

قلت: فوفرا ما تحتاجان إليه من هذه الوسائل، لتنتصرا للحقيقة التي تؤمنان بها.

قالا: ولكنك لا تدري ما يفعل.. إنه لم يترك أحدا يمر على هذه البرية إلا أضله.. ولولا أن الله حماك من لسانه لصحبته الآن كما صحب الحواريون المسيح.

قلت: فهل يملك هذا الرجل معجزات المسيح؟

قال: لا.. ولكنه يحمل أشياء لا تقل خطرا.

قلت: فما هي؟

قالا: سمت المسيح.. وروح المسيح.. وصفاء المسيح.. وسلام المسيح.. ومحبة المسيح.. إنه قريب جدا من المسيح.. حتى صورة جسده وطريقة مشيه وصفاء لونه.. إنه مبعث فتنة عظيمة لن نرتاح حتى نتخلص منها.

قلت: ولكن المسيح رسول سلام.. وأنتما تزعمان أنكما أتباع المسيح..ألم تسمعا ما قال المسيح: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم يدعون أبناء الله)(متى 5/9)؟

قالا: وهو القائل: (جئت لألقي ناراً على الأرض.. أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض.. كلا أقول لكم، بل انقساماً)(لوقا 12/49 -ـ 51)، وفي متى، قال: (لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً، بل سيفاً) (متى 10/34)

قلت: فأنتما تختاران من أقوال المسيح ما يتناسب مع أهوائكما.

قالا: لسنا وحدنا في ذلك.. الكتاب المقدس ـ يا صاحبي ـ كتاب لكل شيء.. إن أردنا أن ندعو للسلام ذكرنا قولك، وإن أردنا الحرب ذكرنا قولنا..

إنه يحمل الحب والبغض، والحرب والسلام، والتوحيد والوثنية، والشريعة والأهواء.. ليحمل كل واحد منه ما يشتهي.. إنه الكتاب المقدس.. إنه أقدس كتاب.. فهل تريده وجها واحدا؟

لقد كان كلامهما أعظم خطرا من كل ما حاول يسوع أن يقنعني به..

لقد استحييت من دين يدين به مثل هذين الرجلين..

انصرفا عني.. وهما يقولان: احذر من يسوع.. فليس في العالم أخطر منه.

بشارات من أسفار الأنبياء

في اليوم التاسع خرجت من بيتي.. وأنا مستغرب مما حصل لي في هذه الرحلة التي اتفق الكل على أن يلقنني فيها تعاليم واحدة، لقد كنت أقول لنفسي: لو أن هؤلاء جميعا اجتمعوا ودبروا وخططوا ما كان لخططهم أن تكون بهذه الدقة التي أراها..

لست أدري هل كان ذلك مجرد مصادفة، أو أن الله تعالى وفر لي ذلك الجو ليجذبني إلى الحقيقة التي كنت أفر منها بكل ما أوتيت من قوة، أو هي شمس محمد تأبى إلا أن تسطع، لتغمر كل ما تحتها بأشعتها المنيرة الدافئة !؟

سرت بهذه الحال، فصادفني ناد لم أشك في كونه ناديا مسيحيا، فقد كان الصليب على بابه، وبجانبه كثير من الشعارات والصور المسيحية.

دخلت إليه، لأمسح بعض آثار الشبهات التي امتلأت بها نفسي في الأيام السابقة التي قضيتها في تلك القرية.

رأيت داخل القاعة مجموعة رجال تجتمع على مائدة واحدة، لست أدري كيف ملت إلى الجلوس بجانبهم، ولست أدري كيف حنت نفسي إلى الاستماع لهم.. لقد كان هناك مغناطيس يجذبني إليهم، ولكني لا أراه، ولا أستطيع أن أفر منه.

لم أتكلم في ذلك المجلس كلمة واحدة، لقد كنت أكتفي بالنظر وباستراق السمع، وقد كان لهم من أدب الحديث ما جعلني أنجذب إليهم انجذابا تاما.

وسأقص عليك حديثهم من أوله إلى أن فارقت ذلك المجلس.

بشارة ميخا:

قال أحدهم، واسمه دانيال ـ على حسب ما علمت بعد ذلك ـ: ماذا تقول يا ميخا؟.. هل رأيت ذلك حقيقة؟

قال ميخا: أجل يا دانيال.. رأيته كما أراك الآن، وأنا الآن أعرفــه كما أعرف أبنائي.. لقد صدق كتاب المسلمين المقدس حين قال : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ ﴾ (البقـرة: 146)

قال دانيال: وقد قـال تتمـة للآيـة :﴿ وَإِنَّ فَرِيقـاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُـونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 146)

قال ميخا: صدق كتاب محمد.. إن كثيرا من التحريفات واضـحة في الكتـاب المقـدس.. وأخطـر تلـك التحريفـات تلـك النصـوص الممحوة.. ولكن مع ذلـك يمكن للـبيب العاقـل أن ينتبـه لهـا.. بـل يراها من حجب الكتمان الكثيرة التي رانت عليها.

قال دانيال: حدثني عما رأيت، وعما ملأك بهذه القناعة.

قال ميخا: لقد رأيت النبي ميخا يخبر عن الوقوف بجبـل عرفـة الذي لا يقف عليه إلا المسلمون.

قالوا: أصحيح ذلك؟

قال ميخا: أجل.. أنتم تعرفون أن النـبي ميخـا شـاهد الهيكـل.. هيكل سليمان.. ولكنه في البشارة التي هـداني اللـه إليهـا يتحـدث عن أمم كثـيرة، وشـعوب من كـل بقـاع الأرض متوحـدة على دين واحد، وهي تسعى.. يستحيل أن يكون ذلك غير جبل عرفات.

سأقرأ لكم البشارة لتسمعوها بعقولكم، وتسمعوا معهـا ميخـا، وهو يبشر بمحمد.

أنصت الجميع بخشوع إليه، فراح يقرأ: (ويكون فى آخـر الأيـام أن جبـل بيت الـرب يكـون ثابتـا فى رأس الجبـال، و يرتفـع فـوق التلال، وتجرى إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة. ويقولون هلم نصـعد إلى جبل الرب، وإلى بيت إله يعقوب. فيعلمنا من طرقـه، ونسـلك فى سبله، لأنه من صـهيون تخـرج الشـريعة، ومن أورشـليم كلمـة

الرب)(ميخا: 4/1)

قالوا: ولكنا نرى النص يتحدث عن أورشليم.. وعن صهيون.

قال: هـذا من التحريـف.. تـأملوا الأوصـاف الـتي ذكرهـا.. هـل تنطبق على جبل صهيون.. أم ترونها تنطبق على جبل عرفات؟

قالوا: ولكن كيف نترك الاسم الواضح إلى الوصف المحتمل؟

قال: أنتم تعلمون أن إسماعيل كان بكرا لإبراهيم.

قالوا: ومن يشك في ذلك.. وما علاقة ذلك بنبوءة ميخا؟

قال: لقد أثبتوا في الكتاب المقدس.. أولئك المحرفون الذين لا يتورعـون.. مـا يـبين تناقضـهم.. ألم يضـيفوا إسـحق إلى النبـوءة.. فذكروا أن الله قال لإبراهيم: (اذبح ابنك بكرك إسحاق)، وهــذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله، فقد جمعوا بين النقيضين، فإن بكــره هو اسماعيل فإنه بكر أولاده، واسحاق انما بشر به على الكبر بعــد قصة الذبح.

قال ملاخي: لقد ذكرتني يا ميخا بنص قرأته في إنجيـل برنابـا.. ذلك الإنجيل الذي نطبق على تكذيبه.. ومع ذلك نشعر بـأن لــه من الصدق ما تفتقر إليه سائر الأناجيل.

هاهو الإنجيل معي.. وسأفتحه على الموضع الذي يؤكد فيــه أن الذبيح هو إسماعيل.. ويذكر تلاعب قومنا بالكتاب المقدس.

اسمعوا ما يقول.

أخذ يقرأ عليهم بخشوع من إنجيل برنابا: (الحـق أقـول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقـط علامـة رحمـة اللـه، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسـلوا إليـه، ولكن رسـول الله متى جاء يعطيه الله ما هـو بمثابـة خـاتم يـده، فيحمـل خلاصـا ورحمــة لأمم الأرض الــذين يقبلــون تعليمــه، وســيأتي بقــوة على الظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخـزي الشـيطان.. لأنـه هكـذا

وعد الله إبراهيم قائلا: (انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك)

أجاب يعقوب: يا معلم، قل لنا من صنع هذا العهد؟ فـإن اليهـود يقولون بإسحق والإسماعيليون يقولون بإسماعيل.

أجاب يسوع: ابن من كان داود، ومن أي ذرية؟

أجاب يعقوب: من إسحق لأن إسحق كان أبا يعقـوب ويعقـوب كان أبا يهوذا الذي من ذريته داود.

أجاب التلاميذ: من داود؟!

فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم، لأن داود يدعوه في الروح ربا قائلا هكذا: قال الله لـربي اجلس عن يميـني حـتى أجعـل أعـداءك موطئا لقدميك، يرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سـلطان في وسط أعدائك.. فإذا كان رسول الله الذي تسـمونه مسـيا ابن داود فكيف يسميه داود ربا.. صدقوني لأني أقـول لكم الحـق، إن العهـد صنع بإسماعيل لا بإسحاق..

حينئذ قـال التلاميـذ: يـا معلم هكـذا كتب في كتـاب موسـى أن العهد صنع بإسحق..

أجاب يسوع متأوها: هذا هـو المكتـوب ولكن موسـى لم يكتبـه ولا يسوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله.. الحـق أقـول لكم إنكم إذا أعملتم النظـــر في كلام الملاك جبريـــل تعلمـــون حيث كتبتنـــا وفقهائنا لأن الملاك قال:(يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيـف يحبـك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقـا يجب عليـك أن تفعـل شيئا لأجل محبة الله).. أجاب إبراهيم: (ها هو ذا عبـد اللـه مسـتعد أن يفعل كلم ما يريد الله)

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا: (خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة)، فكيف يكون إسحق البكر وهو لما ولد وكـان إسماعيل ابن سبع سنين؟

أغلق الكتاب، وقال: إني أشـم روائح الصـدق من هـذا الإنجيـل أكثر من أي إنجيل آخر.

التفتوا إلى ميخا، وقالوا: عد بنا إلى بشارة ميخا.

قال: كمـا أن قومنـا حرفـوا اسـم الـذبيح، فـإنهم حرفـوا اسـم المكان المعظم الذي جرت فيـه أحـداث القصـة، فسـمتها التـوراة السامرية (الأرض المرشدة)، فيما سمته التوراة العبرانية (المريا)، ولعله تحريف لكلمة (المروة)، وهو اسم لجبل يقع داخـل المسـجد الحرام في مكة المكرمة، أي في المكان الذي درج فيه إسماعيل، وهو المكان الذي يوجد فيه جبل عرفات.

وقد اتفق النصان العبري والسامري على تسمية ذلك الموضـع (جبل الله)، ولم يكن هذا الاسم مستخدماً لبقعة معينة حينذاك، لذا اختلف اليهود في تحديد مكانه اختلافاً بينـاً، فقـال السـامريون: هـو جبل جرزيم، وقال العبرانيون: بل هو جبل أورشليم الذي بني عليه الهيكل بعد القصة بعدة قرون كما في (الأيام (2) 3/1).

وقـد أكـد البـاحثون هـذا الاختلاف، فهـذا الـدكتور بوسـت في قاموس الكتاب المقدس، يقول: (يظن الأكثرون أن موضع الهيكـل هو نفس الموضع الذي فيه أمر إبراهيم أن يستعد لتقديم إسـحاق، غير أن التقليد السامري يقول: إن موضع الذبح لإسحاق كـان على جبل جرزيم، وبعض العلماء يوافقونهم)

ويقول محققو نسخة الرهبانية اليسوعية: (يطابق سفر الأخبـار الثـاني (3/1) بين موريّـا وبين الرابيـة الـتي سيشـاد عليهـا هيكـل أورشليم.. غير أن النص يشير إلى أرض باسم موريّا لا يأتي ذكرهـا في مكان آخر، ويبقى مكان الذبيحة مجهولاً)

والحق الذي توصلت إليه هو أن المكان معروف غـير مجهـول، لأن قصـة الـذبح جـرت في الأرض المرشـدة، وهي أرض العبـادة، وهي مكة أو بلاد فاران.

وقد رأيت أن اختلافهم دليل على صحة ذلك، واتفاقهم على اسم المكان بجبل الرب صحيح، لكنهم اختلفوا في تحديده لرجمهم بالظنون، وقد ربطوه بتسميات ظهرت بعد الحادثة بقرون عدة، وتجاهلوا البيت المعظم الذي بني في تلك البقعة حينذاك، ويسمى بيت الله، كما سمي الجبل الذي في تلك البقعة جبل الله.

وقد بقي هذا الاختلاف من أهم الاختلافات التي تفرق السامريين عن العبرانيين، وقد أدرك المسيح هذا الخلاف، فذات مرة دخلت عليه امرأة سامرية، وسألته عن المكان الحقيقي المعد للعبادة، فأفصح لها المسيح أن المكان ليس جبل جرزيم السامري، ولا جبل عيبال العبراني الذي بني عليه الهيكل.

لقد قرأتم ذلك بلا شك.. فقد جاء في إنجيل متى: (قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون أن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع: يا امرأة صدقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود.

ولكن تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا)(يوحنا 4/19-24)

فمن هم الساجدون الحقيقيون الذين يسجدون في غير قبلة السامريين والعبرانيين، إنهم الأمة الجديدة التي تولد بعد حين، إذ لم تدع أمة قداسة قبلتها سوى أمة الإسلام التي يفد إليها ملايين المسلمين سنوياً في مكة المكرمة.

وقوله عن ساعة قدوم الساجدين الحقيقيين (ولكن تأتي ساعة وهي الآن) يفيد اقترابها لا حلولها، كما في متى: (أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتياً على

سحاب السماء) (متى 26/64)، وقد مات المخـاطبون وفنـوا، ولم يروه آتياً على سحاب السماء.

ومثله قول المسيح: (وقال له: الحق الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحـة، وملائكـة اللـه يصـعدون ويـنزلون على ابن الإنسان)(يوحنا 1/51)، (وانظر صموئيل (1) 15/28).

قال حجي: بورك فيك يا ميخا.. لقد فهمت الآن نصـا من سـفر إشعيا طالمـا احـترت في تفسـره.. لقـد رمـز النـبي إشـعيا لمكـة بالعاقر، وتحدث عن الجموع الكثيرة التي تأتي إليها، ويعدها بالأمان والبركة والعـز، فقـال:(تـرنمي أيتهـا العـاقر الـتي لم تلـد، أشـيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض، لأن بـني المستوحشـة أكـثر من بـني ذات البعـل، قـال الـرب: أوسـعي مكـان خيمتـك ولتبسـط شـقق مساكنك، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتـدين إلى اليمين والى اليسار، ويرث نسلك أممـاً، ويعمـر مـدناً خربـة، لا تخافي لأنك لا تخـزين، ولا تخجلي لأنـك لا تسـتحين، فإنـك تنسـين خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد..

قال راحمك الرب: أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، هانــذا أبني بالإثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسـك، وأجعـل شـرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمـة، وكـل بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً، بالبر تثبـتين بعيـدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك، ها إنهم يجتمعون اجتماعـاً ليس من عندي، من اجتمع عليك فإليـك يسـقط، هانـذا قـد خلقت الحداد الـذي ينفخ الفحم في النـار ويخـرج آلـة لعملـه، وأنـا خلقت المهلك ليخرب كل آلة صـورت ضـدك لا تنجح، وكـل لسـان يقـوم عليك في القضاء تحكمين عليه، هذا هو ميراث عبيد الـرب وبـرهم من عندي)(إشعيا 1/54-17)

ففي النص مقارنة لمكة بأورشليم، فسـمى مكـة بالعـاقر لأنهـا لم تلد قبل محمـد، ولا يجـوز أن يريـد بالعـاقر بيت المقـدس، لأنـه بيت الأنبياء ومعدن الوحي، وقد يشكل هنا أن نبوة إسماعيل كانت

في مكة، فلا تسمى حينذاك عاقراً، لكن المراد منه مقارنـة نسـبية مع أنبياء أورشليم.

قال حبقوق: لقد تحدثت المزامير عن مدينة المسيح المخلص، المدينـة المباركـة الـتي فيهـا بيت اللـه، والـتي تتضـاعف فيهـا الحسـنات، فالعمـل فيهـا يعـدل الألـوف في سـواها، وقـد سـماها باسمها (بكة)، فجاء فيها:(طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك، سلاه، طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم، عابرين في وادي البكاء يصيرونه ينبوعاً، أيضاً ببركـات يغطـون مـورة، يـذهبون من قوة إلى قوة، يرون قدام الله في صهيون، يـا رب إلـه الجنـود اسمع صلاتي وأصغ يا إلـه يعقـوب، سـلاه، يـا مجننـا انظـر يـا اللـه والتفت إلى وجه مسيحك، لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف، اخترت الوقوف على العتبـة في بيت إلهي على السـكن في خيـام الأشرار) (المزمور 84/4-10).. فقـد ورد في الترجمـة الإنجليزيـة هكذا (through the valley of Ba'ca make it a well) فذكر أن اسمها بكة، وترجمته إلى وادي البكاء صورة من التحريف.

وقد سماها النص العبري بكة، فقال: [בְּעֵמֶק הַבָּכָא]، وتقـرأ : (بعيمق هبكا)، أي وادي بكة.

والنص كما جاء في ترجمة الكاثوليك هكذا: (يجتازون في وادي البكـاء، فيجعلونـه ينـابيع مـاء، لأن المشـترع يغمـرهم ببركاتـه، فينطلقـون من قـوة إلى قـوة، إلى أن يتجلى لهم إلـه الآلهـة في صهيون)(83/7-8)

قال حجي: هذا الاسم (بكة) هو اسـم بلـد محمـد، وهـو الاسـم الذي سمّى القرآن الكريم به مكة البلد الحرام، كما في القرآن : إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِـعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكـاً وَهُـدىً لِلْعَـالَمِينَ (آل عمران:96)، وبركة هذا البيت بما جعل الله لقاطنيه وقاصـديه من مضاعفة الحسنات عنده، فصلاة فيه كمـا يخـبر محمـد تعـدل أكـثر من ألف صلاة فيما سواه، فصـدق فيـه قـول المزمـور: (لأن يومـاً

واحداً في ديارك خير من ألف)

بشارة دانيال:

التفت ميخا إلى دانيال، وقال له: لقد ذكرت البشـارة العظيمـة التي وجدتها.. فهل وجدت أنت شيئا؟

قال دانيال: أنتم تعلمون أن الكتاب المقدس نقل بعض نبوءات الأنبياء عن زمن ظهور هذا الملكوت.

قالوا: أجل.. لا شك في ذلك.

قــال: ومن ذلــك أن بختنصــر رأى رؤيــا أفزعتــه ولم يعــرف العرافون ولا المنجمون تعبيرها، ففسـرها لـه النـبي دانيـال فقـال: (أنت أيها الملك كنت تنظر، وإذا بتمثال عظيم، هذا التمثال العظيم البهي جداً وقف قبالتك، ومنظره هائل، رأس هذا التمثال من ذهب جيد، وصدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخـذاه من نحـاس، سـاقاه من حديد، قدماه بعضها من حديد، والبعض من خزف.

كنت تنظر إليه إلى أن قطع حجر بغـير يـدين، فضـرب التمثـال على قدميه اللـتين من حديـد وخـزف فسـحقهما، فانسـحق حينئـذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معـاً، وصـارت كعصـافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان.

أنت أيها الملك ملك ملوك، لأن إله السماوات أعطـاك مملكـة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، وحيثما يسـكن بنـو البشـر ووحـوش الـبر وطيور السماء.. فأنت هذا الرأس من ذهب.

وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخـرى من نحـاس فتتسـلط على كـل الأرض، وتكـون مملكـة رابعـة صـلبة كالحديـد، لأن الحديـد يسـحق كـل شـيء، وكالحديـد الـذي يكسـر تسحق وتكسر كل هؤلاء، وبما رأيت القدمين والأصـابع بعضـها من خــزف والبعض من حديــد، فبعض المملكــة يكــون قويــاً والبعض قصماً، وبما رأيت الحديد مختلطـاً بخـزف الطين فـإنهم يختلطـون

بنسل الناس....

وفي أيام هؤلاء يقيم إلـه السـماوات مملكـة لن تنقـرض أبـداً، ومَلِكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنـه قـد قطـع حجـر من جبـل لا بيـدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هـذا. الحلم حـق وتعبـيره يقين)(دانيـال 2/21 - 45)

قالوا: فـأي دلالـة على محمـد يشـير إليهـا هـذا التفسـير الـذي فسره دانيال؟

قال: أنتم تعلمون أن هذه الرؤيا وتفسيرها يشـير إلى الممالـك التي ستقوم بين يدي بني الملكوت.

قالوا: أجل.. ذلك واضح.

قال: ولهذا حاولت أن أطبق تفسير هـذه الرؤيـا على الأحـداث التاريخية لأرى من تنطبق عليه.

قالوا: هذا جيد.. وهو منهج علمي صحيح.

قال: لقد رأيت أن أولها هي مملكة بابل التي يرأسـها بختنصـر، والتي يرمز لها في الحلم بالرأس الذهبي.

ثم مملكة فارس التي أقامهـا خسـرو، وتسـلط ملكهـا قـورش على بابـــل ســنة (593 ق.م)، ورمـــز لهـــا في المنـــام بالصـــدر والذراعين من فضة.

ثم تلتهـا مملكـة مقدونيـة والـتي قضـت على مملكـة الفـرس، وأسسها الاسكندر المقـدوني (336 ق.م)، ويرمـز لهـا في المنـام بالبطن والفخذين من النحاس.

ثم تلتهـــا امبراطوريـــة الرومـــان والـــتي أسســـها الأمـــبرطور بوفــبيوس (63 ق.م)، ورمــز لهــا في المنــام بســاقين من حديــد

وقدمين إحداهما من خـزف وأخـرى من حديـد، ولعلـه أراد دولـتي فارس والروم أو انقسام الأمبراطورية الرومانية.

وفي أيام هذه الامبراطوريـة نصـت النبـوءة على أن اللـه يقيم المملكة التي لن تنقرض أبدا.. كما جاء في سفر دانيال: (وفي أيام هؤلاء يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً)

وقد جاء بقيامها الحجـر الـذي رذلـه البنـاؤون، وقـد قطـع بغـير يـدين، إذ جـاء من السـماء ليقضـي على الفـرس والـروم، وأقـام الملكوت الموعود في الدنيا قروناً طويلـة، ولم ينقطـع بـأس هـذه الأمة إلا في هذا القرن الأخير.

ولعل في هذه النبوءة ما يبشر بكون هذا الكسوف عرضـاً زائلاً ما يلبث أن يزول، فتشرق شمس أمة محمد من جديد.

وقـد أقـر هـودجكن في كتابـه (المسـيح في كـل الكتب) بـأن الحجر الذي قطع بغـير يـدين، ويسـحق التمثـال العظيم كنايـة عن مملكة (المسيا) أي المسيح المنتظر.. وليس المسـيح المنتظـر إلا محمد.

وفي التفسـير التطـبيقي: وأمـا الحجـر المقطـوع من الجبـل، فيشير إلى ملكوت الله الذي يحكمه المسِيّا ملك الملوك إلى الأبد.

قال زكريا: لقد فهمنا هـذه الرؤيـا.. ودلالتهـا التاريخيـة صـريحة جدا.. وقد قرأت رؤيا دانيال للحيوانـات الأربـع.. فهـل لـديك شـيء في تفسيرها؟

قال دانيال: أجل.. وسأقص عليكم الرؤيا قبل أن أفسرها لكم.. قـال دانيـال: كنت أرى في رؤيـاي ليلاً، وإذا بـأربع ريـاح السـماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانـات عظيمـة هذا مخالف ذاك، الأول كالأسد.. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب.. وإذا بآخر مثل النمر.. وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جداً، وله أسنان من حديد كبيرة، أكل وسـحق وداس البـاقي برجليـه، وكـان

مخالفاً لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون.. كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسـان أتى، وجـاء إلى القديم الأيـام، فقربـوه قدامـه، فـأعطي سـلطاناً ومجـداً وملكوتـاً، لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سـلطان أبـدي مـا لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض)(دانيال 7/3-18)

قال زكريا: لقد رأيت قومي يفسرون الممالك الأربعة بالمملكة البابليـة ثم الفارسـية ثم اليونانيـة ثم الرومانيـة، ويـرون الملكـوت متحققـاً في ظهـور دين المسـيح وتأسـيس الكنيسـة في يـوم الخمسين عندما نزل الـروح القـدس على التلاميـذ المجتمعين في أورشليم.

قال دانيـال: كنت أقـول ذلـك مثلهم.. لكـني لمـا تخلصـت من القيود التي كانت تحول بين عقلي وبين التفكير السليم وجـدت أن المملكـة الروحيـة الـتي أسسـها الحواريـون لا يمكن أن تكـون الملكوت الموعـود، لأن دانيـال يتحـدث عن أربـع ممالـك حقيقيـة، سحق آخرَها ملكٌ حقيقي، لا روحي، كما جاء فيها: (وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكهـا لا يـترك لشعب آخر، وتسحق وتفني كل هذه الممالك)(دانيال 2/44)

وقـال عن المملكـة ونبيهـا: (لتتعبـد لـه كـل الشـعوب والأمم والألسنة)(دانيال 7/14)

وقد فهم التلاميذ من المسيح أن هذه المملكة القادمة زمنيـة لا روحية، فسألوه، وهم يظنون أنهـا تقـوم على يديـه: (هـل في هـذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟)(أعمال 1/6)، وقد اجتهد المسيح في إفهـامهم أن مملكتـه روحيـة، بينمـا المملكـة القادمـة مملكـة حقيقية.

ثم إن مملكة التلاميذ لم تقهر الدولة الرومانية، بل إن الرومـان قهروا المسيحية بعد حين، حين أدخلوا وثنياتهم فيها.

وكيف لنا أن نقول بأننا قهرنا الرومان، ونحن نزعم أن المسـيح

مات على أعواد صليب روماني؟

أمــا المســلمون فهم الــذين قضــوا على الدولــة الرومانيــة، واقتلعوها من أرض فلسطين، ثم بقية بلاد الشام ومصر.

بشارة حبقوق:

التفتوا إلى رجل منهم، اسمه حبقوق، فقالوا: مالنا نراك واجما يا حبقوق؟

قال: أنــا محتــار من نفســي، ومن قــومي.. لطالمــا قــرأت في سفر حبقوق قوله:(يا رب قد سمعت خــبرك فجــزعت : اللــه جــاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران) (حبقــوق 3/2) فلم نلــق لــه بالا على الرغم من أن فيه تبشيرا صريحا بمحمد.

قالوا: كيف؟

قال: أتعلمون سبب جزع النبى حبقوق؟

قالوا: لا.. لقد علم أن النبي الخاتم الموعــود ســيكون من بــني إسماعيل..

إن كل النبوءة تشير إليه.. سأقرأها عليكم كاملة.. اسمعوا.

فتح الكتاب المقدس على سفر حبقوق، ثم راح يقــرأ بخشــوع: (يــا رب قــد ســمعت خــبرك فجــزعت، يــا رب عملــك في وســط السنين أحيه، في وسط السنين عــرّف.في الغضــب اذكــر الرحمــة الله جاء من تيمان والقــدوس من جبــل فــاران.ســلاه.جلالــه غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. لــه من يده شعاع وهناك استتار قدرتــه. قدامــه ذهب الوبــاء، وعنــد رجليــه خــرجت الحمّى. وقــف وقــاس الارض.نظــر فرجــف الامم ودكّت الجبال الدهرية وخسفت اكام القدم.مسالك الازل لــه. رأيت خيــام كوشان تحت بلية.رجفت شقق ارض مديان. هل على الانهار حمي يا رب هل على الانهــار غضــبك او على البحــر ســخطك حــتى انــك ركبت خيلـــك مركباتـــك مركبـــات الخلاص. عـــرّيت قوســـك

تعرية.سباعيّات سهام كلمتك.سلاه.شققت الارض انهـارا. ابصـرتك ففزعت الجبال.سيل المياه طما.اعطت اللجّة صـوتها.رفعت يـديها الى العلاء. الشـمس والقمـر وقفـا في بروجهمـا لنـور سـهامك الطائرة للمعان برق مجـدك. بغضـب خطـرت في الارض.بسـخط دسـت الامم. خـرجت لخلاص شـعبك لخلاص من مسـحته ملكا.سحقت راس بيت الشرير معرّيا الاساس)(حبقوق 3: 2-14)

قالوا: فاشرح لنا منها ما هداك إلى محمد.

قال: ألا ترون في النص ذكرا لأمـاكن محـددة لا يمكن التلاعب بتأويلها؟

قـال يوحنـا: أجـل.. أرى جهـتين مـذكورتين فى مطلـع هـذا المقطع، وهما: تيمان، والتي تعنى اليمن، وجبل فاران، وهـو يعـنى جبل النور الذى بمكة التى هى فاران.

قـال حبقـوق: هاتـان الجهتـان عربيتـان، وهمـا ترمـزان لشـبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً لرسـالة محمـد.. فالحـديث إن ليس عن نبي من بنى إسرائيل ؛ لأن رسل بنى إسرائيل كـانوا من جهة الشام شمالاً، لا من جهة بلاد العرب.

بالإضافة إلى أن هذه البشـارة أتت مؤكـدة للبشـارة المماثلـة لـتى وردت في سـفر التثنيـة، والـتي نصـت على أن اللـه تلألأ أو استعلن من جبل فاران.

قال حجي: ولكن.. نحن نعلم أن هناك بجوار سيناء بلدة اسمها فاران.

قال حبقوق: نعم.. لقد بحثت في هذا.. وهو لا يمنـع من وجـود فاران أخرى هي تلك التي سكنها إسماعيل وقامت الأدلة التاريخية على أنها الحجاز حيث بـنى إسـماعيل وأبـوه الكعبـة، وحيث تفجـر زمزم تحت قدميه، وهـو مـا اعـترف بـه عـدد من المـؤرخين منهم المؤرخ جيروم، واللاهوتي يوسبيوس، فقالا بأن فاران هي مكة.

بـل قـد ورد في الكتـاب المقـدس أن إسـماعيل وأبنـاءه قـد انتشـروا في هـذه المنطقـة حيث تقـول التـوراة: (هـؤلاء هم بنـو إسماعيل.... وسكنوا من حويلة إلى شور) (التكوين 25/16 – 18)، وحويلة كما جاء في قاموس الكتاب المقدس منطقــة في أرض اليمن، وشور في جنوب فلسطين.

وعلى هذا، فإن إسـماعيل وأبنـاءه سـكنوا هـذه البلاد الممتـدة جنـوب الحجـاز وشـماله، وهـو يشـمل أرض فـاران الـتي سـكنها إسماعيل، والتي نصت عليهـا التـوراة الـتي تقـول: (كـان اللـه مـع الغلام فكبر. وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر)(التكوين 21/20 -21)

صـمتوا، فقـال: ومـع ذلـك.. فأنـا لا أرى في النبـوءة إلا هـذه البشارة وحدها.. إن في البشارة ناحية مهمة جـديرة بالاهتمـام، إن فيها حديثا عن الخيل والسهام والسيوف، وذلـك لا ينطبـق إلا على جيوش محمد، وقد قال أحد المرتدين عن المسـيحية إلى الإسـلام وهو علي بن ربن الطبري بعد أن أورد تطابق هذه النبوة مع حالـه: (فإن لم يكن هو الـذي وصـفتا ــ أي محمـد ــ فمن إذاً؟ لعلهم بنـو إســـرائيل المأســـورون المســـببون، أو النصـــارى الخاضـــعون المستسلمون. وكيـف يكـون ذلـك وقـد سـمي فيهـا النـبي مـرتين ووصف عساكره وحروبه)

ألا ترون النبوءة ماذا تقـول.. إنهـا تقـول: (قـاس الأرض كقائـد يقـف وينظـر إلى ميـدان الحـرب، ويعين لفـرق جيشـه مراكـزهم وأعمالهم فيعملون كما رسم القائد)

ترى أى نبى ذلك ؟ إنه نبى محارب، لقـد كـان حبقـوق حـوالى 605 ق.م. أى بعد داود وسليمان بقرون عديدة؟

ومع ذلك.. فإن هناك الكثير مما يستوقف الناظر الصادق:

لقـد ورد في البشـارة: (قـام فمسـح الأرض)، وهـذه العبـارة

تحاكي ما جاء في حديث نبي المسلمين الذي يقول: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشـارقها ومغاربهـا، وإن ملـك أمـتي سـيبلغ مـا زوي لي منها..)(1)

وقد ورد في البشارة: (لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تـراث آبائك).. فمن أباؤه؟ إنهم إبراهيم وإسماعيل، وما هــو إرثهم ؟ هــل هو الملك أم الأموال أم ماذا ؟ إنه التوحيـد والرسـالة كمـا ورد في كتاب المسلمين المقدس : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُــوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُــؤْمِنِينَ﴾ (آل عمــران:68)، وقال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَـدَاوَةُ وَالْبَغْضَـاءُ أَبَـداً حَتَّى تُؤْمِنُـوا بِاللَّهِ وَحْـدَهُ إِلَّا قَـوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْـتَغْفِرَنَّ لَـكَ وَمَـا أَمْلِـكُ لَـكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ رَبَّنَـا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة:4)

وقـد ورد في البشـارة الإشـارة إلى كـثرة التسـبيح الـتي ملأت الأرض.. فأنبئوني عن الأمة التي تفـرد اللـه بالتسـبيح، وتكـثر منهـا بقدر ما تفعل أمة محمد.

وقـد ورد فيهـا دكـه لعـروش الظلم والطغيـان وقهـر الممالـك الجائرة، وذلك لم يتحقق إلا في رسالة محمد.

وقد ورد أن خيل جيوشه ركبت البحــر، وهــذا لم يحــدث إلا فى ظل رسالة الإسلام.

زيادة على هذا كله، فقد حصلت تحريفـات كثـيرة للنص بفعــل الترجمــة، وقــد حفــظ لنـا علي بن ربن الطـبري النص كمـا كـان مترجما في عهده، وهو (الـتيمن، والقـدوس من جبـل فـاران. لقـد انكســفت الســماء من بهــاء محمــد، وامتلأت الأرض من حمــده، ويكون شعاع منظره مثل النور، يحوط بلـده بعـزه، وتسـير المنايـا أمامه، وتصحب الطير أجناده. قـام فمسـح الأرض، ثم تأمـل الأمم

1) رواه أحمد.

وبحث عنهــا، فتضعضــعت الجبــال القديمــة، واتضــعت الــروابي الدهرية، وتزعزعت ستور أهل مدين، ولقد حاز المساعي القديمة، وغضب الرب على الأنهار. فرجزك في الأنهار، واحتدام صولتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسـيك إغراقـاً وترعـاً، وترتـوي السـهم بـأمرك يـا محمـد ارتـواءً، وتحرث الأرض بالأنهار. ولقد رأتك الجبال فارتاعت، وانحرف عنــك شئويوب السيل، ونعرت المهاوي نعيراً ورعيـاً، ورفعت أيـديها وجلاً وخوفاً، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراهما، وسـارت العسـاكر في بريق سـهامك ولمعـان نيازكـك، تـدوخ الأرض غضـباً، وتـدوس الأمم رجزاً، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ شريعة آبائك)(1)

بشارة حجي:

قال ملاخي: وأنت يا حجي ما الذي وجدت في أسفار الأنبياء؟

قال حجي: لقد بحثت في سـفر حجي في النصـوص القديمـة، فوجدته يصرح باسم محمد الـذي يطلـق عليـه (محمـاد) مشـتهى الأمم.

قالوا: أهذا صحيح؟

قال: لا أشك في ذلك.. كما لا أشك فيكم.. وسـأبدأ القصـة من أولها:

بعد عودة بني إسـرائيل من السـبي، وتخفيفـاً لأحـزانهم، سـاق لهم النبي حجي بشارة من الله فيها:(لا تخافوا، لأنه هكذا قـال رب الجنـود، هي مـرة بعـد قليـل، فـأزلزل السـماوات والأرض والبحـر واليابسة، وأنزل كـل الأمم، ويـأتي مشـتهى كـل الأمم، فـأملأ هـذا البيت مجداً قال رب الجنود... مجد هذا الـبيت الأخـير يكـون أعظم من مجد الأول قال رب الجنـود، وفي هـذا المكـان أعطي السـلام

______

1) هذا النص أورده الطبري بهذه الصيغة، وورد لدى كل من الشيخ زيادة، والترجمـان، وإبراهيم خليل أحمد الذين اهتدوا إلى دين محمد بصور مختلفة طولاً وقصراً، مـع اختلاف يسير في العبارات، واتفاقهم على محتوى السطر الأول. واتفق أيضـاً كـل من الترجمـان والشيخ زيادة وإبراهيم خليل على أن المراد بجبال فاران هي جبال مكة.

يقول رب الجنود)(حجي 2/6 - 9)

هذه النبوءة تتحدث عن القادم الذي وعد به إبراهيم، وبشر بــه يعقوب وموسى ثم داود.

لقد حاولت التأكد من النص من لغاته الأصلية، فوجدتــه يصــرح باسم محمد.

قالوا: كيف ذلك؟

قال: أنتم تعلمون خبرتي باللغات القديمة.. وقــد وجــدت النص بالعبرانية هكذا: (لسوف أزلزل كل الأرض، وسوف يـأتي (محمـاد) لكل الأمم.. وفي هذا المكان أعطي السلام)

فقد جاء في العبرية لفظة (محماد) أو (حمدت) كما في قراءة أخرى حديثة، ولفظة (مِحِمْادْ) في العبرانيـة تسـتعمل عـادة لتعـني (الأمنية الكبيرة) أو (المشتهى)، والنص حســب الترجمــة العبرانيــة المتداولة : (فباؤا حمدات كول هاجوييم).

لكن لو أبقينا الاسم على حاله دون ترجمة، كما ينبغي أن يكون في الأسماء، فإنا واجدون لفظة (محماد) هي الصيغة العبرية لاسم أحمد، والذي أضاعها المترجمون عندما ترجموا الأسماء أيضاً.

وجاء في تمام النبوءة الحديث عن البيت الأخير لله، والذي هــو أعظم مجـداً من الـبيت الأول، ثم يقـول: (في هـذا المكـان أعطي السلام)، وقد استخدمت الترجمة العبريـة لفظـة (شـالوم)، والـتي من الممكن أن تعـني الإسـلام، فالسـلام والإسـلام مشـتقان من لفظة واحدة.

وقوله: (في هذا المكان أعطي السلام)، قـد تتحـدث عن عقـد الأمان الذي عم تلك الأرض والذي أعطاه عمر لأهل القدس عندما فتحهــا، فتكــون النبــوءة عن إعطــاء الســلام، ولم تنســبه إلى المشتهى، ذلك أن الأمر تم بعد وفاته.

ولا ريب أن النبــوءة لا تتحــدث عن المســيح، إذ لا تقــارب بين ألفاظ النبوءة واسمه، أو بين معانيه ومـا عهـد عنـه، إذ لم يسـتتب الأمن في القدس حال بعثته، بل بشـر اليهـود بخـراب هيكلهم بعـد حين، كما كان رسولاً إلى بني إسرائيل فحسب، وليس لكل الأمم، والقادم هو مشتهى الأمم جميعـاً، وليس خاصـاً بـبيت يعقـوب كمـا جاء في وصف المسيح مراراً.

بشارة زكريا

قـال ملاخي: وأنت يـا زكريـا.. هـل ظفـرت بـأي نبـوءة تبشـر بمحمد؟

قال: أجل.. لقد شدني في سفر زكريا هذا النص: (ويكــون فى ذلك اليوم، يقول رب الجنود: إنى أقطع أسمـاء الأصنام من الأرض فلا تـذكر بعـد. وأزيـل الأنبــياء أيضـاً و الـروح النجس من الأرض، ويكون إذا تنبأ أحد بعد، أن أبـاه وأمـه والديـه يقـولان لـه: لا تعيش لأنك تكلمت بالكذب باسم الرب، فيطعنه أبوه وأمه والــداه عنــدما يتنبأ)(زكريا: 13 : 2-3)

قالوا: أهذه النبوءة تتحدث عن محمد؟

قال: أجل.. ويمكنكم إدراكها بسهولة إذا علمتم أن محمدا دخل مكة يـوم الفتح على راحلتـه، فطـاف عليهـا، وحـول الـبيت أصـنام مشدودة بالرصاص، فجعـل يشـير بقضـيب فى يـده إلى الأصـنام، ويقــول : ﴿ جَــاءَ الْحَــقُّ وَزَهَــقَ الْبَاطِـلُ إِنَّ الْبَاطِـلَ كَـانَ زَهُوقــاً ﴾ (الاسراء: 81)، فما أشار إلى صنم منها فى وجهـه إلا وقـع لقفـاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقى منها صنم إلا وقـع، كمـا صـعد بلال إلى ظهـر الكعبـة، فكسـر مـا عليهـا من الأصـنام وهـو يقول : الله أكبر، الله أكبر.

إن النبوءة تتحدث عن هـذا كلـه.. وتتحـدث عن مـدعين للنبـوة قتلا هما الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب.

صمتوا، فقال: إن هنـاك نبـوءة أخـرى في سـفر زكريـا تقـول:

(هكذا قال رب الجنـود قـائلا: هـوذا الرجـل (الغصـن) اسـمه، ومن مكانه ينبت ويبنى هيكل الرب فهو يبـنى هيكـل الـرب وهـو يحمـل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسيه، ويكـون كاهنـا على كرسـيه) (زكريا 6/12-13)

إن هـذه النبـوءة تتحـدث عن مشـاركة محمـد فى بنـاء الكعبـة ونقل الأحجار إليها على كتفه بعد أن هدمها السـيل، لقـد بُـنى بيت الله فى مكة منشأ ومنبت الرسول، لقد كان كل مؤمن يحتمي بـه لأنه كان أشجع الناس..

زيادة على هـذا كلـه، فقـد ورد في الإصـحاح الثـامن ــ حسـب النسخة العبرية ـ هذه البشارة الصريحة: (هكذا يقـول رب الجنـود: في تلـك الأيـام يجتمـع عشـرة رجـال من كـل لسـانات الشـعوب ويتمسكون بذيل رجـل حميـد، أعـني أبـو حيـد، ويقولـون: لنـذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك)

لقد ذكر الشيخ زيادة الذي اختـار طريـق محمـد هـذه البشـارة بلفظها العبري ثم ترجمها إلى اللغـة العربيـة، وأطـال الكلام حـول هذه البشارة، واشتقاقات اسم حميد وأحمد، وبين أنـه ظـل سـنين طويلة، وهو يقرأ هذه النبوة ويفهمها على وفق الترجمـة اليهوديـة، حتى يسر الله له كتب أصول اللغة العبرية ـ وكانت شبه معدومـة ـ فوقف من خلالها على حقيقة هذا اللفظ (يا أودي)، وأنـه إذا تـرجم إلى اللغة العربية صار (حميد)

بشارة ملاخي:

قالوا: وأنت يا ملاخي.. نراك تسألنا، ولا تفيدنا.

قال ملاخي: لقد رأيت في آخر أسـفار التـوراة العبرانيـة النـبي ملاخي يتحدث في سفره القصير عن عصيان بـني إسـرائيل، وعن إيليا، أو إيلياء القادم الجديد، وهو غير إلياس الـذي كـان قـد تـوفي منذ سبعة قرون.

يقــول ملاخي حاكيــا عن اللــه: (هأنــذا أرســل ملاكي، فيهيء

الطريق أمامي، ويأتي بغتة إلى هيكله السيدُ الذي تطلبونـه، وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي، قال رب الجنود من يحتمل يوم مجيئه، ومن يثبت عند ظهوره، لأنه مثل نار الممحص، ومثل أشنان القصار)(ملاخي 3/1 - 2)

فالنص في سفر النبي ملاخي يتحدث عن اثنين، أحـدهما الـذي يهيئ الطريق أمام القادم من عند الرب.

والثاني هو الذي يأتي بغتة إلى الهيكل، ويسميه: السـيد، وملاك العهد، وهو الذي يطلبه بنو إسرائيل وينتظرونه.

وفي آخر سفره يقول ملاخي، وحديثـه مـازال متصـلاً عن هـذا القادم، وعن تبديل بني إسرائيل وكفرهم، فيقول: (اذكروا شــريعة موسـى عبـدي الـتي أمرتـه بهـا في حـوريب على كـل إسـرائيل الفرائض والأحكام، هأنذا أرسل إليكم إيّليـا النـبي قبـل مجيء يـوم الرب اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآبـاء على الأبنـاء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن)(ملاخي 4/4 - 5)

فقـد سـمى ملاخي النـبي القـادم إيليـا بعـد أن ذكـرهم بوصـية موسى على جبل حوريب والتي ذكر فيها موسى النبي القادم مثله من بين إخوة بني إسرائيل.

قـال صـفتيا: ولكن قومنـا يعتقـدون أن أن النـبي الـذي يمهـد الطريق هو يوحنا المعمدان المسمى بإيليا، كما قال مرقس: (كمـا هو مكتوب في الأنبيـاء هـا أنـا أرسـل ملاكي الـذي يهـيئ طريقـك قدامك.. كان يوحنا المعمدان يعمد في البريـة.. وكـان يكـرز قـائلاً: يأتي بعدي من أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحـل سـيور حذائه، أنا عمدتكم بالمـاء، وأمـا هـو فسـيعمدكم بـالروح القـدس، وفي تلك الأيام جاء يسوع)(مرقس 1/2 ـ 9)، وهو نفس ما نقله لوقا عن لسان المسيح: (بل ماذا خرجتم لتنظروا، أنبياً؟ نعم أقـول لكم: وأفضل من نبي، هذا هو الذي كتب عنه: هـا أنـا أرسـل أمـام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك، لأني أقـول لكم: إنـه بين

المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنـا المعمـدان، ولكن الأصغر في ملكوت الله أعظم منه)(لوقا 7/26)

فالممهِـد للطريــق على حســب هــذه النصــوص هــو يوحنــا المعمدان، والممهد له المنتظر هو المسيح.

وهم يعتبرون الأول (إيليا) لقول مـتى على لسـان المسـيح في سياق حديثه عن يوحنا المعمدان: (ماذا خرجتم لتنظروا: أنبيـاً؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي، فـإن هـذا هـو الـذي كتب عنـه: هـا أنـا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك. الحــق أقــول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه.. لأن جميع الأنبيـاء والنـاموس إلى يوحنـا تنـبئوا. وإن أردتم أن تقبلـوا فهـذا هـو إيليـا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع)(متى 11/9 - 15)

ويذكر متى أيضاً بأن المسيح قال:(إن إيليا يـأتي أولاً ويـرد كـل شيء، ولكني أقول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفـوه.. حينئـذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان)(متى 17/10 - 13)

قال ملاخي: لقد كنت أقـول هـذا.. لكـني عنـدما نـزعت حجب الوهم، ودرست الكتاب المقدس دراسة فاحصة اكتشفت الحقيقـة التي ذكرتها لكم.

قالوا: فسرها لنا.. فنحن لا نزال على مذهب قومنا.

قال: قبـل أن أشـرح لكم مـا توصـلت إليـه، أحب أن أنبـه إلى بعض ما تعرضت له هذه النصوص من تحريف، ففي ملاخي (ملاك العهد)، وهو في الترجمات القديمة (رسول الختان).. وفي الترجمة الحديثـة (أرســل ملاكي)، وفي القديمــة (أرســل رســولي).. وفي بعض الطبعـات (يـأتي السـيد)، وفي بعضـها (الــولي)، وفي أخــرى (إيليا)

زيادة على ذلك.. فإن في نصـوص الأناجيـل تحريـف للاقتبـاس

من ملاخي الذي استعمل ضـمير المتكلم (الطريـق أمـامي)، وفي الأناجيل أصبح الضمير راجعاً على المسيح (يهيئ طريقك قدامك)

كما أن التحريف قد طـال كلام المسـيح والمعمـدان حين زعم الإنجيليون أن المسيح اعتبر المعمدان هو الممهد لدعوته: (هذا هـو الذي كتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك)(لوقا 7/26)، وأنه سماه إيليا المنتظر: (ولكني أقـول لكم: إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه.. حينئذ فهم التلاميـذ أنـه قـال لهم عن يوحنا المعمدان)(متى 17/12 - 13)

ومن التحريف قولهم أن المعمدان أخبر أن القـوي الـذي بشـر بقدومه بعده هـو المسـيح:(ولكن في وسـطكم قـائم الـذي لسـتم تعرفونه، هـو الـذي يـأتي بعـدي الـذي صـار قـدامي، الـذي لسـت بمستحق أن أحل سيور حذائه.. وفي الغد نظر يوحنـا يسـوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العـالم، هـذا هـو الـذي قلت عنه: يأتي بعـدي رجـل صـار قـدامي، لأنـه كـان قبلي)(يوحنـا 1/26-40)

قالوا: ما بالك تجازف فتتهم الإنجيليين بالتحريف؟

قال: أنا لا أتهمهم.. ولكن مقارنة النصـوص أوصـلتني إلى هـذه النتيجة.. زيادة على أن يوحنا المعمـدان أنكـر أن يكـون هـو النـبي إيليا الممهد بين يدي السيد القادم، فقد نفى هو ذلك عن نفسه لما جـاءه رسـل اليهـود من الكهنـة واللاويين (ليسـألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: إني لست أنا المسيح.. فسألوه إذاً مـاذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا.. النبي أنت؟ فأجاب: لا)(يوحنـا 1/19 - 21)، فهذا نص صريح ينكر فيه يوحنا أنه إيليا الممهد للطريق، كمـا أنه ليس المسيح المنتظر أو النبي القادم.

ويلزم من هذا تكذيب المسيح في قوله بأن إيليا قد جـاء، أو أن يكون المعمدان كاذباً حين أنكر أنه إيليا، أو يلزم القول بأن التلاميـذ لم يفهموا كلام المسيح، وهذا الأخـير هـو الأولى، فقـد أخطـأ مـتى

حين قال: (حينئذ فهم التلاميذ أنه قـال لهم عن يوحنـا المعمـدان)، لقـد ظنـوا أنهم فهمـوا، بينمـا الحقيقـة أنهم لم يفهمـوا، لقـد كـان يحدثهم عن نفسه، فهو النبي القـادم الـذي يهـيئ الطريـق للقـادم المنتظر: (هأنذا أرسل ملاكي، فيهيء الطريق أمـامي، ويـأتي بغتـة إلى هيكله السيدُ الذي تطلبونه، وملاك العهد الذي تسرون بـه، هـو ذا يأتي، قال رب الجنود)

زيادة على هذا، فإن صفات إيليا لا تنطبق على المعمدان، لأنــه يأتي بعد المسيح، فقد قال المسـيح عنـه:(إيليـا المزمـع أن يـأتي)، والمسيح والمعمدان متعاصران.

وعندما يأتي إيليا فإنه (يرد كل شيء)، و (فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم)، ومثل هذا لم ينقل عن المعمـدان الذي عـاش في الصـحراء، طعامـه الجـراد والعسـل، ولباسـه وبـر الإبل، وغاية ما صنعه تعميد من جاءه تائباً كما في (متى 3/1 - 5)

ولا يمكن التسليم بأن المعمدان كان تمهيـداً للمسـيح، إذ كيـف يقال ذلك، والمعمدان قبيـل مقتلـه ــ حسـب الأناجيـل ــ لا يعـرف حقيقة المسيح، ويرسل تلاميذه ليسألوا المسيح: (أنت هو الآتي أم ننتظر غيرك؟)(متى 11/3)

فكيف يقال بأنه أرسـل بين يديـه، وهـو لم يعـرف حقيقتـه؟ ثم ماذا صنع يوحنـا بين يـدي مقـدم المسـيح؟ هـل صـنع شـيئاً يتعلـق بالمهمة التي تزعمها الأناجيل له؟

بشارة يوحنا:

قـال يوحنـا: صـدقت يـا ملاخي.. لقـد كـان لي اهتمـام خـاص بيوحنا.. وقد عرفت أن حقيقته هي ما ذكرته.. لقد كان يوحنـا مثـل المسيح كلاهما يبشران بمحمد.

اسمعوا إلى هذه البشارة التي نطق بها يوحنا، وهـو يحـذر بـني إسرائيل من الغضب الآتي الذي سيسـلطه اللـه عليهم: (والآن قـد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمـراً جيـداً

تقطع وتلقى في النار، أنا أعمـدكم بمـاء التوبـة، ولكن الـذي يـأتي بعـدي هـو أقـوى مـني، الـذي لسـت أهلاً أن أحمـل حـذاءه، هـو سيعمدكم بالروح القدس ونار)(متى 3/10-11)

قال صفتيا: نحن نقرأ في هذه البشارة تبشيرا بالمسيح.

قال يوحنا: لا.. لقد كنت أقول ذلك، ولكني عرفت بعد ذلـك أن المقصود هنا هو محمد.

قال صفتيا: فسر لنا ذلك.

قال يوحنا: أنتم تعلمون أن يوحنا المعمدان، وهـو الـذي يطلـق عليه المسلمون اسم يحيى، كان نبياً معاصراً للمسيح، بل كـان ابن خالته.

وقد كان المسيح يعظم يوحنا كثيرا، وكـان يقـول عنـه: (الحـق أقــول لكم لم يقم بين المولــودين من النســاء أعظم من يوحنــا المعمدان)(متى 11 : 11)

والكتاب المقدس ـ مع هذا الثناء الـذي يصـبه على يوحنـا ــ لم يذكر ليوحنا أي معجزات، ولا أي تعاليم خاصة به، لأنه لم يـأت بـأي شرائع أو قوانين جديدة.

فمصدر العظمة فيه هو أنه كان المبشر بالبشـارة السـارة عن قدوم الملكوت الذي اتفقت الأنبياء على البشارة به، كمـا جـاء في لوقا: (كان الناموس والأنبيـاء إلى يوحنـا، ومن ذلـك الـوقت يبشـر بملكوت الله)(لوقا 16/16-17)

ولهذا كان يوحنا يصيح في البرية بما صاح به جميع الأنبياء، كمـا في متى: (جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قـائلاً: توبـوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات)((متى 3/1 - 2)

وقد حفظ لنـا الإنجيليـون بعض مـا كـان يتحـدث بـه يوحنـا عن الملكوت القادم، ومن ذلك قولـه لليهـود، وهـو يتوعـدهم: (يـا أولاد

الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي.. والآن قـد وضـعت الفأس على أصل الشجر، فكل شـجرة لا تصـنع ثمـراً جيـداً تقطـع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء التوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هـو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بـالروح القدس ونار، الذي رفشه في يـده، وسـينقي بيـدره ويجمـع قمحـه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ)(متى 3/1 - 12)

وقد ذكر هذا الإنجيل أنه بينما يوحنا يلقي بهذه البشـارة (حينئـذ جـاء يسـوع من الجليـل إلى الأردن إلى يوحنـا ليتعمـد منـه)(مـتى 3/13)

قال صفتيا: فأنت ترى أن هذه البشارة تختص بمحمد.

قـال يوحنـا: لا أشـك في ذلـك.. فـالنص يـدل على أن هـذا الملكوت سينزع من بني إسرائيل، أو كما قال يوحنا: (فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار).. بل كما أنبأ المسـيح عن انتقاله عن أمة اليهود إلى أمة أخرى، فقال: (إن ملكوت الله يـنزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره)(متى 21/43)

زيادة على هذا، فإن يوحنا كان يتحدث عن نبي يـأتي بعـده، ولا يمكن أن يكون هذا الآتي بعده هو المسيح الذي أتى في أيام يوحنا المعمدان.

زيادة على هذا.. فقد ذكر يوحنا أنـه قـوي، بـل إن قوتـه تفـوق قوة يوحنا المعمدان، ومثـل هـذا الوصـف لا ينطبـق على المسـيح الذي نزعم مصرعه على الصليب قريباً مما جرى ليوحنا المعمدان، وأنى هذا من غلبة محمد على سائر أعدائه.. ثم إنه بلـغ من القـوة بحيث طهـر الأرض من رجس الوثنيـة بـالروح والنـار أي بدعوتـه العظيمة وقوته القاهرة، وكل ذلك لا ينطبق على أحد سوى محمد.

زيادة على هذا.. فـإن يوحنـا ذكـر أن الآتي بعـده يعمـد بـالروح والنار، أي يملك سلطان الدين والدنيا لتغيـير المنكـر والحفـز على التوبـة، فهـو لا يتوقـف عن حـدود الطهـارة الظاهريـة للجسـد

بالاغتسال بالماء، بل يهتم بطهارة الباطن، ووسيلته ما يأتي به روح القدس من وحي وبلاغ وبيان، كما قام بتطهير كثـير من الأرض من الوثنية بالنار، ومثل هذه المعمودية لم يفعلهـا المسـيح الـذي عمـد تلاميذه بالماء، فلم تختلف معموديته عن المعمدان في شيء، كمـا في (يوحنا 3/22 – 23).

واستمر تلاميذه بعده يعمدون بالماء كما كان المعمـدان يعمـد، ولما جـاء بـولس أفسـس، (فـإذ وجـد تلاميـذ قـال لهم: هـل قبلتم الـروح القـدس لمـا آمنتم. قـالوا لـه: ولا سـمعنا أنـه يوجـد الـروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنـا عمـد بمعموديـة التوبـة قـائلاً للشـعب أن يؤمنـوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع، فلما سـمعوا اعتمـدوا باسـم الرب يسوع)(أعمال 19/1-5)، ولو كان للمسيح تعميد يخـالف مـا عليه تعميد المعمدان لعرف بين التلاميذ وشاع.

زيادة على هذا.. فـإن المسـيح لم يحقـق قـول المعمـدان عن النبي الآتي: (رفشه في يـده، وسـينقي بيـدره، ويجمـع قمحـه إلى المخزن، وأمـا التبن فيحرقـه بنـار لا تطفـأ)، وهـذه كنايـة يفسـرها الدكتور وليم أدي بقولـه: (كنايـة عن نهايـة العمـل كلـه، ويمكن أن يكـون القصـد من هـذا التشـبيه: الإشـارة إلى تـأديب اللـه للنـاس وقصاصه لهم في هذه الحياة)، بل هو كناية أبعد من ذلـك، إذ تـبين سلطانه الذي ينقي الأصل الذي أنـزله اللـه على أنبيائـه ممـا علـق فيه، فيحذف الترهات الدخيلة ويزيفها.

وعلى هذا، فالآتي المبشر به هو محمـد، فهـو وحـده الـذي أتى إلى أرض القدس والهيكل بغتة يوم أسـري بـه إلى بيت المقـدس، بينما نشأ المسيح ويوحنا في ربوع الهيكل.

قال حزقيال: ومما يؤكد كل ذلك أنه بعد وفاة يوحنـا المعمـدان جدد المسيح البشارة باقتراب الملكوت، ففي مـتى: (ابتـدأ يسـوع يكرز ويقول: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات)(متى 4/17)

وكـان يسـوع يطـوف كـل الجليـل يعلم في مجـامعهم، ويكـرز ببشارة الملكوت (متى 4/23) (كان يسير في مدينـة وقريـة يكـرز ويبشر بملكوت الله، ومعه الإثنا عشر)(لوقا 8/1)

قال يوحنا: لقد اعتبر المسيح البشارة بالملكوت مهمته الأولى، بل الوحيدة، فقد كـان يقـول لهم: (إنـه ينبغي لي أن أبشـر المـدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت)(لوقا 4/34)

وأمر تلاميـذه بـأن يبشـروا بـاقتراب الملكـوت فقـال: (اكـرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات)(متى 10/7)

ثم علم المسيح تلاميذه أن يقولوا في صلاتهم تلك العبارة التي ما زلنا نرددها إلى اليوم (أبانا الذي في السماوات.. ليأت ملكوتك) (لوقا 10/2)

قال صفتيا: لا شك في أن دعوة المسيح كدعوة يوحنـا كـدعوة كل الرسل كانت تطوف حول الملكوت.. لكن ما الملكوت؟

إن قومنا يقولون بأنه شيوع الملة المسـيحية في جميـع العـالم وإحاطتها كل الدنيا بعد نزول المسيح.. وقـال آخـرون بأنـه انتصـار الكنيسة على الملحدين.. وفسره آخـرون بأنـه البشـارة بـالخلاص بدم المسيح، كما قال القمص تادرس يعقـوب ملطي في تفسـيره لإنجيل متى:(فإن الملكوت الذي أعلنه السـيد المسـيح هـو بشـارة الملكـوت أو إنجيـل الملكـوت.. تعـبر عن أخبـار الخلاص المفرحـة التي قدمها لنا الله في ابنه يسوع)

قال يوحنا: إن هذا التفسير بعيد تماما عن الحقائق المنطقية:

لقد انتصرت الكنيسـة، وحكمت أوربـا قرونـاً عـدة، ولم نـر مـا يستحق أن يكون أمراً يبشر به المعمدان والمسيح والتلاميذ.

وأخبـــار الخلاص لا يمكن أن تكــون هي البشـــارة الــتي كـــان المسـيح يطـوف مبشـراً بهـا في المـدن والقـرى، ذلـك أن أقـرب تلاميذه لم يفهموا هذا المعنى.. فالتلميذان المنطلقان لعمواس بعد

حادثة الصلب كانـا يبكيـان لفـوات الخلاص بمـوت المسـيح (فقـال لهمــا: مــا هــذا الكلام الــذي تتطارحــان بــه وأنتمــا ماشــيان عابسـين...كيـف أسـلمه رؤسـاء الكهنـة وحكامنـا لقضـاء المـوت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمـع أن يفـدي إسـرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حـدث ذلـك)(لوقـا 24/17-21) لقد جهل التلميذان موضوع الخلاص بموت المسـيح، فهمـا يبحثـان عن خلاص آخر، وهو الخلاص الدنيوي الذي ينتظره بنو إسرائيل.

ليس ذلك فقط.. بل إن الجموع المؤمنة التي شـهدت الصـلب جهلت أن الصلب هو البشارة المفرحة التي كان يبشر بها المسيح، فرجعوا وهم يبكون وينوحون:(وكل الجموع الـذين كـانوا مجتمعين لهذا المنظر لما أبصروا ما كـان، رجعـوا وهم يقرعـون صـدورهم) (لوقا 23/48 - 49)

أنتم ترون أنه لا يمكن أن يكون الملكوت الموعود هــو الخلاص بـدم المسـيح، لأن النصـوص ذكـرت أمـوراً تحـدث قبـل مجيء الملكوت، فهي علامـات تتحقـق قبـل حلـول الملكـوت، ومن بينهـا قيام أمة جديدة ومملكة جديـدة، وهـو مـا لم يتحقـق قبـل انتشـار المسيحية في العالم، ولا حين صلب المسيح، يقول متى: (فسألوه قائلين: يا معلّم متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا؟

فقال: انظروا لا تضلوا، فـإن كثـيرين سـيأتون باسـمي قـائلين: إني أنا هـو، والزمـان قـد قـرب، فلا تـذهبوا وراءهم، فـإذا سـمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا، لأنـه لا بـد أن يكـون هـذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعاً.

ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكـة، وتكـون زلازل عظيمــة في أمــاكن ومجاعــات وأوبئــة، وتكــون مخــاوف وعلامات عظيمة من السماء..

وقال لهم مثلاً: انظروا إلى شـجرة الـتين وكـل الأشـجار، مـتى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قـرب، هكـذا

أنتم أيضاً، متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا أن ملكـوت اللـه قريب..

الحق أقول لكم: إنه لا يمضـي هـذا الجيـل حـتى يكـون الكـل، السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يـزول، فـاحترزوا لأنفسـكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحيـاة، فيصـادفكم ذلـك اليوم بغتة، لأنه كـالفخ يـأتي على جميـع الجالسـين على وجـه كـل الأرض، اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين، لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكـون، وتقفـوا قـدام ابن الإنسـان)(لوقـا 36-21/6)

قال يوحنا: إن في قوله: (وتقفوا قدام ابن الإنسـان) مـا يربـط الملكـوت بشـخص ابن الإنسـان القـادم، فالمسـيح لا يتحـدث عن انتشار المسيحية، بل يتحدث عن ظهور النبي الخاتم ابن الإنســان، ويدعوهم للاستعداد للقائه.

قـال ميخـا: الملكـوت ــ على حسـب مـا تـدل عليـه نصوصـنا المقدسة ـ هو أمة تعمل وفق إرادة ورضاء صاحب الملكوت، وقــد قال وليم باركلي في تفسيره لسفر الأعمال:(الملكوت هو مجتمـع على الأرض، تُنفَّذُ فيه إرادة الله تماماً كما في السماء)

قـال يوحنـا: ولم يتحقـق ذلـك إلا لمحمـد.. ولهـذا كـان يوحنـا كالمسيح.. كلاهما يبشران بهذا النبي الجديد الذي يخـرج اللـه على يديه الأمة الخاتمة.

لقد اختصر المسيح رسالته ـ كما في لوقا ـ بقولـه: (إنـه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضاً بملكوت الله، لأني لهذا قد أرسلت) (لوقا 4/34)، فقد أرسـل للبشـارة بـالملكوت القـادم، فهـو ممهـد ومبشر بين يديه.

ومثل ذلك يوحنا المعمدان (جاء يوحنا المعمدان يكرز في بريـة اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات) (متى 3/1 - 2)

بشارة صفتيا:

التفتوا إلى صفتيا، وقـالوا: وأنت يـا صـفتيا هـل وجـدت بشـارة ترتبط بمحمد.. لقد سمعنا أنك تبحث عن ذلك.

قال: أجل.. وقد كان دافعي ما ذكرتم من أن كل الأنبياء بشروا بالملكوت.. وقد رأيت صفتيا يقول في سفره: (يقـول الـرب: أيهـا الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيـه للشـهادة، فقـد حـان أن أظهـر حكمي بحشـر الأمم كلهـا وجميـع الملـوك، لأصـب عليهم رجـزي، وأليم سخطي، فستحترق الأرض كلها احتراقـاً بسـخطي ونكـيري. هنـاك أجـدد للأمم اللغـة المختـارة، ليـذوقوا اسـم الـرب جميعـاً، ويعبدوه في ربقة واحـدة معـاً ويـأتون بالـذبائح في تلـك الأيـام من معابر أنهار كوش)

وقد رأيت علي الطبري الذي تحـول إلى الإسـلام يسـوق هـذه البشارة، ويعلق عليها بقوله: (وهذا صفنيا قد نطـق بـالوحي وأخـبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه، ووصف الأمة الـتي تشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وتجتمع على عبادته، وتأتيـه بالـذبائح من سـواحل السـودان ومعـابر الأنهـار واللغـة المختـارة هي اللسـان العربي المبين.. وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها)

بشارة حزقيال:

التفتوا إلى حزقيال، وقالوا: لم يبـق إلا أنت يـا حزقيـال.. فهـل وجدت شيئا من البشارات؟

قال: لقد رأيت في سـفر حزقيـال، وفي الفصـل التاسـع منـه: (إن أمّك مغروسة على الماء بدمك، فهي كالكرمـة الـتي أخـرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثـيرة، وتفـرعت منهـا أغصـان كالعصـى قوية مشـرفة على أغصـان الأكـابر والسـادات، وارتفعت وبسـقت أفنــانهن على غــيرهن، وحســنت أقــدارهن بارتفــاعهن والتفــاف سـعفهن، فلم تلبث الكرمــة أن قلعت بالسـخط، ورمى بهـا على الأرض، وأحـرقت السـمائم ثمارهـا، وتفـرق قواهـا، ويبس عصـي عزها، وأتت عليها النار فأكلتهـا، فعنـد ذلـك غـرس في البـدو وفي

الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه الفاضلة نار أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصا قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان)

لقد رأيت هذه النبوءة مرات كثيرة.. إنها تشبه الأمة اليهودية إبان عزها وسؤددها عندما كانت تعيش تحت مظلة الأنبياء بالكرمة الحسنة، وبعد أن نزعت منها النبوة، وأغضبت ربها استأصل شأفتها، واقتلع جذورها، فذرتها الرياح، وأكلتها النار، وانتهى مجدها. واستبدل الله بها أمة هي خير أمة أخرجت للناس، وشبهها بشجرة قد غرست في أرض البادية العطشى من الماء المعنوي والحسي، فأثمرت هذه الشجرة الأغصان الفاضلة التي قضت على تلك الشجرة الأولى ولم تبق فيها عصا ولا قضيباً. وهذا حال الأمة اليهودية والأمة الإسلامية التي أشرق عزها، وتوسع نفوذها، حتى شمل العالم أجمع.

***

بعد أن انتهى بهم الحديث إلى هذا المحل، دب صمت موحش بينهم، قطعه يوحنا بقوله: ها قد رأيتم الحقائق أمام أعينكم.. فهل ترغبون عنها، أم ترغبون فيها؟

قال ملاخي: ومن يرغب عن الحقائق؟

قال ميخا: لقد فعل اليهود ذلك.. وفعل قومنا مثل فعلهم.. لقد صموا عن كل الحقائق التي تنطق بها كتبنا المقدسة، والتي يدل عليها العقل السليم.

قال زكريا: بل حاولوا أن يطمسوا الحقائق بكل ما أوتوا من صنوف الكيد.. فراحوا يتلاعبون بالترجمات.. ويتلاعبون بالنسخ.

قال حبقوق: اسمحوا لي أن أذكر لكم سرا لم أبح به لغيركم.

قالوا: ما هو؟

قال حبقوق: لقد كان الحائل الأكبر بيني وبين دين محمد هو ما أرى أمته عليه في هذا العصر من انحطاط وتخلف.. كنت أعلم بعدهم عن محمد وعن دين محمد.. ولكن نفسي.. وأخي الذي تعرفونه.. كانا يحولان بيني وبين أن أشهد له بالشهادة التي أوقن تماما أنه يستحقها..

ولكني مع ذلك كنت أنفرد مع قرآن محمد أقرؤه وأبكي وأتألم في نفس الوقت، لأنه ليس لي من القوة ما أخرج به عن دين قومي لأدخل دين محمد.

ولكن الله من علي منذ سنة، فرأيت العذراء.. وهي تشير لي إلى شمس محمد.. وتدعوني إلى الاستنارة بأشعتها.. ومنذ ذلك الحين قتلت نفسي التي حجبتني عن محمد.. وقاطعت أخي الذي كان حجابا بيني وبين شمس محمد العظيمة.. وعانقت محمدا.. ودخلت دينه.

نظروا إليه مشدوهين، وقالوا: أحقيقة ما تقول؟

قال صفتيا: ولكن ما بالك لم تخبرنا؟

قال حبقوق: لقد كنت أود أن تصلوا إلى الحقائق بأنفسكم.. وقد خشيت أن تنشغلوا بعداوتي إن سمعتم بإيماني عن محمد.. فرحت أكتم إيماني.

قال صفتيا: أتعلم يا حبقوق، أن ما خطر ببالك هو نفس ما خطر ببالي، وما فعلته أنت قبل سنة، فعلته قبلك بسنوات.

قال ميخا: يا لله.. ما الذي يحصل.. لقد حصل لي ما حصل لكما.

قال زكريا: وأنا أيضا..

قال يوحنا: وأنا أيضا..

قال دانيال: وأنا أيضا..

قال حجي: وأنا أيضا..

قال ملاخي: وأنا أيضا..

قال حزقيال: وأنا أيضا..

نهضـوا جميعـا يعـانق بعضـهم بعضـا، والفرحـة تملأ عيـونهم، وتنتشر من أرواحهم.

لم أتمالك نفسي في ذلك الموقف..

لقد خرجت بحيرة جديـدة.. وخـرجت معهـا ببصـيص من النـور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

بشارات من أسفار العالم

في اليوم العاشر، وهو اليوم الأخـير من رحلـتي إلى تلـك البلاد المقدسة خرجت من بيتي، وقد قررت أن لا أرى أحدا، ولا أجـالس أحدا.. لقد أرسلني أخي إلى هذه البلاد لأتزود من نسمات المسيح، فلم أشم فيها إلا عطر محمد.

كنت أفكر فيما سأقول له، وكيـف أقابلـه.. وبينمـا أنـا في هـذا التفكير إذ رأيت مقهى هندية لم أشك في كونها كذلك.. فقد كـانت روائح الهنود بلباسهم وموسيقاهم تفوح منها.

لست أدري كيف خطر على بـالي في تلـك اللحظـة أن أجلس فيها، وكأني أفر من شيء يطاردني، لم أعرف في تلك اللحظة ما هو.. لكني بعد ذلك علمت أنه صار لي خوف من كل قارئ للكتاب المقدس سواء كان مسلما أو مسيحيا.. لقد حولت الأيـام السـابقة الكتاب المقدس بالنسبة لي كتابـا للتبشـير بمحمـد، لا كتابنـا الـذي نفخر به، ونعبد الله بتلاوته.

لكني لم أنج في هذه المقهى مما لم أنج منه في غيرها.

لقد رأيت أربعة نفر من الهنود يتحـدثون، ورحت كعـادتي ــ من غير شعور ـ أسترق الاستماع لهم.. وهذا نص ما سمعت:

قال أحدهم: سأحدثكم بما ينقضي دون العجب.

قالوا: وما ذاك؟

قال: لقد كنت أقرأ البارحة في كتابنـا المقـدس (السـامافيدا).. فرأيت فيه شيئا شدني.. وكأني كنت أعمى لم أره من قبل.

قالوا: وما رأيت؟

قال: لقد رأيت اسم محمد.. اسم نـبي المسـلمين في كتابنـا.. وقد نقلت لكم النص الذي ورد فيه.. وهو من في الفقـرتين 6 وَ 8

من الجزء الثاني.

أخرج ورقة من جيبه، وقال: ها هو النص.. لقد كتبته بحروفه.

راح يقــرأ: (أحمــد تلقى الشــريعة من ربــه، وهي مملــوءة بالحكمة، وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس)

قال الثـاني: أنت تـذكرني بنص قرأتـه قبـل سـنوات في كتـاب (أدروافيدم أدهروويدم) وهو ـ كما تعلمـون ــ كتـاب مقـدس عنـدنا معشر الهنـدوس.. لقـد قـرأت في الجـزء العشـرين منـه، الفصـل 127، الفقــرة 1-3 هـذا النص (أيهـا النـاس اسـمعوا وعـوا يبعث المحمد بين أظهر الناس.. وعظمته تحمد حتى في الجنـة ويجعلهـا خاضعة له وهو المحامد)

قال الثالث: لقد ذكرني قولكمـا بنص ورد في (بفوشـيا بـرانم) بهوشى برانم.. لقد قـرأت في الجـزء3، الفصل3، العبـارة 5 ومـا بعدها هذا النص:(في ذلـك الحين يبعث أجنـبي مـع أصـحابه باسـم محامــد الملقب بأســتاذ العــالم، والملــك يطهــره بــالخمس المطهرات).. فهذا نص صريح لا يمكن انطباقه إلا على محمد.

بـل إن في قولـه (الخمس المطهـرات) إشـارة إلى الصـلوات الخمس التي يتطهر بها المسلم من ذنوبه كل يوم(1).

قال الرابع: وأنا مثلكم جميعا.. لقد رأيت بعض شعائر دينــه في كتاب (بفوشيا برانم)، فقد ورد فيه وصف لأصحاب محمـد.. فـذكر أنهم (الــذين يختتنــون، ولا يربــون القــزع، ويربــون اللحى، وهم مجاهـدون، وينـادون النـاس للـدعاء بصـوت عـال، ويـأكلون أكـثر الحيوانــات إلا الخــنزير، ولا يســتعملون الــدرباء(2) للتطهــير، بــل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون بمسلي(3) بسبب أنهم يقـاتلون

1) انظر:كتاب التيارات الخفية في الديانات الهندية القديمة لمؤلفه: تى محمد.

2) الدرباء نبات يخرج به الهنود الدم من جسم الإنسان ويعدون هذا العمل تطهيراً من الخطايا.

3) أي يسمون بالمسلمين، دخل عليها شئ من التحريف.

من يلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج منا، وأنا الخالق)

كان هناك رجل بعيد عنهم، وكان يتصنت لحديثهم، كما كنت أتصنت أنا، فجأة رأيته نهض، وقال: أحقا ما كنتم تتحدثون عنه؟

قالوا: ما بالك؟

قال: أنا زرادشتي..

قالوا: وما علاقة ذلك بالهندوس؟

قال: لقد وجدت في كتبنا القديمة التي سبقت محمد بقرون طويلة مثلما وجدتم في كتبكم، لقد ورد فيها: (إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون، وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس، ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذ يصبحون هم أتباع النبي رحمة للعالمين، وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ(1)..وإن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات)(2)

نظروا إلى بعضهم، وفي عيونهم حيرة شديدة، قال أحدهم: ما الذي ننتظر.. إن شمس محمد تشرق علينا.. فلم نرغب عنها؟

قالوا: صدقت.. هيا بنا نستنير بأشعتها، وننعم بدفئها..

ساروا فرحين.. وسرت خلفهم بحيرة جديد.. وببصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

---

1) وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم.

2) محمد في الأسفار العالمية: 47.

الهداية

ختمت الأيام العشرة الـتي كـانت مقـررة لي في هـذه الرحلـة الأولى في حياتي إلى تلك البلاد المقدسة.

لا أخفيك أني قد رجعت بمشاعر متباينة لا أستطيع تمييزها..

هل كنت فرحا لأني اكتشفت أشياء جديدة لم أكن أعرفهـا.. أو لأني سـمعت حـوارا عقليـا، كـان أخي، وكـان الكثـير ممن لاقيتهم يحرص على أن لا أخوضه؟

أو كنت حزينا.. لأن معارفي التي كنت أبشر بها، وأحرص عليها بدأت تتسرب إليها تلك الأشعة التي أخمدت نـار فـارس، وحطمت أبراج قيصر.

لســت أدري أي المشــاعر تغلب في تلــك اللحظــات الــتي امتطيت فيها الطائرة، وجلست فيها مسترخيا على كرسيها.

في تلك اللحظات خطر على بالي ذلـك الرجـل العجيب الـذي جلس بجـانبي.. كم تمـنيت أن يعـود ليجلس بجـانبي من جديـد.. لأسمع منه كلام العقل والحكمة.

ما خطر هذا الخاطر على خاطري حتى التفت، فوجدته أمـامي يقرأ الجريـدة، ففـرحت كثـيرا، وقلت: مرحبـا بـك.. هـا نحن نعـود جميعا.. كما سرنا جميعا.

ابتسم بهدوء، ثم عـاد ليغـوص في قـراءة جريدتـه، سـألته: مـا تقرأ؟

قال: أقرأ هذه الجريدة.

قلت: أرى ذلك.. ولكنني أقصد أي موضوع هذا الذي ملأ فكـرك انشغالا به؟

قال: لقد أوردت هذه الصحيفة خبرا مهما، فأنا أفكـر في مـدى صدقه.

قلت: وما أوردت؟

قــال: لقــد نقلت عن وكــالات الفضــاء الأمريكيــة والأوروبيــة والروسية.. بل عن جميع وكالات الفضاء العالمية أخبارا مؤكدة بأن الشمس ستنكسف بعد أسبوع في أجزاء كثيرة من أرض اليونان.

قلت: هذا خبر أكيد.. فهذه جريدة محترمة.. والذين نقلت عنهم لا يقلون عنها احتراما.. ثم كيف اجتمعوا على إيراد مثل هذا الخبر؟

قال: ولكن ألا يمكن أن يكونـوا قـد اجتمعـوا على الكـذب علي وعلى الناس؟

قلت: وما يجديهم الكذب.. إن هؤلاء خبراء علماء.. لا يشك في صدقهم ولا علمهم إلا معاند، ثم إن سائر الأنباء التي ذكروها، والتي أثبتت الأيام صدقها تدل على صدقهم الدائم.

قال: ألا يمكن أن يكونوا قد اجتمعوا على الكذب في هذا الخبر خاصة؟

قلت: يستحيل ذلـك.. فالجرائـد الكثـيرة نقلت ذلـك.. ووكـالات الفضاء كلها اتفقت على ذلـك.. ولا عليـك.. اصـبر أسـبوعا واحـدا، وسيأتيك بالأخبار من لم تزود.

قال: ألوكالات الفضاء الأرضية كل هذه المصداقية؟

قلت: ألســت من الأرض حــتى تعــبر عنهــا بوكــالات الفضــاء الأرضية؟

قــال: نعم أنــا من الأرض.. ولكــني منشــغل بالســماء.. أقــول لنفســي: مــا بــال البشــر يطبقــون على تصــديق وكــالات الفضــاء الأرضــية.. ثم هم أنفســهم يطبقــون على تكــذيب وكــالات الفضــاء السماوية.

قلت: ما تقصد؟.. وهل هناك وكالات فضاء سماوية؟

لم تمهلـه المضـيفة حـتى يجيبـني.. لقـد جـاءت وطلبت منـه أوراقه، فسار معها.. أسرعت لأدركه، لأسأله عنه وعن سره، وعن وكـالات الفضــاء السـماوية.. فلم أجــده.. سـألت المضـيفة.. فابتسمت.. ولم تقل شيئا..

رجعت إلى مكـاني.. وأنـا أفكـر في هـذه الوكـالات السـماوية، وعن الأخبار التي جاءت بها.. فلم يخطر على بالي إلا مـا اسـتفدته من رحلتي من البشارات بمحمد ﷺ.

قلت في نفسي: نعم.. نحن نرمي بـالجنون كـل من كـذب نبـأ نطق به الخبراء في شأن من الشؤون الأرضية الـتي قـد لا يضـرنا الجهـل بهـا كثـيرا.. ولكنـا في شـؤون السـماء.. بـل في شـؤون الحقائق الأزلية التي ينبني عليها الكون، وتنبني عليهـا حياتنـا نمتلئ جهلا وغفلة وكبرياء.. ثم لا نضحك على أنفسـنا، ولا نعـود لنراجعهـا لنعرف ما وقعنا فيه من أخطاء.

عدت لأراجع كل ما سـمعته من بشـارات.. وقلت في نفسـي: نعم.. قـد يكـون بعضـها متكلفـا.. وقـد يكـون بعض القـائلين بهـا متكلفين.. ولكن كيف يجتمع كـل أولئـك.. وتجتمـع معهم كـل تلـك الوكالات السماوية على شيء واحد هو التبشير بمحمد..

ألا يستدعي ذلك بحثا جادا عن محمد؟

ألا يستدعي بحثا في حياته، وفيما جاء به؟

نحن نبحث عن المجرمين، وتفاصيل حيـاتهم ومنجـزاتهم.. فلم لا نتعامل مع محمد، ولو من هذا المنطلق، لنرى حقيقتــه من خلال المصادر الصحيحة، لا المصادر التي لا تريد إلا تشويهه..

سرني هـذا الخـاطر.. ومـا وصـلت إلى بلـدي، حيث اسـتقبلني أخي التوأم، حتى رحت أسرد عليه هـذا الخـاطر، وأقـول لـه: لم لا نبحث في حياتي محمد، كما نبحث في حياة غيره.. لنرى حقيقتـه..

فلا أرى شيئا ينفر من المجرم غير حياته الممتلئة بالإجرام.

انتفض أخي غاضبا، وقال: إياك أن تقترب من محمد.. إن شمسه حارقة.. لم يقترب منها أحد إلا أحرقته.. فإن شئت أن تعيش مسيحيا، وتموت مسيحيا، وتنعم بالخلاص الذي جاء به المسيح، فسد هذا الباب، ولا تأكل من شجرة محمد.. فمن أكل منها هبط من جنة المسيح، كما هبط آدم من جنة الخلد.

قلت: ولكن.. ما الذي يمنعنا من دراسته؟.. نحن ندرس الكثير من الفلاسفة والأباطرة.. بل والمجرمين..

قال: محمد مختلف.. إنه شيء مختلف تماما.. ولن أستطيع أن أقول لك غير هذا.

لم يجبني أخي التوأم بغير هذا.. لكنه لما رأى ما أصابني من حزن وألم لما أجابني به، قال: أنسيت الهمة العظيمة التي كنت تحملها.. وكنت أحملها معك.. أنسيت همتنا للترقي.. أنسيت البابا..

قلت: لا.. لم أنس.. فهل ترى محمدا يحول بيني وبين البابا؟

قال: ليس في العالم من يحول بينك وبين البابا غير محمد..

طأطأت رأسي.. ولم أجد ما أجيبه به، فقال: ارفع رأسك.. وهنئنا على أول نجاح حصل لنا..

قلت: أي نجاح؟

قال: لقد رقيت أنا وأنت درجة جديدة في سلم الكنيسة.. ونحن الآن سائران في السلم الذي نصعد به إلى كرسي البابا.

قلت: ما الذي تقصد؟

قال: نتيجة لنجاحك في المهمة التي كلفت بها.. فقد أرسلوا لي هذه الترقية.

قلت: ولكني لم أنجح في مهمتي التي وكلت بها.

قال: ألم تعد إلينا والصليب في رقبتك، والمسيح على شفتيك؟

قلت: بلى..

قال: فهذا نجاح لا يعدله نجاح.. لم يذهب إلى تلك البلاد أحـد إلا رمى صليبه، واحترق بشمس محمد.. فهنئ نفسك بنجاتك.

***

التفت إلي البابـا، وقـال: كـانت هـذه هي رحلـتي الأولى إلى شـمس محمـد ﷺ.. وقـد كـانت تنبيهـا مهمـا انطلقت منـه سـائر الرحلات، أو كـانت بـذرة نبتت منهـا شـجرة اهتمـامي بـالبحث عن حقيقة محمد ﷺ .. والتي انتهت بفضل الله بتلـك الهديـة العظيمـة التي أهداها لي ربي حين خلصني من نفسي ومن توأمي ومن كـل تلك الحجب التي كانت تحول بيني وبين محمد ﷺ.

من إصدارات هذه السلسلة [حقائق ورقائق]

1. الباحثون عن الله
2. الكلمات المقدسة
3. معجزات علمية
4. معجزات حسية
5. سلام للعالمين
6. عدالة للعالمين
7. رحمة للعالمين
8. أنبياء يبشرون بمحمد ﷺ
9. ثمار من شجرة النبوة
10. كنوز الفقراء
11. مفاتيح المدائن
12. قلوب مع محمد ﷺ
13. النبي المعصوم
14. النبي الهادي
15. النبي الإنسان
16. دعاة على أبواب جهنم
17. اعترافات هارب من سجون الوهابية
18. لحوم مسمومة
19. القرآن والأيدي الآثمة
20. شيخ الإسلام في قفص الاتهام [جزءان]
21. أحقاد طائفية
22. إلى الذين ظلمهم التاريخ
23. أسرار الإنسان
24. أسرار الحياة
25. سنة بلا مذاهب
26. قرن الشيطان
27. حوارات حصرية مع قيادات عصرية
28. ابتسامة الأنين

29. أكوان الله
30. أسرار الأقدار
31. ذكريات وعبر

هذا الكتاب

هذا الكتـاب من الكتب الـتي حـاولت فيهـا – من خلال الأدلـة الكثيرة - أن أبين البراهين الدالة على صدق رسالة رسول اللـه ﷺ، وأن كل ما في الكون يدل عليها.

وهــو يختص بمــا ورد في الكتــاب المقــدس من النبــوءات الكثيرة المتعلقة برسول الله ﷺ، والتي حاول الكثـير من رجـال الدين أن يتكتموا عليهـا، أو يصـرفوها عن محلهـا، أو يهونـوا من شأنها.

ولذلك فإننا في هذه الرواية حاولنا أن ننـاقش تلـك النبـوءات من خلال حــوارات ومنــاظرات افتراضــية اعتمــدنا فيهــا على المصادر التي اهتمت بهذا الجانب ابتداء ممـا كتبـه الأولـون من المهتدين إلى الإسلام كعلي بن ربن الطـبري، وانتهـاء بمـا كتبـه المعاصرون كالشيخ أحمد ديدات وغيره.